الصراع على السُّلطة في سوريا

الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة
١٩٦١ - ١٩٩٥

الدكتور نيقولاوس فان دام



الصراع على السُّلطة
فى سوريا

حقوق النشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
يناير ١٩٩٥
الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة
يونيو ١٩٩٥

إن وجهات النظر المطروحة فى هذا الكتاب خاصة بالمؤلف ولا تمثل تلك الخاصة بوزارة الخارجية الهولندية

صورة الغلاف :-صورة جدارية ضخمة مرسومة بالفُسيفساء للرئيس حافظ الأسد ، شُيدت عام ١٩٩٣ شمال العاصمة السورية فى حرستا بجانب الطريق السريع الذى يربط بين دمشق وحلب . وهذا الصرح الضخم تتراءى فيه المهابة الشخصية التى تحيط بالرئيس السورى .

(تصوير : فرديناند سميث)

الصراع على السُّلطة في سوريا

الطائفية والإقليمية والعشائرية في السياسة

١٩٦١ - ١٩٩٥

الدكتور نيقولاوس فن دام
سفير هولندا في مصر

مكتبة مدبولي
القاهرة

إهداء

إلى ذكرى أمــي وأبــي

إلى مارينكا

إلى نيكولاس، يان، ايما واسكندر

محتويات الكتاب

استهلال

إن مما لا يمكن إنكاره أن الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية[١] قد لعبت دوراً في تاريخ سوريا السياسي والاجتماعي والاقتصادى فى القرن العشرين· ولكن الآراء تختلف كثيراً حول مدى أهمية هذا الدور، ويميل العديد من الكُتّاب والمؤلفين الغربيين وغير السوريين إلى تعليق أهمية كبيرة على هذا الدور، معتقدين أن هذه العوامل مازالت ذات أهمية حتى بعد الاستقلال·

ومن ناحية أخرى، فإن العديد من الكُتّاب العرب القوميين الإشتراكيين والسياسيين السوريين يرفضون تماماً وجهة النظر هذه ويعارضونها علانية، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بنظام يحظى بدعمهم· إلا أن نفس أولئك الكُتّاب والسياسيين يعلقون أهمية كبيرة على الطائفية والإقليمية والعشائرية عندما تتعلق القضية المطروحة بنشاطات أنظمة معادية أو مخلوعة أو بمعارضين سياسيين داخل نظام حكمهم·

إن جميع هذه العوامل يمكن بطبيعة الحال أن يُبالغ فيها أو يستهان بها، وفقاً للموقف المـُتخذ، فالحقيقة تكمن هناك فى مكان ما ولا يمكن أن تنكشف إلا بالفحص الدقيق للحقائق المادية على أوسع نطاق ممكن·

إن هدفنا هو التحقق من مدى الدور الذى تلعبه الولاءات الإنصرافية والإلتزامات، مثل الطائفية والإقليمية والعشائرية، فى الصراع على السلطة السياسية فى سوريا والأسلوب الذى اتبعته، وسيركز الإهتمام بصورة رئيسية على التطورات داخل نخبة السلطة العسكرية والسلطة البيروقراطية المدنية فى الفترة منذ انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة فى سبتمبر (أيلول) عام ١٩٦١، وبهذا سنحاول الإجابة على السؤال الذى يدور حول مدى أهمية المعايير الطائفية والإقليمية والعشائرية فى تكوين مراكز القوى داخل القوات المسلحة السورية وداخل تنظيم حزب البعث الذى تقلد زمام السلطة

---

[١] جرى تعريف الطائفية والاقليمية والعشائرية فى هذه الدراسة على النحو التالى:
الطائفية: التصرف أو التسبب فى القيام بعمل بدافع الانتماء الى مجموعة دينية معينة·
الاقليمية: التصرف أو التسبب فى القيام بعمل بدافع الانتماء الى اصل اقليمى معين·
العشائرية: التصرف أو التسبب فى القيام بعمل بدافع الانتماء الى عشيرة او عائلة معينة، ويمكن ان يُطلق على الأخيرة العائلية·

فى عام ١٩٦٣. وقبل كل ذلك، سوف نبحث فى نوعية العوامل والتطورات التى شجعت على ظهور قوى للأقليات الدينية فى الحياة السياسية السورية منذ عام ١٩٦٣، خاصة العلويين والدروز والإسماعيليين والمسيحيين الروم الأرثوذكس.

ولم يسبق لأى من الأعمال المنشورة حول سوريا حتى الآن أن تناولت هذا الموضوع على هذا النطاق. إن دراسات بيرى وبيخل وماعوز وفان دوزن وغيرهم الواردة بمراجع هذا الكتاب تميل إلى التركيز على عامل دون الآخر، مغفلة بقية العوامل أو تاركة تلك العوامل خارج دائرة الإهتمام، وكُتّاب مثل دفلين وبتران ورابينوفيتش وسيل (١٩٦٥) وتورى وغيرهم يتناولون بالتفصيل بعض مراحل تطور التاريخ السياسى فى سوريا، ولكنهم يشيرون باختصار أو عرضاً للطائفية والإقليمية والعشائرية لأن دور هذه العوامل لا يمثل لب دراساتهم.

المصادر المستخدمة

يصعب الحصول على مواد معتمدة فيما يتعلق بموضوع هذه الدراسة وذلك لأسباب كثيرة. ففى المقام الأول معظم المصادر المتاحة تبدو منحازة للغاية وغالباً ما تكون ذات طابع دعائى، وربما يكون الأهم من ذلك كله أنه فى سوريا وأجزاء أخرى من العالم العربى يوجد نوع من الحظر على التحدث والكتابة العلنية والصريحة حول التناقضات الطائفية والإقليمية والعشائرية[٢]، ويمارس هذا الحظر على وجه الخصوص فى الدوائر القومية العربية ويكون أقوى فى حالة الطائفية عنه فى كل من الإقليمية والعشائرية. وتمنع الحساسية السياسية السياسيين عن التعبير عن أنفسهم بسهولة حول موضوع مثل الطائفية، سواء كان ذلك شفهياً أو كتابة، ولاسيما إذا كانت لهم تطلعات سياسية مستقبلية. ففى هذه الحالة عليهم أن يضعوا فى الحسبان ردود الفعل

---

٢ قارن خطاب الرئيس حافظ الأسد فى إذاعة دمشق بتاريخ ١٢ أبريل (نيسان) ١٩٧٦؛
Morroe Berger,The Arab World Today (New York, 1962), p. 265;
Moshe Ma'oz, "Alawi Military Officers in Syrian Politics, 1966-1974", Military and State in Modern Asia (Jerusalem, 1976), p. 279.

المحتملة إذا ما عبروا عن أنفسهم صراحة فيما يتعلق بالشئون الداخلية السورية والتى غالباً ما تعتبر "سرية".

فضلاً عن ذلك، فإن التنظيم البعثى الذى تقلد زمام السلطة فى سوريا منذ عام ١٩٦٣ يتسم بالسرية، حيث كانت سوريا فى وضع شبه حرب فى فترات متفاوتة منذ عام ١٩٤٨ . لذا، فإنه من الطبيعى، فى كثير من الأحيان، أن يُقابل الباحثون الأجانب الذين يتناولون التطورات السياسية والإجتماعية المعاصرة بالشك فيما يتعلق بهدفهم الحقيقى.

وقد تم الحصول على الوثائق المتعلقة بالطائفية والإقليمية والعشائرية فى سوريا من ثلاثة مصادر رئيسية: وثائق حزب البعث الداخلية؛ سير الحياة والمذكرات والكتابات الجدلية؛ الصحافة والإذاعات العربية. وقد تم تدعيم المعلومات المأخوذة عن تلك المصادر بمقابلات شخصية.

وثائق حزب البعث الداخلية

إن العديد من وثائق حزب البعث المستخدمة فى هذه الدراسة لم يُنشر بعد، وقد صدر عن القطاعين المدنى والعسكرى بجهاز الحزب، والوثائق تتكون بصورة رئيسية من نشرات الحزب الداخلية وانكتيبات ومحاضر إجتماعات الحزب ووثائق أخرى صادرة عن القيادة القطرية السورية للحزب والقيادة القومية والمكاتب التابعة لها وفروعها.

وقد قامت دار الطليعة فى بيروت بنشر الكثير من وثائق الحزب التى كانت سرية فيما قبل، وذلك فى شكل سلسلة تحت اسم "نضال حزب البعث" تتكون من أحد عشر مجلداً تشمل الفترة حتى ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ . إن حزب البعث يعلن رسمياً عن إيديولوجية تهدف إلى تحقيق مجتمع عربى موحد مثالى بنظام إشتراكى، لذلك فإنه من الواضح أن هذا الحزب يحجم عن الاعتراف بأن عوامل مثل الطائفية والإقليمية والعشائرية - والتى تعتبر جميعها من رواسب المجتمع التقليدى الذى يعيق يقظة الشعور القومى والاجتماعى والاقتصادى - قد لعبت دوراً فى الصراع على السلطة داخل صفوف الحزب. إن معظم المادة حول هذه العوامل مأخوذ من وثائق الحزب

غير المنشورة والتى كانت كثيراً ما تصنف كوثائق سرية فى ذلك الوقت، أو كانت مطروحة للتداول فقط داخل جهاز الحزب.

سير الحياة والمذكرات والكتابات الجدلية

تقدم سير الحياة والمذكرات الخاصة بالسياسيين السوريين والعرب الآخرين تفاصيل ودلائل لا يمكن الإستغناء عنها إذا ما أردنا الحصول على إنطباع كامل ومقبول حول دور الطائفية والإقليمية والعشائرية فى الصراع على السلطة السياسية فى سوريا. إن معظم سير الحياة والمذكرات المستخدمة فى هذه الدراسة ومنها أعمال منيف الرزاز وسامى الجندى ومحمد عمران وعبد الكريم زهر الدين وشبلى العسيمى وغيرهم - وكلها واردة بمراجع الكتاب - تقدم رؤية جزئية أو تفسيراً للأحداث والظروف التى مرت أو عايشها أولئك المؤلفون. وهذا المنحى كثيراً ما يضفى على كتاباتهم صفة الجدلية. وتبدو أعمال كل من مطاع الصفدى وخليل مصطفى وفؤاد الأطرش وغيرهم ممن ذكروا بمراجع الكتاب وهوامشه أكثر جدلاً، فهؤلاء المؤلفون يقدمون تفسيراً للآراء والأفكار السائدة بين فئات معينة من الشعب السورى، لذلك شملتهم هذه الدراسة.

الصحافة والإذاعات العربية

نادراً ما قدمت الصحافة والإذاعة الخاضعتان لرقابة الحكومة السورية أى تحليل عميق للدور الذى تلعبه الولاءات والالتزامات الطائفية والإقليمية والعشائرية فى الحياة السياسية السورية، سواء فى الخفاء أو على الملأ. وفى الحالات الإستثنائية التى قدمت فيها وسائل الإعلام السورية أية معلومات على الإطلاق كان ذلك كرد فعل أو لتكذيب تقارير ظهرت فى الصحافة أو الإذاعات الأجنبية.

أما وسائل الإعلام غير السورية، وبخاصة اللبنانية، فلديها الكثير لتقدمه فى هذا الشأن. ولقد قامت الصحافة اللبنانية أكثر من مرة بدور صمام الأمان للعديد من الفصائل السياسية والأنظمة فى توجيه النقد والترويج ضد

المعارضين السياسيين والمنافسين. ففى السنوات التى تلت تقلد البعث لزمام الحكم فى سوريا عام ١٩٦٣ فقد العديد من فصائل حزب البعث فرصة التعبير عن آرائهم السياسية بحرية عبر وسائل الإعلام المحلية، وذلك لأسباب كثيرة. لذلك، فقد لجأوا فى بعض الأحيان لإصدار صحف يومية ونشرات دورية خاصة بهم من بيروت، مثل الأحرار والراية، وكثيراً ما عمدوا لتسريب معلومات سرية أو خاصة عن الحزب أو النظام للصحف اليومية اللبنانية مثل الحياة والنهار والجريدة والمحرر والأنوار، كلما بدا ذلك فى مصلحتهم[٣].

وتتبع تلك المادة المتعلقة بهذه الدراسة فى الصحافة والإذاعات العربية أصبح ميسوراً عن طريق مطبوعات مثل الوثائق العربية و
The Arab World, Arab Report and Record, Middle East Record, Daily Report, Middle East & North Africa of the Foreign Broadcast Information Service (Springfield, Virginia).

وخلال الستينات والسبعينات شنت وسائل الإعلام العربية والإسرائيلية حملات دعاية طائفية بصفة متكررة بهدف بث وإثارة الإنقسامات الطائفية، وذلك لتقويض وضع السلطة فى نظام البعث السورى[٤]. وهذه الدراسة لا تتناول الدعاية الطائفية إلا بشكل محدود، حيث أن هذا يشكل فصلاً منفصلاً ويقع خارج النطاق الحالى، ولأسباب مماثلة سوف نترك جانباً المظاهرات الطائفية التى حدثت مرارا فى سوريا بعد عام ١٩٦٣ والتى كانت موجهة بصفة خاصة ضد البعثيين فى السلطة التابعين لأقليات دينية، علماً بأن المادة المتعلقة بهذه المظاهرات متوفرة فى الصحافة اللبنانية ولكن مدى صحتها أمر

---

٣ عبد الكريم زهر الدين: ذكراتى عن فترة الإنفصال فى سوريا ما بين ٢٨ أيلول و٨ آذار ١٩٦٣ (بيروت ١٩٦٨)، ص ٣٤٠؛ حزب البعث العربى الإشتراكى، القطر السورى، القيادة القطرية،مقررات المؤتمر القطرى العادى الثانى للقطر السورى والمنعقد بين ٣/١٨ و ١٩٦٥/٤/٤: التقرير التنظيمى، التقرير السياسى، التقرير الإقتصادى الإجتماعى (دمشق ١٩٦٦) (مذكور فيما بعد كالتقرير التنظيمى ١٩٦٥) ص ١٨ .

٤ انظر
Nikolaos van Dam, 'Israeli Sectarian Propaganda during the October, 1973, War', Muslim World, Vol. LXVII, No. 4, October 1977, pp. 295 - 305.

مشكوك فيه[٥]٠

المقابلات الشخصية

وعن طريق إجراء مقابلات مع عدد من السياسيين العرب السوريين والأردنيين والفلسطينيين والعراقيين واللبنانيين الذين كان لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بتطور الأحداث السياسية الواردة بهذه الدراسة كان بالإمكان إضافة معلومات جديدة وتحليلات عميقة للمادة المستخلصة من المصادر الرئيسية٠ وبديهى أن بعض أولئك الأشخاص لا يرغبون فى ذكر أسمائهم، ولكن من بينهم سياسيين قدامى مثل شبلى العسيمى وصلاح الدين البيطار والفريق أمين الحافظ وجورج صدقنى (سوريا) والدكتور منيف الرزاز والدكتور فواز الصياغ (الأردن) وطارق عزيز وزهير بيرقدار (العراق) ومالك الأمين والدكتور بشير الداعوق والمهندس نيقولا فرزلى وبشارة مرهج ومنح الصلح (لبنان)، علما بأن أيا منهم لا يتحمل أدنى مسئولية عن التفسيرات قيد هذه الدراسة٠

شكر وتقدير

تعتبر هذه الدراسة نسخة منقحة وحديثة لأطروحة دكتوراه قُدمت فى الأصل لجامعة أمستردام فى مارس (آذار) ١٩٧٧ تحت عنوان:
De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme bij de Strijd om de Politieke Macht in Syrië (1961 - 1976)
دور الطائفية والإقليمية والعشائرية فى الصراع على السلطة السياسية فى سوريا (١٩٦١ - ١٩٧٦)٠ وإننى لمدين بالشكر للأستاذ الدكتور س٠ ويلد (جامعة بون) الذى أشرف على إعداد النسخة المخطوطة فى شكلها الأصلى كأطروحة دكتوراه٠

كما أود أن أعرب عن إمتنانى للأستاذ الدكتور ى٠ بروخمان (جامعة

---

٥ انظر
John J. Donohue, 'La Nouvelle Constitution Syrienne et ses Déctracteurs', Travaux et Jours (Bayrut), April - June 1973, pp. 93 - 111.

ليدن) لتعليقه ونقده القيم للنسخة الإنجليزية·

وأتقدم بعميق الشكر لأولئك من الشرق الأوسط الذين قدموا لي يد العون في تجميع البيانات والمواد اللازمة لصياغة هذا الكتاب·

وقد تم نشر الفصل السادس والجداول من ١ إلى ٧ بشكل آخر كجزء من المقال المعنون
'Sectarian and Regional Factionalism in the Syrian Political Elite'
(الشقاق الحزبي الطائفي والإقليمي بين نخبة السياسيين السوريين)، والذي نُشر في
The Middle East Journal (Vol. 32, No. 2, Spring 1978, pp. 201 - 210).
وإنني لمدين لمعهد الشرق الأوسط بوشنطون لتفضله مشكوراً وسماحه لي بإعادة النشر·

وأخيراً، أود أن أعرب عن امتناني للهيئة الهولندية لتطوير الأبحاث المجردة ومعهد الشرق (ليدن) اللذين دعما هذه الدراسة ماديا ·

مقدمة الطبعة الثانية

لقد نُشرت طبعة الكتاب الأولى في ربيع عام ١٩٧٩ وشملت التطورات المتعلقة بدور الطائفية والإقليمية والعشائرية في الصراع على السلطة في سوريا حتى نهاية ١٩٧٨ · أما الطبعة الثانية فتتضمن تذييلا تحت عنوان "التحريض الطائفي والمواجهة" والذي يغطي أهم الأحداث من ذلك الحين وحتى منتصف عام ١٩٨٠ · وقد تم تعديل عنوان الكتاب الفرعي تبعاً لذلك· وبإستثناء بعض التعديلات الطفيفة التي تتعلق بالشكل أكثر منها بالمحتوى فإن نص الكتاب لم يتغير· والفصل الجديد لم يكن ضروريا فقط لتحديث الكتاب، بل أيضا لأن الصراع على السلطة في سوريا قد أخذ بُعداً إضافياً هاماً · أما بشأن تأثير الصراع على السلطة السياسية في سوريا فإن الطائفية كانت محصورة فيما مضى على صفوة السياسيين البعثيين وجهاز حزبهم، إلا أنه في النصف الثاني من السبعينات احتوت هذه الظاهرة قطاعات أوسع، ونتيجة للإغتيالات الطائفية وبعض عوامل أخرى ومن جراء التأثر بالحرب

الأهلية الطائفية التى تفشت فى لبنان منذ عام ١٩٧٥، فإن الطائفية لم تؤثر فقط فى جهاز حزب البعث والقوات المسلحة والهيئات الأمنية الأخرى ولكنها أثرت فى الجزء الأكبر من المجتمع السورى. بالتالى، فإن القوات المسلحة أصبحت مهددة بالانقسام طائفياً إلى درجة أكبر مما كانت عليه فيما قبل، وأصبحت البلاد فى خطر الانزلاق إلى أهوال الحرب الأهلية.

٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٨٠

مقدمة الطبعة الثالثة (الأولى باللغة العربية)

لقد طُلب مني فى العديد من المناسبات منذ نشر الطبعة الأولى لهذه الدراسة باللغة الانجليزية فى عام ١٩٧٩ أن أقوم بترجمة هذا العمل ونشره باللغة العربية. ورغم عدم قيامى بنشر الطبعة العربية فى ذلك الحين إلا أنه تم تداول ترجمات عربية مختلفة دون الحصول على موافقة مسبقة منى، ويبدو أن هذه النسخ كانت بغرض التداول المحدود بين أطراف مختلفة، سواء مؤيدة أو معارضة لنظام الحكم فى سوريا. ولم أكن دائماً موافقاً على مثل هذه الترجمات. وأخيراً قررت نشر ترجمة خاصة بى، نظراً للإلحاح المستمر على كتابى، رغم مرور ١٥ عاماً على صدوره.

وهذه الطبعة العربية هى ترجمة للطبعة الثانية باللغة الانجليزية التى صدرت فى عام ١٩٨٠، وذلك بعد تحديثها لتشمل أهم التطورات المتعلقة بهذه الدراسة والتى وقعت منذ ذلك الحين وحتى نهاية عام ١٩٩٤.

وبعد صدور الطبعة الثانية من هذا الكتاب بالانجليزية عام ١٩٨٠ ظهر العديد من الدراسات الأكاديمية - معظمها فى إطار مختلف - التى اهتمت بدور الطائفية والإقليمية والعشائرية بجانب العوامل الاجتماعية السياسية وغيرها. وقد تم أخذ هذه الأعمال فى الاعتبار، خاصة فى الفصول الثلاث الأخيرة والتى تشمل أعمال بطاطو ودريسديل وهينبوش وكينله وبرتز وسيل وغيرهم ممن وردت أسمائهم بالمراجع.

القاهرة، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٤

مقدمة الطبعة الثانية المزيدة والمنقحة باللغة العربية

لقد نفدت الطبعة الأولى باللغة العربية خلال شهور قليلة من نشرها في يناير (كانون الثاني) ١٩٩٥، وذلك رغم عدم توافرها خلال هذه الفترة في البلاد العربية التي من المفترض أنها تضم الأغلبية العظمى من القراء المهتمين بهذا الموضوع.

وقد تمت مراجعة النسخة الجديدة وتحديثها والتوسع فيها لتشمل أهم التطورات ذات الصلة التي وقعت في سوريا منذ نشر الطبعة الأولى، كما تم تحديث الجداول الإحصائية حتى عام ١٩٩٥ .

القاهرة، مايو (ايار) ١٩٩٥

الفصل الأول

مقدمة

بالرغم من الدرجة الكبيرة من التجانس الثقافى، إلا أن سكان سوريا الحاليين يتميزون بتنوع قوى فى الأصول الدينية والعرقية[١]· فالتقسيم الفرعى للسكان نسبة إلى اللغة أو الدين يكشف لنا أن ٨٢،٥٪ يتحدثون العربية و٦٨،٧٪ مسلمون سنيون· ونجد أن المسلمين السنيين الذين يتحدثون العربية يشكلون أغلبية عددية قوامها ٥٧،٤٪ من مجموع السكان من حيث اللغة والدين، أما المجموعات المتبقية فيمكن أن تـصنف كأقليات عرقية و/أو أقليات دينية·

وأكبر الأقليات الدينية فى سوريا هم العلويون (١١،٥٪) والدروز (٣،٠٪) والإسماعيليون (١،٥٪) والمسيحيون الروم الأرثوذكس (٤،٧٪) وهم أهم الجاليات المسيحية فى سوريا (١٤،١٪)·

أما الأقليات العرقية الرئيسية فهم الأكراد (٨،٥٪) والأرمن (٤،٠٪) والتركمان (٣،٠٪) والشراكسة· وفى حين أن معظم الأكراد والتركمان والشراكسة مسلمون سنيون، وبذلك فهم ينتمون لغالبية السكان، إلا أن الأرمن مسيحيون، وبالتالى فهم يمثلون أقلية عرقية ودينية فى آن واحد· ومن بين

---

١ أخذت إحصائيات هذه الدراسة لأهم المجموعات الدينية واللغوية فى سوريا من كتاب:
Gabriel Baer, Population and Society in the Arab East (London, 1964), p. 109.
ومن أجل مناقشة صحة البيانات الإحصائية السكانية فى سوريا، انظر
J. C. Dewdney, 'Syria: patterns of population distribution', in J. I. Clarke & W. B. Fischer (eds.), Populations of the Middle East and North Africa (New York, 1972), pp. 130-42; E. Wirth, Syrien: Eine Geographische Landeskunde (Darmstadt, 1971), pp. 170, 171.
لأرقام أخرى حول أهم المجموعات الدينية واللغوية فى سوريا انظر
I. Nouss, La Population de la République Syrienne. Etude démographique et géographique, Thèse d'Etat (Paris, 1951); US Army Area Handbook for Syria (Washington, DC, 1965); Statistisches Bundesamt Wiesbaden, Allgemeine Statistik des Auslandes, Länderkurzberichte, Syrien (Stuttgart/Mainz, 1967, 1969),
كما ورد فى:
Wirth, Syrien, p.452.

الأقليات الدينية المذكورة أعلاه، نجد أن العلويين والدروز والإسماعيليين والمسيحيين الروم الأرثوذكس يتحدثون جميعاً العربية بدون استثناء تقريباً.

العوامل التي ساهمت في الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية

هناك العديد من العوامل التي ساهمت في وجود وبقاء هذا الكم من المجموعات الدينية والعرقية بالمنطقة التي يُطلق عليها اليوم سوريا[٢].

١- تنبع الأديان الثلاثة التوحيدية الرئيسية - اليهودية والمسيحية والإسلام - من المنطقة الكبرى التي تشمل سوريا، وقد أدى تكوين المذاهب والمدارس المختلفة داخل هذه الأديان إلى إختلافات كبيرة في العقائد.

٢- إن الهلال الخصيب الذي تشكل سوريا جزءاً منه قد تعرض بصفة منتظمة في الماضي لغزوات من قبل مجموعات سكانية متعددة، مثل العرب والأكراد والمغول والأتراك، وكان دائماً مركزاً للحركات العشائرية والفردية.

٣- كان الشرق الأوسط في بعض الأحيان ملجأً للمضطهدين سياسياً أو دينياً من الأقاليم المجاورة، وقد تمكنت تلك المجموعات اللاجئة من الإستقرار في سوريا أو المناطق المحيطة بها.

٤- كثيراً ما إتخذت الاختلافات العشائرية والقومية الناتجة عن كل هذه التطورات طابعاً دينياً وساهمت في ظهور جاليات دينية مختلفة. بالتالي، كان طبيعياً أن تتطور الاختلافات السياسية والدينية كجزء من هذه العملية.

٥- كثيراً ما تم الحفاظ على الاختلافات الدينية والعشائرية واللغوية التي قويت نتيجة المحلية، أي نتيجة ولاء محلي مكثف تركز في بعض المناطق بسبب التكوين الجغرافي، لاسيما في جبال ووديان منطقة اللاذقية وجبل

---

٢ المناقشة التالية تستند أساساً على
A. H. Hourani, Minorities in the Arab World (London, 1947), pp. 15 - 22.

الدروز التى يصعب الوصول إليها.

٦- إن نقص سبل الإتصال فى المناطق التى يصعب الوصول إليها وعدم وجود سلطة مركزية قوية قد ساعدا على الحفاظ على الطابع المتميز والمستقل للمجموعات الدينية والقومية، واستطاعت الجاليات التى لم تكن ترغب فى الخضوع لرقابة الدولة المركزية أن تنسحب إلى مناطق يصعب الوصول إليها إلى حد ما وتمكنوا من العيش دون قلق، نسبيا. وقلما كانت سلطة الدولة المركزية تمتد أبعد من الساحل وأودية الأنهار والوديان والسهول التى يسهل الوصول إليها، وبالتالى، كانت تقطنها الغالبية التقليدية السائدة من المجموعات الدينية أو القومية، وخاصة العرب السنيين. من ناحية أخرى، نجد أن الأقليات الدينية، وخاصة أولئك الذين اضطهدوا بشدة فى الماضى كالعلويين والدروز والإسماعيليين، قد تواجدوا أساسا فى مناطق يصعب الوصول إليها.

٧- لقد تم تشجيع ونمو الإختلافات الدينية والعرقية نتيجة للتسامح النسبى الذى أبداه الإسلام تجاه المسيحيين واليهود وبسبب المساواة الرسمية بين المجموعات القومية داخل الإسلام، بيد أن الثقافة العربية والإسلامية لم تترك الجاليات المسيحية واليهودية دون أن تعكر صفوها، فحدث استيعاب بعيد المدى.

وقبل إنتشار ظاهرة القومية فى العالم الإسلامى كانت أهم المجموعات القومية مثل العرب والأتراك والفرس والأكراد متسامحة إلى حد ما فى سلوكها تجاه بعضها البعض، ولم يكن التفكير قد تطرق بعد للاتجاهات القومية، فكان سكان سوريا الحاليون يعتبرون أنفسهم إما سنيين أو علويين أو دروز أو إسماعيليين أو مسيحيين روم أرثوذكس أو يهودا ... الخ. وكان معظمهم يتحدثون العربية، إلا أن هذا لم يكن له ثقل سياسى، فالغالبية من السكان وهم سنيون لم يشعروا بأنهم تحت وطأة حكومة أجنبية أثناء الحكم العثمانى (التركى)، رغم أن هذا كان شعور العلويين والدروز والإسماعيليين وغيرهم، إلا أن السنيين لم يتفقوا مع كل هؤلاء فى الرأى فى هذا الشأن[٣].

٣

Elie Kedourie, The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies (London, 1970). pp. 386-7.

لقد كان التعصب الإسلامى (السنى) موجهاً بصفة عامة ضد الشيعة والمسلمين غير السنيين كالعلويين والدروز والإسماعيليين أكثر منه ضد المسيحيين واليهود الذين كانوا يتمتعون بنوع من حماية الأقليات، مما مكنهم من الإحتفاظ بهويتهم حتى وقتنا هذا، وإن كان ذلك على حساب قبولهم أن يُعاملوا معاملة مواطني الدرجة الثانية[٤]. لقد اعترف الإسلام باليهود والمسيحيين كأهل الكتاب، أى أناس تلقوا رسالات سماوية عن طريق رسل جاءوا قبل محمد وعُهد إليهم بكتب سماوية مقدسة. كما أن مكانة أهل الكتاب سمحت للمسيحيين واليهود بالإحتفاظ بتنظيمهم الدينى ومكانتهم الشخصية وأماكن عبادتهم وممتلكاتهم الدينية، وهذه المكانة المحفوظة قد توطدت أكثر تحت ظل الإمبراطورية العثمانية، عندما اعتُرف بجالياتهم رسمياً كمِلل أو "أمم" (دينية).

وفى عهد الإمبراطورية العثمانية كان المجتمع السورى مجزءاً بشكل كبير إلى عدد من الجاليات المغلقة، وقد قام البرت هـ. حورانى بشرح هذا الوضع كالآتى:

كانت الإمبراطورية العثمانية تتألف من عدد كبير من المجموعات المحلية العشائرية واللغوية والدينية، التى تشكل فى مجموعها جاليات مغلقة. وقد كان كل منها بمثابة "عالم" يقتصر على أعضائه ويطالبهم بولائهم المطلق. وقد تلامست هذه العوالم دون أن تختلط ببعضها البعض، فكان كل منها ينظر للآخر بعين الشك والريبة، وربما الكراهية. وكانت معظمها يغلب عليها الركود وعدم التغيير والمحدودية. أما عالم أهل السنة، رغم تمزقه بشتى أشكال التشقق الداخلى، إلا أنه ظل يتمتع بشىء من الشمولية والشعور بالثقة وروح المسئولية التى كان يفتقدها الآخرون. وكانت الجاليات الأخرى هامشية وبعيدة عن السلطة وصنع القرار التاريخى[٥].

إن التصدع القديم عبر القرون بين الجاليات الدينية المختلفة وبين

٤

L. C. Biegel, Minderheden in het Midden-Oosten, hun betekenis als politieke factor in de Arabische wereld (Deventer, 1972), pp. 61, 332.

٥

Hourani, Minorities in the Arab World, p. 22.

السنيين والأقليات الدينية بصفة خاصة قد اتسع خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين نتيجة لعدة عوامل[٦]٠

١- خلال القرن التاسع عشر تأثر وضع الأقليات الدينية بصورة قوية نتيجة التدخلات السياسية فى الشئون الداخلية للإمبراطورية العثمانية من قبل فرنسا وانجلترا وروسيا الذين فرضوا أنفسهم حماة للأقليات الدينية، فادعت فرنسا لنفسها حق حماية المسيحيين الموارنة فى لبنان وادعت الحكومة الروسية لنفسها حقاً مماثلاً فى حماية المسيحيين الروم الأرثوذكس التابعين للسلطان العثمانى، بينما استأثرت بريطانيا بعلاقات طيبة، خاصة مع الدروز واليهود[٧]٠ وقد تحسن وضع هذه الأقليات الدينية بصفة عامة، إلا أنه حدث تأثير سلبى لأن هذه الحماية جلبت لهم كراهية الحكومة العثمانية المركزية وغالبية السكان من المسلمين السنيين الذين اعتبروهم "خونة محتملين، ومصدر ضعف، وعملاء للسياسة الأوروبية، وخطراً على الإمبراطورية والأمة الإسلامية بوجه عام"[٨]٠ ونتيجة لذلك فقد ساءت بالفعل العلاقات بين السنيين والأقليات الدينية، هذا بجانب تأثير آخر للتدخل السياسى من قبل القوى الأوروبية ألا وهو تدعيم مهمة الأقليات الدينية كوحدات سياسية وتنمية وعيها الجماعى٠

٢- وفى عهد الإنتداب الفرنسى تم تحريض الولاءات الطائفية عمداً لكى تمنع أو تحد من ظهور القومية العربية[٩]٠ ومن ناحية أخرى، جرى تشجيع ظاهرة الإنفصالية والتخصصية بين الأقليات الدينية والقومية عن طريق منحهم حكماً

---

٦ المصدر السابق ص ٢٣ - ٢٩ ٠

٧ قارن
Shakeeb Salih, 'The British-Druze Connection and the Druze Rising of 1896 in the Hawran', Middle Eastern Studies, Vol. 13, No. 2, May 1977, pp. 251-7.

٨
Hourani, Minorities in the Arab World, p. 24.

٩ قارن زكى الأرسوزى، "التجربة السياسية فى لواء الإسكندرون"، المؤلفات الكاملة، المجلد الثالث (دمشق، ١٩٧٤)، ص ٣٤١-٣٦٢ ٠

ذاتيا في المناطق التى كانت تشكل فيها تلك الأقليات الغالبية المحلية· وبناء على هذه السياسة فإن منطقة اللاذقية، والغالبية فيها من العلويين، وجبل الدروز، والغالبية فيه من الدروز، كانت لهما حكومتهما لفترة ما أثناء الإنتداب وكانا يعتبران مستقلين بحكم ذاتى رسمياً عن الجمهورية السورية· أما منطقة الجزيرة فى الشمال الشرقى حيث مثلت الجاليات المسيحية قوة لا يستهان بها وحيث كان الأكراد بالنسبة لهم أغلبية محلية، فلم يحصلوا على حكم ذاتى رسمياً تحت الإنتداب الفرنسى، بل وضعت المنطقة تحت حكم الإدارة الفرنسية المباشرة وتم تشجيع تطلعات الأكراد نحو تحقيق حكم ذاتى·

٣- وكجزء من سياسة "فرِّق تسد" فقد شجع الفرنسيون تجنيد فصائل خاصة من العلويين والدروز والأكراد والشراكسة والأقليات الأخرى، الذين شكلوا بعد ذلك ما عُرف باسم "القوات الخاصة للشرق الأدنى" والتى استخدمت لحفظ النظام وقمع الفتن الداخلية· ونظراً لأن هذه القوات كانت مُشكلة من الأقليات فقد زاد هذا من شعور الإستياء بين السنيين المتحدثين بالعربية، كما اثيرت الخلافات بين الأقليات الدينية والعرقية عن طريق الفرنسيين الذين كانوا يناصرون قائداً عشائرياً ضد الآخر[١٠]·

٤- ظل نظام "المجتمع المغلق" سارياً خلال النصف الأول من القرن العشرين، وقد لاحظ ذلك جاك ويلرس خلال الأربعينات وأسماه بعقدة الأقليات، كالآتى:

> ··· حساسية جماعية مَرَضية تجعل أى تحرك لجالية مجاورة يبدو وكأنه خطر محقق أو تحدٍ لهذه الجالية، فتقوم بتوحيد كل مجموعة بالكامل أمام أدنى هجوم أو تعدٍ يرتكب ضد أي من أعضائها[١١]·

---

١٠ قارن

Munir Mushabik Mousa, Etude sociologique des 'Alouites ou Nousairis (Thèse principale pour le doctorat d'état, Paris, 1958), pp. 924-6.

١١

Jacques Weulersse, Paysans de Syrie et du Proche Orient (Paris, 1946), p. 77

قارن

Jacques Weulersse, Le Pays des Alaouites (Tours, 1940), pp. 49, 73, 288.

الإقليمية فى سوريا خلال فترة الاستقلال

هناك ثلاثة عوامل تزامنت وجعلت من الولاءات والإلتزامات الإقليمية قاعدة هامة للمشاركة السياسية من قبل العديد من الشخصيات السورية خلال فترة الإستقلال، وقد لخصها مايكل هـ. فان دوزن فيما يلى :-

١- أظهر نمو الوعى السياسى الولاء فوق الوطنى (أى القومى العربى) والولاء تحت الوطنى (أى الإقليمى)، وذلك على حساب الإلتزام بالدولة الوطنية ككل .. إن الإقتطاعات العديدة من سوريا منذ بداية هذا القرن قد وقفت حائلاً دون نمو أى ولاء متلاحم أو محدد للدولة السورية كوطن. ومازالت تأثيرات هذه التغييرات الحدودية على التكامل الوطنى واضحة حتى الآن: فمن ناحية نجد أنه يتم مراعاة هذه الحدود فقط من الناحية الفنية وأن الهوية العربية أقوى بكثير من الهوية السورية، ومن ناحية أخرى، نجد أن عدم وجود ولاء وسط قد أدى إلى توجيه الصراعات السياسية المحلية للساحة السياسية الوطنية، والتى بالفعل قد سيطرت على السياسة الوطنية[١٢].

لذا، "فعندما نالت سوريا استقلالها عام ١٩٤٦ كانت دولة فى كثير من النواحى دون أن تكون أمة، فكانت كياناً سياسياً دون أن تكون مجتمعاً سياسياً[١٣].

٢- لم يضعف كثيراً الإكتفاء الذاتى التقليدى لمختلف مراكز سوريا الإقليمية من جراء خطط التنمية الحديثة... فالمدينة الزراعية العربية التقليدية هى مركز الولاءات الإقليمية فى بلدان مثل العراق وسوريا... وقد كانت المدن الزراعية تقليدياً مركزاً للنشاط السياسى: ففى فترة الإستقلال كان ذلك يعنى أن السياسة الوطنية كثيراً ما كانت تـُعـَرف على أساس المصالح الوطنية أو الإقليمية الفرعية. وأنماط الإتصال داخل البلاد تعكس أيضاً فسيفساء المدينة الزراعية: فحلقة الإتصال

١٢
Michael H. Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', The Middle East Journal, Vol. 26, No. 2, Spring 1972, pp. 123, 125-6.

١٣ قارن
Moshe Ma'oz, 'Society and State in Modern Syria', in Menahem Milson (ed.), Society and Political Structure in the Arab World (New York, 1973), pp. 29-91; Moshe Ma'oz, 'Attempts at Creating a Political Community in Modern Syria', The Middle East Journal, Vol. 26, No. 4, Autumn 1972, pp.389-404.

بين دمشق كعاصمة سياسية وأي قرية سورية عادة ما تكون المدينة الإقليمية التي تقع في منطقتها، والإتصال بين المدن الزراعية ضئيل للغاية[١٤].

هذا، وأهم المدن الزراعية السورية هي: دمشق والسويداء ودرعا والقنيطرة في الجنوب، وحلب ودير الزور في الشمال والشمال الشرقي، وحماة وحمص واللاذقية في الوسط والشمال الغربي• وكل واحدة منها تمثل مركزاً لشبكة من العديد من المدن والمئات من القرى بالمناطق الريفية النائية[١٥]

٣- وفي أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينات بدأ إهتمام الشباب السوري بالسياسة وهو في مرحلة الدراسة الثانوية، أي، قبل أن يتفرغ هذا الشباب للعمل في شتى الميادين أو يتحول للعمل بالقطاعات المختلفة•
وهذا يعني أن ولاءات الشباب السياسية والإيديولوجية قد عكست الوضع السياسي المحلي الخاص بمدنهم الزراعية، ونتيجة لذلك كان لا بد للأحزاب الوطنية أن تتأقلم مع المحلية السورية، مما أفقدها مركزيتها وجعلها تتمركز حول خليتها• وقد أفضى هذا أيضاً إلى استمرار الأحزاب الوطنية في إبراز المصالح الإقليمية[١٦]•

وهكذا، عكست الأحزاب السياسية السورية المصالح الإقليمية واستطاعت بغض النظر عن إيديولوجياتها السياسية أن تتوسع في مناطق محددة أو بين شرائح معينة من السكان، بينما بقيت غير جديرة بالذكر في مناطق أخرى•

١٤
Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', pp. 123-4.

١٥ طبقاً لفان دوزن، المصدر السابق، ص ١٢٤و١٢٥، فإن أدلب وجسر الشغور يشكلان في الواقع جزء من مدينة حلب الزراعية، بينما الرقة والحسكة والبو كمال يشكلون جزء من مدينة دير الزور الزراعية• وفي العقد الماضي تطورت طرطوس لتصبح مدينة زراعية بديلة عن اللاذقية، حيث يعتبرها الكثير من العلويين مركزهم الإقليمي• وفي عام ١٩٦٦، تم إقتطاع محافظة طرطوس الجديدة من محافظة اللاذقية القديمة• في هذه الدراسة نعتبر منطقة الجزيرة المكونة من مناطق دير الزور والرقة والحسكة منطقة واحدة يُطلق عليها دير الزور•

١٦ المصدر السابق، ص ١٢٤، ١٢٧ •

العوامل التى تضعف من الولاءات والإلتزامات الإنصرافية

إن ظهور فكرة القومية والتغيير الإجتماعى المستمر قد ساعد على إضعاف الروابط الطائفية والإقليمية والعشائرية، خاصة منذ فجر الاستقلال· فنجد على سبيل المثال أن تحسن سبل الإتصال والإنتقال قد بدد عزلة مجتمعات معينة· أما التحديث والتصنيع فقد مكنا من إختلاط أعضاء المجتمعات المختلفة بصورة أكثر وأشد من ذى قبل، ونجد أن الإنتشار الواسع للتعليم منذ عهد الاستقلال وتوحيده على المستوى الوطنى خلال الستينات قد تسببا فى كبت العقليات الإنصرافية الطائفية والإقليمـة وغيرها· أضف إلى ذلك ان التمدن قد أدى إلى إضعاف الروابط الأسرية·

وبالرغم من ظاهرة اللامبالاة تجاه الدين، إلا أن أهمية المجتمع الدينى كوحدة سياسية وإجتماعية قد استمرت، فتكاثرت أعداد المنظمات والأندية والجماعات اللاسياسية من خلال القنوات الإجتماعية التقليدية للمجتمع الدينى، مع كل ما يتبع ذلك من أجل الإبقاء على الولاء والإلتزام الطائفى·

وفى دراستنا هذه، سوف نعتبر الذين ولدوا فى مجتمع دينى معين ثم أصبحوا بلا دينٍ أعضاء فى ذلك المجتمع، فعمليا، يبدو من الطبيعى إعتبار شخص ما تابعاً لمجتمع دينى، بغضِ النظر عن معتقداته الدينية الحقيقية، فظاهرة التحول من دين لآخر نادراً ما تحدث·

التوزيع الإقليمى للمجموعات الدينية والعرقية

إن المجموعات الدينية والعرقية غير موزعة بالتساوى على كافة أنحاء سوريا، بل غالباً ما تتركز بنسب متفاوتة في مناطق إدارية مختلفة· وعليه، فيجب التمييز بين الأقليات المتماسكة والأخرى المتناثرة، فالأولى يتركز أعضاؤها أساساً فى منطقة معينة، مشكلين أغلبية محلية، والثانية يتوزعون فيها على عدد من المناطق، دون أن ينطبق على أى منها تعريف الأقليات

المتماسكة[١٧].

ويشكل السنيون الأغلبية فى كافة المحافظات السورية بإستثناء اللاذقية والسويداء[١٨]. ففى محافظة اللاذقية يشكل العلويون الأغلبية (٦٢،١٪) ويشكل المسيحيون الروم الأرثوذكس المقيمون أساساً فى المناطق الريفية على شكل تجمعات إقليمية نسبة ١٢،٨٪، بالمقارنة بنسبتهم على المستوى الوطنى وهى ٤،٧٪. أما فى محافظة السويداء (جبل الدروز أو جبل العرب)[١٩] فالدروز يشكلون أغلبية ساحقة بنسبة ٨٧،٦٪، مع وجود طوائف كبيرة نسبياً من الروم الأرثوذكس وغيرهم من الطوائف المسيحية. ونجد أن نسبة السنيين فى السويداء تقل عن ٢٪ من عدد السكان، وهى أقل نسبة بين باقى المحافظات.

وفى محافظة حماة حيث يشكل السنيون غالبية السكان بنسبة ٦٤،٦٪، نجد الإسماعيليين (١٣،٢٪) والمسيحيين الروم الأرثوذكس (١١٪) يتركزون فى المناطق الريفية المحيطة بعاصمة المحافظة التى يقطنها أساساً السنيون. ومعظم الإسماعيليين السوريين يتركزون فى منطقة السلمية ومنطقة مصياف، حيث يشكلون غالبية السكان هناك، وبذلك يمكن تصنيفهم كأقلية متماسكة، شأنهم شأن الدروز والعلويين. أما معظم الأكراد السوريين فيقطنون المناطق

١٧

Hourani, Minorities in the Arab World, p. 14.

١٨ فى هذه الدراسة، ما لم يشر إلى غير ذلك، فإن منطقة أو محافظة اللاذقية تشير إلى الوحدة الإدارية ذات الحدود المشتركة حتى عام ١٩٦٦ عندما تم تشكيل محافظة طرطوس الجديدة. وفيما مضى كانت محافظة اللاذقية تضم منطقة مصياف وناحية وادى النصارى. أما اليوم فقد أصبحت مصياف جزءاً من محافظة حماة، ويقع وادى النصارى جنوب شرق جبال العلويين ويقطنه أساساً المسيحيون من الروم الأرثوذكس.

١٩ يميل أنصار القومية العربية في سوريا إلى عدم استخدام الأسماء الجغرافية الدالة على الخلفية الدينية لسكان منطقة ما. بالتالى، فلتأكيد التساوى بين العرب أجمعين وبغض النظر عن دينهم فهم يفضلون اسم جبل العرب على اسم جبل الدروز. بيد أنه كان حتى زمن قريب يُطلق على جبال منطقة اللاذقية اسم جبال العلويين أو جبل النصيرية كما ورد فى المجموعة الإحصائية السورية الرسمية. قارن المجموعة الإحصائية ١٩٧٦، ص ٤٥ ، ٦٣ ؛ المجموعة الإحصائية ١٩٧١، ص ٧ ، ٣٢ . أما في المجموعة الإحصائية ١٩٩٢، ففضلت الدوائر الرسمية اسم "الجبال الساحلية" الأكثر حيادا .

الشمالية المتاخمة لتركيا ويمكن إعتبارهم أقلية عرقية متماسكة٠

الأقليات الدينية المتماسكة

منذ تولى حزب البعث زمام السلطة فى سوريا عام ١٩٦٣ فإن أعضاء الأقليات الدينية المتماسكة المتحدثين بالعربية كالعلويين والدروز والإسماعيليين قد لعبوا دوراً سياسياً مرموقاً، وعليه فسوف نتناول بشيء من التفصيل - ولو بإيجاز - ظروفهم الإجتماعية٠

العلويون

يقطن حوالى ٧٥٪ من العلويين السوريين منطقة اللاذقية، حيث يشكلون الأغلبية المحلية هناك٠ ويعمل معظمهم فى قطاع الزراعة، ممثلين بذلك الأغلبية الساحقة من سكان اللاذقية الريفيين٠ أما فى المدن الساحلية فقد كانوا أقلية بالمقارنة بالسنيين والمسيحيين٠ وعليه، فإن التباين الريفى المدينى والتباين الطبقى بمنطقة اللاذقية عادة ما يتوافقان مع الإختلافات الطائفية٠

لقد فرضت المدن فيما مضى هيمنة إقتصادية وإجتماعية على سكان الريف الذين كانوا يُرغمون على التنازل عن جزء كبير من عائداتهم لملاك الأراضى والتجار٠ وبدا التباين المدينى-الريفى فى بعض الأحيان وكأن المدن مستوطنات لغرباء يعيشون على حساب سكان الريف الفقراء٠ وفى الأربعينات كانت المدن الساحلية كاللاذقية من وجهة النظر السياسية والإجتماعية بمثابة قواعد أمامية لدمشق العاصمة بغالبية سكانها من السنيين[٢٠]٠

٢٠

Weulersse, Le Pays des Alaouites, p. 66.

المناقشة التالية حول العلويين السوريين تستند أساساً على المصدر السابق؛

Mousa, Etude sociologique des 'Alaouites ou Nusairis;

منير الشريف، المسلمون العلويون٠ من هم؟ وأين هم؟ (دمشق، ١٩٦١، الطبعة الثالثة)٠ ومن أجل الإطلاع على تاريخ العلويين أنظر محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين (بيروت،

ونما على مر الزمان لدى العلويين شعور بعدم الثقة تجاه السنيين الذين كثيراً ما كانوا يضطهدونهم، إلا أن هذا الشعور كان أقل حدة تجاه المسيحيين وربما يرجع ذلك لكون المسيحيين أيضاً في وضع ضعف وعدم يقين.

أما بالنسبة للتنظيم الاجتماعي فيمكن الفصل بشكل تقريبي بين العلويين القاطنين المناطق الجبلية وأولئك القاطنين سهول سوريا والمناطق الساحلية. فالروابط العشائرية أقوى بين سكان المناطق الجبلية وتكاد تختفي بين سكان المناطق الساحلية، حيث تشكل الأسرة أهم وحدة إجتماعية وحيث نجد الروابط بين أفرع الأسرة المختلفة قوية للغاية.

وبينما نجد أن العلويين القاطنين المناطق الساحلية والسهول المنخفضة مسيطراً عليهم ومستغلين إقتصادياً من قبل أعضاء الطوائف الدينية الأخرى - وفي مقدمتهم السنيين والمسيحيين - إلا أن سكان المناطق الجبلية التي يصعب الوصول إليها قد استطاعوا أن يتطوروا باستقلال أكبر. إن الوضع الاجتماعي والإقتصادي للفلاحين العلويين كان متشابهاً في كلتا المنطقتين، بيد أن الفارق الوحيد هو أن الفلاحين العلويين بالمناطق الجبلية كانوا مستغَلين من قبل أبناء طائفتهم الدينية، بينما لم يكن هذا هو الوضع دائماً بالنسبة للآخرين.

ويمكن تقسيم العلويين عشائرياً إلى أربعة إتحادات: الخياطين والحدادين والمتاورة والكلبية[٢١] وهم موزعون على منطقة اللاذقية بأكملها والمناطق المحيطة بها. والكثير من القرى والأراضي التابعة لها موزع بين عائلات من عشائر مختلفة، وأحياناً يكون للاتحادات العشائرية أكثر من قائد (رئيس أو زعيم)، حيث تنقسم هذه الاتحادات إلى عشائر، لكل منها مُقَدَم.

١٩٦٦، الطبعة الثانية)، وتعليق من الشيخ العلوي السوري عبد الرحمن الخيِّر.

٢١ من بين هذه الإتحادات العشائرية العلوية الأربعة إنشقت مجموعتان دينيتان هامتان، وهما الحيدريون الذين يشكلون وحدة دينية، إلا أنهم احتفظوا بصلاتهم العشائرية الأصلية، والغساسنة الذين ظهروا بعد الحرب العالمية الأولى تحت قيادة سليمان المرشد الذي عين نفسه زعيماً دينياً وجذب وراءه أربعة آلاف من الأتباع. وبعد وفاة المرشد عاد معظم أتباعه وانضموا لعشائرهم الأصلية. ويذكر منير مشابك موسى طائفة العلويين المسماة بالكلازية (Etude sociologique des 'Alaouites ou Nusairis, p. 237).

ورغم أن زعامة العشيرة عادة ما كانت تُكتسب بالوراثة، إلا أنه كان بالإمكان الحصول عليها عن طريق مميزات شخصية أو نفوذ في مراكز القوى السورية على المستوى الوطني. وهكذا، استطاعت بعض العائلات العلوية الفقيرة مثل عائلة الرئيس حافظ الأسد اكتساب نفوذ كبير على مستوى العشيرة في مناطق نشأتهم، وذلك بسبب وضعهم القوي الذي إكتسبوه على المستوى الوطني في الجيش مثلاً أو في مراكز قوى أخرى.

ومعظم العشائر العلوية لها رؤساء دينيون (الشيوخ أو رجال الدين) يتمتعون بنفوذ ديني وإجتماعي كبير على رجال العشيرة، وإن كان أقل من نفوذ زعيم العشيرة. وفي بعض الحالات كان لهؤلاء نفوذ قوي يصل إلى حد إضعاف سلطة زعماء العشائر وحرمانهم من مؤيديهم، بل وأيضاً إستبدالهم. وكثيراً ما كان زعماء العشائر الدينيون والسياسيون ينتمون لعائلة واحدة.

واستطاع زعماء العشائر أو الشيوخ ممارسة سلطات عظيمة على الفلاحين من أبناء ملتهم بسبب ما كانوا يمتلكونه من أراضٍ. فعندما كانت السلطة العشائرية مصحوبة بملكية الأراضي وكان الزعيم شيخاً في نفس الوقت، كان أبناء العشيرة من الفلاحين لا يعدون أن يكونوا خداماً. وفي ظل الانتداب الفرنسي كانت مثل هذه العلاقة الدينية العشائرية الإقطاعية قائمة بين العائلات العلوية القوية عباس وكنج ومرشد وبين أبناء دينهم الخاضعين لهم. وكانت سلطة هذه العائلات تمتد لتفوق حدود ما يمتلكونه من أراضٍ[٢٢].

لقد كانت جبال العلويين فيما مضى من أكثر المناطق السورية حرماناً وتأخراً، بل كانت متخلفة عن بقية مناطق الدولة في كثير من المجالات[٢٣].

---

٢٢ قارن

Issam Y. Ashour, The Remnants of the Feudal System in Palestine, Syria, and Lebanon (Master's thesis, American University of Beirut, 1946), Chapter 4, 'The Metayer System and the Survival of Certain Feudal Features', pp. 54-57.

٢٣ رغم أن زراعة التبغ كانت مصدراً رئيسياً للدخل، إلا أن مزارعي التبغ من العلويين كانوا مسلوبي القوة ومعزولين. ويعود ذلك جزئياً لانخفاض أرباحهم بسبب العمولات التي كان يتقاضاها الوكلاء. وفي الواقع، كان صغار مزارعي التبغ مضطرين لبيع محصولهم

إن الظروف الإجتماعية والإقتصادية للفلاحين العلويين قد تحسّنت بشكل ملحوظ منذ استقلال سوريا، وبالأخص منذ أن تولى حزب البعث زمام الحكم فى عام ١٩٦٣ • ومنذ عام ١٩٦٣ بدأت منطقة اللاذقية تتمتع بنمو وتطور متفاوتين[٢٤].

وخلال العقد الماضى حدثت هجرة ملحوظة بين علويى الجبال بمنطقة اللاذقية• ونتيجة لإستقرارهم فى مناطق جديدة تمكن العديد منهم من إجبار أقليات دينية أخرى كالإسماعيليين على التقهقر جغرافياً • وقد هاجر البعض الآخر للسهول المنخفضة والمدن• ففى محافظتى حماة وحمص على الأخص تزايد عدد القرى التى يقطنها العلويون[٢٥].

للسماسرة من السنيين القاطنين السواحل مقابل مبالغ ضئيلة• وهناك ظاهرة جديرة بالملاحظة تدل على شدة فقر العلويين، ألا وهى أن أفقر العائلات كانت تضطر للتعاقد على تشغيل بناتها كخادمات فى منازل العائلات الثرية، ومعظمها من السنيين المدينيين الذين كانوا ينظرون للفلاحين العلويين بإزدراء•

٢٤ طبقاً لما ورد فى
Alasdair Drysdale, 'The Regional Equalization of Health Care and Education in Syria since the Ba'thi Revolution', International Journal of Middle East Studies, Vol. 13 (1981), pp. 93-111,
فإن الكاتب يرى أن "تعهد نظام البعث بالحد من التفاوتات الإقليمية والحضرية الريفية ••• بات واضحاً من خلال الجهود المبذولة لتحسين المعيشة فى الريف ••• وجدير بالذكر ان محافظتي اللاذقية ودرعا قد تمتعتا بنمو متفاوت، ربما بسبب المحسوبية الحكومية•"
قارن
Alasdair Drysdale, 'The Syrian Political Elite, 1966-1976: A Spatial and Social Analysis', Middle Eastern Studies, Vol. 17, No. 1, January 1981, pp. 3-30.
من أجل دراسة تتناول التغيير الاجتماعى والاقتصادى فى المناطق الريفية السورية منذ عام ١٩٦٣ وتتناول محافظة اللاذقية كمثال، انظر
Raymond A. Hinnebusch, 'Local Politics in Syria: Organization and Mobilization in Four Village Cases', The Middle East Journal, Vol. 30, No. 1, Winter 1976, pp. 1-24.
Raymond A. Hinnebusch Jr., Elite-Mass Linkage: The Role of the Mass Organizations in the Syrian Political System (n.p., n.d.); Raymond A. Hinnebusch, Peasant and Bureaucracy in Ba'thist Syria: The Political Economy of Rural Development (San Fransisco, 1989).

٢٥ قارن
Talal Akili, Die Syrischen Küstengebiete. Eine Modell-untersuchung zur Regionalplanung in den Entwicklungsländern (Berlin, 1968), pp. 68-84;
Weulersse, Le Pays des Alaouites, pp. 341-2.

الدروز

يقطن أكثر من ٩٠٪ من الدروز السوريين محافظة السويداء الجنوبية، حيث تزيد نسبة تركيزهم الإقليمي عن نسبة العلويين فى اللاذقية (٨٧،٦٪ و ٦٢،١٪ على التوالى)، ويعمل معظم الدروز قاطنى السويداء - مثلهم مثل المسيحيين - فى القطاع الزراعى[٢٦]، وهم موزعون على المنطقة بشكل متوازن نسبياً، حيث نجد أن معظم سكان المناطق الريفية وعاصمة المحافظة من الدروز. اما التفاوت الريفي - المدينى كالموجود فى اللاذقية فهو غير موجود بجبل الدروز. وهناك نقطة إختلاف هامة أخرى هى أن الصفوة التقليدية فى محافظة السويداء كلها من الدروز، بينما تتراوح فى منطقة اللاذقية بين العلويين والسنيين (وأحياناً المسيحيين). وبالتالى، فإن الشعور القوى بالهوية الإقليمية الموجود فى كلتا المنطقتين لا بد وأن يكون مصحوبا بنقص نسبى فى التكامل بمنطقة اللاذقية من جانب ووجود ترابط اجتماعى أقوى فى السويداء من جانب آخر. لذلك، فنحن لا ندهش من وجود نسبة أكبر من التوترات الإقليمية الداخلية فى اللاذقية[٢٧]. لهذا نجد أنه فى جبل الدروز لم يتم السيطرة على معظم السكان الدروز من قبل أعضاء طوائف دينية أخرى، كما لم يصاحب الحكم الإقطاعى للعائلات الدرزية الشهيرة تناقضات طائفية: لقد انحصرت التناقضات الاجتماعية الاقتصادية الطبقية أساساً داخل طائفة واحدة (أى الدرزية) فقط. ولم تحدث بين الدروز علاقات دينية عشائرية إقطاعية كتلك القائمة داخل المجتمع العلوى.

وينحدر معظم دروز منطقة السويداء الحاليين من مهاجرى القرن السابع

---

٢٦ هؤلاء المسيحيون الذين فروا من لبنان فى نفس الوقت مع الدروز لهم نفس العادات والزى واللهجة. أما قاطنو جبل حوران قبل قدوم الدروز فلهم لهجتهم وعاداتهم التى تشبه تلك الخاصة بقاطنى سهل حوران المنخفض. (عارف النكدى، تعريف بمحافظة السويداء (دمشق، ١٩٦٢)، ص ١٢٧). ومن أجل التعرف على تاريخ الدروز ودينهم انظر
Philip K. Hitti, The Origins of the Druze People and Religion (New York, 1928); Sami Nasib Makarem, The Druze Faith (New York, 1974).
قارن الأنباء (بيروت)، ١٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٨، حيث أعلن أن الدروز مسلمون طبقاً لفتوى من الأزهر.

٢٧ **Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', p. 125.**

عشر وبالأخص القرن التاسع عشر من لبنان أو فلسطين أو منطقة حلب. وقد استقرت عائلات بأكملها أو أجزاء من عشائر فى نواحٍ أو قرى معينة، حيث فرضوا بعد ذلك سيطرتهم عليها، نظراً لأنهم كانوا يشكلون الأغلبية العددية أو لكون بعض القرى كادت تتكون بالكامل من أعضاء عائلة واحدة ممتدة[٢٨].

واستأثرت عائلة آل حمدان بزعامة المجتمع الدرزى فى منطقة السويداء لمدة طويلة، ويُذكر أنها كانت تروع الفلاحين الدروز وتعاملهم كعبيد وتحرمهم من أى حق فى ملكية الأراضى. وفى عام ١٨٦٨ فقدت عائلة آل حمدان زعامتها وتولت الزعامة عائلة الأطرش الدرزية الشهيرة والتى استمرت فى قمع الفلاحين ولكنها جوبهت بثورة "العامية" ضد الإقطاع حوالى عام ١٨٩٠ واجبرت على تقديم بعض التنازلات، بما فى ذلك الإعتراف بملكية الفلاحين المحليين لجزء من الأراضى الزراعية. ومنذ ذلك الحين أصبح العديد من الفلاحين الدروز من صغار أو متوسطى ملاك الأراضى. وقد اضطر هؤلاء الذين لا يملكون أرضاً للقيام بأعمال موسمية أو الهجرة للمدن، على أمل تحسين أوضاعهم الاقتصادية[٢٩].

لقد مر مجتمع الدروز بمرحلة طويلة من وجود طبقة حاكمة من العائلات، وخضع هذا بالطبع لمعايير الأوضاع الاجتماعية والعائلية، وتم الالتزام به بشكل خاص أثناء الأحداث والأنشطة الاجتماعية[٣٠]. وقد استخدم الكثير من العائلات الشهيرة مثل الأطرش وأبو عسلى أوضاعهم التقليدية بين هذه الطبقات لدى الصراع على السلطة السياسية فى الانتخابات المحلية، إلا أن سلطة هذه العائلات العريقة قد انحسرت الآن بصورة كبيرة، خاصة منذ الستينات.

---

٢٨ سلامة عبيد، الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ - ١٩٢٧) (دمشق، ١٩٧١)، ص ٦٣-٦٠. يقدم عبيد خريطة لجبل الدروز موضحة المناطق الواقعة تحت سيطرة بعض العائلات الدرزية العريقة.

٢٩ شبلى العسيمى فى عارف النكدى، التعريف بمحافظة السويداء، ص ٢٠، ٥٥-٧٧، ١١٥. قارن هيثم العودات، انتفاضة العامية الفلاحية فى جبل العرب (دمشق، ١٩٧٦).

٣٠ لوصف حى لمثل هذه الأحداث الاجتماعية انظر شبلى العسيمى، فى عارف النكدى، التعريف بمحافظة السويداء، ص ٩٤-٩٦.

وبالنسبة للغرباء فإن مجتمع الدروز بمنطقة السويداء قد بدا فى العادة متماسكا، وخاصة عندما حاولت الحكومة المركزية العثمانية أو الحكومة السورية القائمة فى دمشق أن تفرض سيطرتها على جبل الدروز.

الإسماعيليون

يقطن حوالى ثمانين فى المائة من الإسماعيليين المقيمين فى سوريا محافظة حماة الوسطى، حيث يتواجدون أساساً فى منطقتى مصياف والسلمية وحيث يعمل معظمهم فى القطاع الزراعى. وخلال القرنين التاسع والعاشر كانت السلمية مركزاً لطائفة الإسماعيليين الذين كانوا مهابين بشكل كبير. وفى القرن الحادى عشر فر معظم الإسماعيليين إلى جبال منطقة اللاذقية، حيث وجدوا الملجأ المأمون واستقروا أساساً فى مدينتى مصياف وقدموس وما حولهما. وعلى مر الزمان اجبروا على النزوح تدريجيا من هذه الضواحى الريفية لتلك المدن التى سيطروا عليها اجتماعيا واقتصاديا[٣١]. وفى الأجزاء الريفية من منطقة اللاذقية أبدى العلويون عداءهم بصفة عامة تجاه الإسماعيليين الذين عاد معظمهم إلى مركزهم الدينى السابق فى السلمية منذ أن منحهم السلطان عبد الحميد الثانى جزءاً من أملاك الإمبراطورية هناك فى عام ١٨٤٥.

ومنذ استقلال سوريا تطور الإسماعيليون فى منطقة السلمية اقتصادياً واجتماعياً بصورة أكبر بكثير من إخوانهم فى الدين بجبال العلويين الذين بقوا فقراء ومتخلفين إلى حد ما. ونجد الكثير من الإسماعيليين الذين يشغلون مناصب حكومية على مر العقود فى مجال التعليم والمهن الحرة، وأيضاً قبل تولى حزب البعث زمام السلطة فى عام ١٩٦٣[٣٢] ونزح الكثير من الإسماعيليين إلى المدن، خصوصا بعد ١٩٦٣.

٣١
Weulersse, Le pays des Alaouites, pp. 341, 342, 369, 370.

٣٢ محمود أمين، سلمية فى خمسين قرناً، دمشق، ١٩٨٣.
Wirth, Syrien, pp. 176, 363, 365, 395.

التداخل الطائفي والإقليمي والعشائري والاجتماعي الاقتصادي

إن فئات مثل الطائفية والإقليمية والعشائرية وصراع الطبقات كثيراً ما تستخدم عشوائياً في مناقشات الاتجاهات السياسية والأحداث والأنشطة في العالم العربي، طالما وجدها الكاتب مناسبة لمجادلاته أو حتى عندما تكون بالكاد موضع جدل أو مناقشة، وقلما يتم التدليل على الصلة الوثيقة بين هذه الفئات وبين الموضوع. فالادعاء بأن الولاءات والارتباطات الطائفية والإقليمية والعشائرية و/أو الاجتماعية الاقتصادية تلعب دوراً هاماً في الصراع على السلطة السياسية عندما يكون معروفاً أن الفصائل المتنافسة تنتمي لمجموعات مختلفة داخل تلك الفئات لأمر أيسر بكثير من إقامة الدليل على صحة مثل هذا الادعاء. وهناك العديد من العوامل التي قد تلعب دوراً له نفس الأهمية مثل الإيديولوجية والصراع بين الأجيال والطموح الشخصي والإنتهازية ... الخ[٣٣].

والتأكيد على أو حتى مجرد ذكر الفئات الطائفية والإقليمية والعشائرية في التحليلات السياسية أو الاجتماعية في العالم العربي عادة ما يفسر من قبل الكتّاب العرب القوميين على أنه محاولة لإبقاء الخلاف في هذا العالم وإعاقة عملية التحول من مجتمع إقطاعي و/أو رأسمالي تلعب فيه الطائفية والعشائرية والإقليمية دوراً هاماً إلى مجتمع عربي موحد يتمتع بنظام اشتراكي يركز على المصالح الاجتماعية الاقتصادية وعلى الهوية العربية. وعليه، فالطائفية والإقليمية والعشائرية تعتبر من الأمراض الاجتماعية الخطيرة التي يجب محاربتها بكافة الوسائل الممكنة ، حيث أنه من المؤكد

---

٣٣ انظر أيضاً الفصل العاشر " استنتاجات" . قارن

Raymond A. Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party, and Peasant (San Fransisco, 1990); Raymond A. Hinnebusch, 'Class and State in Ba'thist Syria' in: Richard T. Antoun and Donald Quatart (eds.), Syria: Society, Culture and Polity (Albany, New York, 1991), pp. 29-48; Michael H. Van Dusen, Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army (PhD dissertation, Baltimore, Maryland, 1971); Ronald R. Macintyre. The Arab Ba'th Socialist Party: Ideology, Politics, Sociology and Organization (PhD thesis, Australian National University, 1969); Ronald R. Macintyre, 'Syrian Political Age Differentials 1958-1966', The Middle East Journal, Vol. 29, No. 2, Spring 1975 1975, pp. 207-13.

أنها تقوى مسببات الخلاف داخل المجتمع وتمنع الصراع الطبقى[٣٤].

وهذه الدراسة ترتكز على إفتراض تطور القومية العربية والولاءات الطبقية داخل المجتمع العربي، بحيث تحل جزئيا محل الولاءات والالتزامات الانصرافية التقليدية. بيد أن هذه الدراسة لا تفترض أن القومية العربية والوعى الطبقى كانا دائمى الوجود وجرى قمعهما من جراء تلك الولاءات. لقد كان من المعتاد قبل ظهور القومية العربية التفكير من منطلق الأمور الدينية والإقليمية والعشائرية وليس من منطلق الأمور الاجتماعية الإقتصادية أو القومية، خاصة فيما يتعلق بتحقيق الذات وإذا كان لناأن نستخدم الفئات التاريخية وليس الإيديولوجية[٣٥].

وسهولة تداخل الفئات الطائفية والإقليمية والعشائرية يجعل من العسير تحديد أيها يلعب دورا فى موقف معين. فإذا ما حدث مثل هذا التداخل يكون هناك خطر من تفسير الولاءات العشائرية على أنها ولاءات إقليمية و/أو طائفية مثلا، أو العكس. وقد يكون التداخل نتيجة تجمع إقليمي لمجتمعات دينية وعشائر معينة في مناطق أو محافظات محددة، خاصة وأن المجموعات العشائرية كثيرا ما تنتمي إلى نفس المجتمع الديني، كما أن العناصر العشائرية والطائفية ترتبط أحيانا ببعضها البعض إرتباطا وثيقا[٣٦]. وفى هذا

---

٣٤ يتم عرض آراء البعثيين السوريين الذين تقلدوا زمام السلطة فى ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ حول المشكلات الطائفية والإقليمية والعشائرية كأمراض إجتماعية وسياسية فى "المناضل"، العدد الثالث، أبريل (نيسان) ١٩٦٦، ص ١٣ . انظر الملحق (أ) لنص المقالة المذكورة.

٣٥ قارن
Kedourie, The Chatham House Version and Other Middle Eastern Studies, pp. 386-7.

٣٦ لمناقشة مفاهيم المجتمع الدينى والعشيرة والطبقات الاجتماعية الاقتصادية وأوجه التشابه والخلاف بينها، انظر ناصيف نصار، نحو مجتمع جديد: مقدمات أساسية فى نقد المجتمع الطائفى (بيروت، ١٩٧٠)، ص ٩٦ - ١٠٣ . وانظر أيضا:
James A. Bill, 'Class Analysis and the Dialectics of Modernization in the Middle East'. International Journal of Middle East Studies, 3 (1972), pp. 417-434; Ilya F. Harik, 'The Ethnic Revolution and Political Integration in the Middle East', International Journal of Middle East Studies, 3 (1972), pp. 303-23; C.A.O. van Nieuwenhuijze (ed.), Commoners, Climbers and Notables. A Sampler of Studies on Social Ranking in the Middle East (Leiden, 1977), pp. 1-82.

الصدد نجد مثالاً واضحاً على ذلك فى الأقليات الدينية المتماسكة والعشائر التى تنتمى إلى هذه الأقليات.

وقد تتداخل الجماعات الطائفية والإقليمية والعشائرية بدورها جزئياً مع الفئات الإجتماعية الإقتصادية: فينتمى شخص ما إلى طبقة إجتماعية معينة أو مجتمع دينى أو عشيرة ويكون أحد سكان منطقة معينة فى آن واحد. وهناك تباين كبير بين فئات مثل المجتمع الدينى والطبقة الإجتماعية الاقتصادية. وعليه، فيمكن اعتبار الطبقة الاجتماعية الاقتصادية طبقة اجتماعية أفقية حيث ينطبق على أعضائها خواص اجتماعية اقتصادية معينة. ومن جانب آخر، فإن المجتمع الدينى عادة ما يشمل طبقات إجتماعية اقتصادية مكونة بشكل ما تقسيماً عمودياً لبعض الطبقات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة. وهكذا، يمكن أن يكون للطبقة الاجتماعية الإقتصادية مستوى تماس مع العديد من المجتمعات الدينية.

فمن ناحية نجد، أن نمو الوعى الطبقى قد يعيق بالتحديد تضامن الشخص مع مجتمعه الدينى، حيث يشمل هذا المجتمع فى العادة طبقات اجتماعية إقتصادية مختلفة. ومن ناحية أخرى، قد يكون للولاءات الطائفية تأثير مساعد فى إنطلاق صراع طبقى، إذا ما تطابقت التناقضات الطائفية مع التباين الإجتماعى الإقتصادى، وفى مثل هذه الحالة يمكن توجيه الصراع الطبقى من خلال قنوات طائفية. وعليه، فإذا ما تداخلت الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية والاجتماعية الإقتصادية فيمكنها أن تكمل وتعضد بعضها البعض. ويمكن ملاحظة ذلك بوضوح فى حالة الأقليات الدينية المتماسكة والتى تتطابق فئاتها إلى أبعد حد.

إن البعد الطائفى للإنقسام الثنائى الريفى المدينى فى سوريا لجدير بالملاحظة. فبينما تتركز الأقليات الدينية المتماسكة أساساً فى المناطق الريفية الفقيرة المحرومة، نجد أن المناطق الأكثر ثراء والمدن الأكبر يهيمن عليها سنيون. ولدى وصف جاك ويلرس للتناقض الريفى المدنى فى الأربعينات كتب الآتى:

إن العداء بين سكان الريف وسكان المدن يصل إلى حد يصبح عنده بالإمكان التحدث عن شعبين مختلفين يتعايشان داخل إطار سياسى واحد دون أن يختلطا، والفلاح هو

الذى يتكبد نتائج هذا العداء لأن البناء الاجتماعى الاقتصادى يقوم أساساً على صدارة المدن بلا منازع[٣٧].

وإذا ما أخذنا فى الإعتبار التناقضات الريفية المدينية فى آن واحد مع عقدة الأقليات التى تطرقنا إليها فيما قبل يصبح من السهل علينا أن نتفهم أن التناقض بين السنيين قاطنى المدن الكبرى وأعضاء الأقليات الدينية قاطنى المناطق الريفية لا بد وأنه كان أضخم بكثير من التناقض بين أبناء الدين الواحد قاطنى المدن والريف. وبالتالى، يصبح من المستحيل الفصل بين العوامل الطائفية والجغرافية أثناء تحليل .أى علاقة بين السنيين المدينيين والأقليات الدينية الريفية. وكذلك فإنه من الصعب جداً - إن لم يكن مستحيلاً - عزل الفئات الطائفية أو الإقليمية أو العشائرية أو الاجتماعية الاقتصادية عندما تتداخل بشكل كبير وتبدو كوحدة واحدة غير قابلة للفصل. تلك هى حالة أعضاء الأقليات الدينية المتماسكة كالعلويين والدروز والإسماعيليين والذين كما سنوضح فى الفصول القادمة قد لعبوا دوراً بارزاً وجوهرياً فى الصراع على السلطة السياسية فى سوريا فى الفترة منذ عام ١٩٦٣.

٣٧

Weulersse, Paysans de Syrie et du Proche Orient, p. 85.

الفصل الثانى

ظهور الأقليات فى القوات المسلحة السورية وحزب البعث

التمثيل القوى لأعضاء الأقليات فى حزب البعث

لقد لاحظنا فى مقدمة هذه الدراسة أن كثيراً من الأحزاب السياسية السورية قد عكست مصالح إقليمية، وأن مؤيدى تلك الأحزاب كثيراً ما تركزوا فى مناطق معينة. بالإضافة إلى ذلك، فإن الجماعات السياسية بغض النظر عن آرائها السياسية غالباً ما تكونت من خلال قنوات اجتماعية تقليدية. والعامل الأخير بالأخص كان مسئولاً إلى حد كبير عن استمرار وجود الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية فى الحياة السياسية السورية. وقد انعكس ذلك بوضوح فى حزب البعث الذى تقلد زمام السلطة فى سوريا عام ١٩٦٣[١].

وبالرغم من أهداف حزب البعث الإيديولوجية والتى تضمنت استبدال الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية بالمبادىء القومية والمشاعر الاجتماعية الاقتصادية الجماعية، إلا أنه تم تأسيسه لحد كبير من خلال قنوات اجتماعية تقليدية[٢]. لذلك، فالوسائل المتبعة فى تطويره خلال مراحله الأولى

---

١ يعتبر الحزب الشيوعى السورى مثالاً آخر لحزب له اتجاهات إيديولوجية، تم بناؤه من خلال قنوات إجتماعية تقليدية. ونظراً للتمثيل القوى للأكراد فقد فشل فى الحصول على تأييد واسع بين المجموعات الأخرى من سكان سوريا. ومنذ وقت قريب فى أوائل السبعينات تذمر أحد قادة الحزب الشيوعى السورى من كون تنظيم حزبه قد فشل فى الحصول على تأييد واسع بين أغلبية العرب بسبب "الشوفينية القومية المحدودة" لأعضاء الحزب الأكراد. انظر قضايا الخلاف فى الحزب الشيوعى السورى (بيروت، ١٩٧٢)، ص ٤١٥ . قارن محمد طلب هلال، دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحى القومية والإجتماعية والسياسية، ص ٩١ - ٩٤ .

٢ قارن المادة (١٥) من دستور حزب البعث العربى الإشتراكى: "الرابطة القومية هى الرابطة الوحيدة القائمة فى الدولة العربية التى تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم فى بوتقة واحدة، وتكافح سائر العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية والعرقية والإقليمية." (بشير الداعوق، نضال البعث، المجلد الأول (الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٠)، ص ١٧٦.)

ليصبح حركة سياسية كان لها تأثير حاسم على البنية الإجتماعية لأعضائه فى الفترات اللاحقة.

لقد تم تأسيس حزب البعث بدمشق عام ١٩٤٠ على يد ميشيل عفلق وهو مسيحى من الروم الأرثوذكس وصلاح الدين البيطار وهو مسلم سُنى، وكلاهما ينتمى إلى الطبقة الدمشقية البرجوازية الصغيرة، وكانا مدرسين بمدرسة التجهيز الثانوية التى جندا منها معظم أعضاء الحزب الأوائل. ورغم أن عفلق والبيطار من دمشق، إلا أن معظم أعضاء الحزب الأوائل كانوا من المهاجرين من الريف الذين قدموا إلى العاصمة السورية لاستكمال دراستهم.

وقد امتد تنظيم حزب البعث تلقائياً من دمشق إلى مناطق سورية أخرى، دون أن يكون هناك برنامج عمل واضح. واعتمد نمو التنظيم بدرجة كبيرة على المبادرات الشخصية للأعضاء الأوائل فى مسقط رأسهم، مما أدى إلى تطور الحزب فى بعض المناطق كجبل الدروز، حيث تمكن الحزب من حشد وتجنيد العديد من المؤيدين بشكل يفوق ما حدث فى مناطق أخرى[٣].

أما فى العاصمة السورية دمشق فقد كان عدد السكان الأصليين الذين إنضموا للحزب قليلاً جداً. وفى الواقع، لم يبذل الأعضاء المؤسسون للحزب أية جهود جدية لكسب تأييد سكان العاصمة دمشق، حيث كانوا قانعين

---

٣ شبلى العسيمى، حزب البعث العربى الاشتراكى، ١ ، مرحلة الأربعينات التأسيسية ١٩٤٠-١٩٤٩ (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٨٦-٩٩؛ سامى الجندى، البعث (بيروت، ١٩٦٩)، ص ٣٨؛ جلال السيد، حقيقة الأمة العربية وعوامل حفظها وتمزيقها (بيروت، ١٩٧٣)، ص ٣٩٤-٤٠٥؛ منيف الرزاز، التجربة المرة (بيروت، ١٩٦٧)، ص ١٥٨؛ مطاع الصفدى، حزب البعث، مأساة المولد ومأساة النهاية (بيروت، ١٩٦٤)، ص ٦٨-٧١؛
R.R.Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 93-100; John F. Devlin, The Ba'th Party, A History from its Origins to 1966 (Stanford, California, 1976), p. 39.
مطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٦٨، يرى أن التمثيل القوى للدروز فى حزب البعث يرجع جزئياً للعلاقة الخاصة بين عفلق وبعض عائلات جبل الدروز: "كان لعفلق، بحكم انتمائه إلى عائلة مسيحية تسكن حى (الميدان) فى دمشق، وتتعامل كأكثر عائلات (الميدان) مع الجنوب، أى حوران وجبل العرب (الدروز)، كان لعفلق صداقات عائلية مع بعض الأسر الدرزية. وعن هذا الطريق انتقل الحزب بسرعة إلى مثقفى الدروز من طلاب الثانويات فى دمشق والسويداء مركز محافظة جبل العرب." قارن
Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', p. 129.

بالنجاح الأسهل الذى حققوه في تجنيد طلبة المناطق الريفية[٤]:

وكتب سامى الجندى، أحد أعضاء الحزب الأوائل، يقول:

> كان كل المنتسبين للحزب في دمشق من العناصر الشابة الطلابية القروية التى كانت تؤم الجامعات والثانويات بين ١٩٤٠ - ١٩٥٥، حتى إذا انتهت عادت إلى مسقط رأسها فتوالى نشاطها· ولقد كانت الشروط الإجتماعية فى الريف مؤاتية لنشوء الحزب وامتداده فتضخم فيه وظل هزيلاً فى المدن، وخاصة دمشق· ومع الزمن أصبح جسماً كبيراً برأسٍ صغير[٥]·

إن مبادىء الحزب الإشتراكية قد سهلت رسوخه بالقرى والمناطق الريفية الفقيرة المحرومة، بعكس الحال فى المدن الكبرى التى كانٍ يسيطر على مسرحها السياسى التجار والبرجوازيون المحليون· ونظرا لأن الأقليات الدينية المتحدثة بالعربية تتركز أساساً فى المناطق الريفية ومعظم سكان المدن الكبرى من السنيين، فإنه من المنطقى أن يكون أعضاء الأقليات هم المسيطرون داخل حزب البعث· وبينما لم يساهم العنصر الإشتراكى للإيديولوجية البعثية إلا بصورة غير مباشرة، أى بسببِ التداخل بين العوامل الطائفية والجغرافية ليصل الأمر إلى تمثيل قوى نسبياً لأعضاء الأقليات داخل حزب البعث، إلا أنه كان هناك سبب مباشر آخر وهو الخاصية غير الدينية (العلمانية) للقومية العربية بحزب البعث·

وفى الماضى كانت الحركة القومية العربية دائمة الامتزاج مع عقيدة إسلام أهل السنة· والعرب السنيون الذين كانوا يقومون بدور بارز فى هذه الحركة أسندوا دوراً جوهرياً فى عروبتهم للإسلام (السنى)، حتى أصبح للمسلمين غير السنيين، وبالأحرى المسيحيين، منزلة ثانوية: "أتباع جبناء" لا بد لـ "رؤسائهم" (العرب السنيين) أن يتحملوهم[٦]· وفى الواقع نجد أن

---

٤ سامى الجندى، البعث، ص ٣٩-٤٠ ·

٥ المصدر السابق، ص ٣٨·

٦
Sylvia Haim, Arab Nationalism, an Anthology (Berkeley and Los Angeles, 1964), p. 57; A.R. Kelidar, 'Religion and State in Syria', Asian Affairs, (new series) vol. 5, February 1974, p. 22.

كثيراً من السنيين المنتمين للحركة القومية العربية كانوا يميلون لاعتبار أعضاء الحركة من الأقليات الدينية المتحدثين بالعربية "عرباً منقوصين" لاعتبارهم مسلمين غير سنيين "مبتدعين" أو غير مسلمين على الإطلاق. ومقابل هذا نجد أن الأقليات الدينية كانت تميل لاعتبار القومية العربية مجرد قناع لهيمنة السنيين المفرطة، تماماً كما كان الحال أثناء الإمبراطورية العثمانية مع فارق واحد ألا وهو هيمنة السنيين العرب بدلاً من السنيين الأتراك[٧].

لقد كان لإيديولوجية حزب البعث أسس مختلفة تماماً، فقد أراد الحزب مجتمعاً عربياً علمانياً موحداً ذا نظام اشتراكى، أى مجتمعاً يتساوى فيه العرب أجمعين، بغض النظر عن دينهم. ولم يكن هذا يعني أن الإسلام أمر ثانوي بالنسبة لعروبة حزب البعث. فقد كان البعث يرى أن الإسلام يشكل عاملاً ضرورياً لا يمكن عزله عن التراث القومى العربى. وبجانب اختلافه مع وجهات نظر السنيين تجاه العروبة، فإن حزب البعث لا يعتبر الإسلام ديناً قومياً عربياً فحسب، بل أيضاً تراثاً عربياً ثقافياً قومياً يتوارثه كل العرب بالتساوى، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين. ويرى ميشيل عفلق وهو واضع إيديولوجية حزب البعث أن العرب المسيحيين يجب ألا يشعروا بوجود ما يمنع من كونهم عرباً قومنيين بأية طريقة :

> فعلاقة الإسلام بالعروبة ليست إذاً كعلاقة أى دين بأية قومية. وسوف يعرف المسيحيون العرب، عندما تستيقظ فيهم قوميتهم يقظتها التامة ويسترجعون طبعهم الأصيل، أن الإسلام لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها حتى يفهموها ويحبوها فيحرصوا على الإسلام حرصهم على أثمن شيء فى عروبتهم[٨].

٧

Hourani, Syria and Lebanon, A Political Essay (third impression, London, 1954), p. 128.

٨ ميشيل عفلق، فى سبيل البعث (الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٣)، ص ٥٣ - ٥٤، ٥٨ . (وجدير بالملاحظة أن ميشيل عفلق، وهو مسيحى من طائفة الروم الأرثوذكس ومؤسس حزب البعث والأمين العام الأول له، ظل طويلاً رمزاً للعلمانية والمساواة بين الطوائف الدينية المختلفة داخل الحركة القومية العربية البعثية. وقد اعتنق الإسلام على ما يبدو بطريقة غير علنية فى أواخر أيامه. فقد دفن كمسلم فى بغداد، بعد أن توفى فى المنفى بباريس فى ٢٣

ولذا كان طبيعياً أن تستميل إيديولوجية حزب البعث أبناء الأقليات الدينية المتحدثين بالعربية بشدة. فهؤلاء أصبحوا يأملون فى أن يساعدهم حزب البعث فى تحرير أنفسهم من وضعهم كأقليات ومن الإطار الإجتماعى الضيق الذى تفرضه عليهم الروابط الطائفية والإقليمية والعشائرية[٩].

وأخيراً، فإن أعضاء الأقليات لا بد وقد جذبت إنتباههم فكرة إمكانية التخلص من الهيمنة السنية المدنية التقليدية على الحياة السياسية السورية، وذلك عن طريق تكوين نظام سياسى إشتراكى علمانى كما يتخيله حزب البعث، خال من التعصب السياسى والاجتماعى الاقتصادى ضد من هم من غير السنيين، وبالأخص ضد أعضاء المجتمعات الإسلامية غير السنية[١٠].

يونيو (حزيران) ١٩٨٩ عن عمر يناهز التاسعة والسبعين). ولم تُطرح قضية اعتناق عفلق للإسلام للمناقشة فى ذلك الوقت. وليس واضحاً ما إذا كانت هذه الخطوة الاستثنائية من جانبه،أى، اعتناقه الإسلام فى سن متقدمة، ترمز لبعض البعثيين إلى فشل العروبة العلمانية، أو أنهم اعتبروها خطوة فردية.

ومن بين العرب المسيحيين، إتخذ الروم الأرثوذكس بوجه عام موقفاً إيجابياً تجاه القومية العربية. وبالمقارنة بمجتمعات مسيحية عربية أخرى نجد أن "هويتهم العربية" تأثرت بالكاد من تدخل القوى الأوروبية فى الشئون الداخلية للإمبراطورية العثمانية. وفى عام ١٩١٧ مع ثورة أكتوبر الروسية إنقطعت الروابط التقليدية بين المسيحيين من الروم الأرثوذكس وروسيا. وبعد ذلك وعقب ضياع "الحامى" الأجنبى فضل الكثير منهم الانضمام للحركة القومية العربية. قارن

Hourani, Syria and Lebanon, p. 144; Hourani, Minorities in the Arab World, p. 36; Biegel, Minderheden in het Midden-Oosten, p. 112.

٩ قارن محمد عمران، تجربتى فى الثورة (بيروت، ١٩٧٠)، ص ٨؛

Biegel, Minderheden in het Midden-Oosten, pp. 97-104.

هناك أحزاب سياسية سورية أخرى اجتذبت الكثير من أعضاء الأقليات إلى حد ما، بسبب إيديولوجياتها العلمانية كالحزب الشيوعى السورى والحزب السورى القومى الاجتماعى.

١٠ مطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٦٩، يسوق حجة أن البعث كان فى الأصل حركة طائفية ترمى إلى إستئصال النظام التقليدى الواقع تحت هيمنة السنيين. فيكتب قائلاً إن الأقليات الدينية وعلى رأسها العلويون ويليهم الدروز والإسماعيليون والمسيحيون كانوا "الأكثر طموحاً إلى غزو هرم المجتمع القديم التقليدى الذى تسيطر عليه طبقات المدن الإسلامية السنية فى الدين". ونقداً لوجهة نظر الصفدى بأن البعث كان يسوده أقليات دينية منذ البداية، انظر

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 93-100.

الحواجز الاجتماعية التقليدية أمام التوسع الطبيعى لحزب البعث

إن حقيقة أن الكثير من البعثيين الأوائل كانوا من الاقليات وأبناء الريف قد شكلت فيما بعد عائقاً اجتماعياً أمام إنضمام أبناء المدن والسنيين إلى البعث، وذلك بسبب التناقضات التقليدية بين المجتمعات الريفية والمدينية وبين السنيين والأقليات الدينية. إن مثل هذه الحواجز الاجتماعية التقليدية قد عرقلت التوسع الطبيعي لمنظمة الحزب فى أرجاء الوطن، وظهر ذلك جلياً فى فترة الستينات عندما تقلد حزب البعث زمام السلطة. ويمكن توضيح ذلك من خلال فرعى الحزب فى دمشق وحماة وتنظيم الفلاحين التابع للحزب.

فرع دمشق

لقد كان عدد أعضاء الحزب من سكان دمشق الأصليين قليلاً نسبياً، وتوجد وثيقة حزبية داخلية يرجع تاريخها إلى عام ١٩٦٥ ذكر فيها ان "دمشق نفسها أغلقت أبوابها ذات يوم فى وجه الحزب والثورة" (ثورة الثامن من مارس (آذار) عام ١٩٦٣)[١١].

إن التناقضات المدينية الريفية والتناقضات بين الدمشقيين وغير الدمشقيين ظهرت بوضوح بين أعضاء فرع دمشق وأدت فى عام ١٩٦٤ إلى توقف نشاطات الحزب بالفعل. وبعبارة أخرى، فإن كون معظم قيادة فرع دمشق من غير الدمشقيين قد تسبب فى ركود نشاطات الحزب فى العاصمة السورية. وفي أوائل عام ١٩٦٥، وكمحاولة لتنشيط الحزب ثانية، قررت القيادة القطرية السورية لحزب البعث إستبدال ثلاثة أعضاء "ريفيين" من قيادة فرع دمشق بآخرين دمشقيين[١٢]. وعلاوة على ذلك، تقرر فصل الريفيين

---

١١ التقرير التنظيمى ١٩٦٥، ص ٢٨. طبقاً لحنا بطاطو فإنه "لم يكن هناك سوى ١٢ دمشقياً من بين حوالى ٦٠٠ عضو بالحرس الوطنى البعثى بالعاصمة السورية عام ١٩٦٤". انظر
Hanna Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', The Middle East Journal, Vol. 35, Summer 1981, p. 339.

١٢ المصدر السابق، ص ٢٨.

والمدينيين القاطنين دمشق تنظيمياً، وذلك عن طريق فصل شعبة الغوطتين (واحتان مجاورتان بدمشق) عن فرع الحزب بالعاصمة· وهكذا، أمكن تنظيم نشاط المدينيين والريفيين بشكل أيسر· وفي نفس الوقت، أمكن الحد من التناقضات المدينية الريفية التي كانت قد ظهرت داخل جهاز الحزب[١٣]·

فرع حماة

لم يحظ حزب البعث في مدينة حماة وغالبيتها من السنيين بالكثير من التأييد· فبالمثل، شكلت التناقضات المدينية الريفية عاملاً هاماً تسبب في ركود نشاط الحزب في عام ١٩٦٤ ·

بيد أنه كان هناك إختلاف جوهري عن الوضع في محافظة دمشق ألا وهو أن التناقضات المدينية الريفية في مدينة حماة كانت مصحوبة ومحجوبة بالاختلافات الطائفية· ويرجع ذلك إلى أن المناطق الريفية المحيطة بحماة كانت آهلة بالسكان من الأقليات الدينية بمن فيهم الإسماعيليون والعلويون والمسيحيون الروم الأرثوذكس الذين كانوا يشكلون أعداداً لا يُستهان بها·

وفي أبريل (نيسان) ١٩٦٤ حدث في حماة عصيان ذو مسحة طائفية ضد حزب البعث، لعب فيه الأخوان المسلمون المحليون دوراً هاماً· وقد أدى القمع الدموي لهذا العصيان إلى زيادة إتساع فجوة الخلاف بين غالبية سكان المدينة وهم سنيون وغالبية قيادات نظام حزب البعث وهم من الأقليات[١٤]·

---

١٣ في وقت سابق في عام ١٩٦٣ تكون فرع حزبي منفصل عُرف بفرع الأطراف للمناطق المحيطة الأخرى وضواحي دمشق· انظر التقرير التنظيمي ١٩٦٥، ص ٢٩ · انظر أيضاً
A. Ben-Tsur, 'Composition of the Membership of the Ba'th Party in the Kuneitra Region", Hamizrah Hedadash, Vol. XVIII (1968), pp. 269-73.

١٤ يُعزى القمع الوحشي للعصيان المسلح في حماة لعملية ثأر طائفية قام بها العقيد الدرزي البعثي الشهير حمد عُبيد· وفي فبراير (شباط) ١٩٥٢ تم قمع عصيان مسلح في جبل الدروز دموياً بواسطة ضباط حمويين سنيين، ساندوا فيما بعد نظام أديب الشيشكلي، وهو أيضاً سني من حماة· (مطاع الصفدي، حزب البعث، ص ٣٤١؛ الحياة، ٢٤ أبريل (نيسان) ١٩٦٤؛ انظر أيضاً الزمان، ٢١ أبريل (نيسان) ١٩٦٤؛ وفؤاد الأطرش، الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٣٧٤ ·)

وكأثر جانبى لذلك تخلخلت نشاطات حزب البعث فى مدينة حماة بصورة خطيرة، حتى توقفت تماماً • وقد اقترح بعض قادة الحزب المحليين فيما بعد إنشاء فرع منفصل فى مدينة حماة لا يضم المناطق الريفية المحيطة بأقلياتها الدينية• فقد بدا هذا حلاً لوضع حد للطريق المسدود الذى وصلت إليه نشاطات الحزب، إلا أن هذا الاقتراح رفض من قبل القيادة القطرية السورية بحجة أن "ذلك لن يفعل سوى أن يزيد من روح الإقليمية والطائفية الموجودة داخل فرع الحزب"[١٥]•

ومما هو جدير بالملاحظة أن القيادة القطرية فى محاولتها فيما يبدو لمقاومة الإتجاهات الطائفية لم تسمح بإنشاء فرع مستقل للحزب بمدينة حماة فى حين أنها وافقت فيما سبق على مثل هذا الحل لدى معالجتها لخلافات فرع دمشق• ففى الحالة الأخيرة كان الوضع أقل تعقيداً بصدد الطائفية، لأن معظم سكان مدينة دمشق وقاطنى المناطق الريفية المجاورة كانوا سنيين•

تنظيم الفلاحين

واجه تنظيم الفلاحين بحزب البعث خلال الستينات صعوبات تنظيمية شابهت فى كثير من النواحى تلك التى حدثت بفرعى دمشق وحماة• هذا، وقد عرقل نشاطاته ونموه حواجز اجتماعية تقليدية تسللت لجهاز الحزب نتيجة سياسات التجنيد الخاطئة، وقد تلخص الوضع فى تقرير تنظيمى نُشر من قبل مكتب الفلاحين للحزب عام ١٩٦٥ كما يلى:

أيها الرفاق،
ان أسلوبا خاطئا اتبع فى كثير من الاحيان أثناء عملنا فى الريف كان يقوم على :
١- الاقتصار فى التنظيم الحزبى على عائلة واحدة، او طائفة واحدة، او على قبول الوافدين الاول الينا، مما ادى الى ان تقف الاطراف الاخرى فى القرية لا ضد الحزب، بل ضد المنظمين فى القرية •• وتدعى انها هى التى تؤيد الحزب وتقف الى جانبه• ناهيك عن العناصر الضعيفة التى نظمت ••
٢- تركيز المسؤوليات كلها فى يد احد المنظمين فى الحزب، كان يعنى مختارا

---

١٥ التقرير التنظيمى ١٩٦٥، ص ٣١ •

ويقترح للاتحاد او الرابطة، وللغرفة الزراعية ••• الخ وكان ليس فى القرية غيره من الفلاحين المخلصين الشرفاء، وهذا ادى بالنتيجة الى :
أ - خلق وجاهات جديدة بين الفلاحين
ب- وضع حاجز بين الحزب وبقية الفلاحين فى القرية
٣- عدم الانتقاء السليم والصحيح لمن يجب ان تنظمهم من الفلاحين، وسبب ذلك غياب الاسلوب الواعى الهادف، عن ذهن الرفاق الحزبيين الذين يعملون فى الريف كأن ننظم مختار القرية، او المالكين المتوسطين، او المتنفذين فى العائلات، وهؤلاء الوجهاء سابقاً، يعودون الى وجاهاتهم من جديد •• ولكن تحت ستار التنظيم الحزبى وينظمون انصارهم من الفلاحين الذين لا يشعرون ابدا بأى تغير جدى ملموس فى عهد الحزب[١٦]•

ولذا، فعلى سبيل المثال، نجد أن تجنيد وانضمام أعضاء جدد لتنظيم الفلاحين من الفلاحين الإسماعيليين بمنطقة معينة فى المرحلة الأولى قد حرم فلاحين سنيين من الانضمام للتنظيم فى مرحلة لاحقة•

الشقاق الحزبى الانصرافى داخل جهاز حزب البعث المدنى

عندما استولت مجموعة من الضباط البعثيين وآخرين على مقاليد الحكم فى ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ فى انقلاب عسكرى، كان عدد أعضاء حزب البعث المدنيين يقل كثيراً عن ما يكفى (حوالى ٤٠٠) لتحمل مسئولية الحكومة الكبيرة التى نجح القادة العسكريون البعثيون فى المطالبة بها نيابة عنهم[١٧]•

---

١٦ المناضل، رقم ٢، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٥، ص ١٠

١٧ قارن
Paul Balta, 'La Syrie Baasiste, An VIII, II - L'armée, source du pouvoir', Le Monde, 24 March 1971.
قبل الوحدة بين مصر وسوريا فى ١٩٥٨ كان للبعث تنظيم حزبي كبير فى سوريا• بيد أن هذا تم حله عام ١٩٥٨ بناء على طلب الرئيس المصرى جمال عبد الناصر الذى جعل حل الأحزاب السياسية السورية شرطاً مسبقاً للوحدة• ولم تقرر القيادة القطرية السورية لحزب البعث إعادة بناء الجهاز الحزبى فى سوريا إلا فى مايو (نوار) ١٩٦٢، أى بعد أكثر من نصف عام من انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة• ولم ينضم الكثير من البعثيين القدامى لتنظيم الحزب السورى الذى أعيد تشكيله، بل انضموا لحركات سياسية أخرى كالناصرية أو الأحزاب السياسية التى تم تشكيلها مؤخراً كالوحدويين الإشتراكيين• وهناك

لذا، قرر المكتب التنظيمي لقطاع الحزب المدنى السورى المشكل حديثاً زيادة أعضاء الحزب المدنيين بدرجة كبيرة وأصدر قراراً فى هذا الشأن بترقية "أنصار" الحزب فوراً لمرتبة "عضو عامل"، مع حقه فى الاشتراك فى انتخابات الحزب وترشيح أشخاص للعضوية[١٨]. وتوضح وثيقة حزبية يرجع تاريخها لعام ١٩٦٥ أن أى عضو جديد كان عليه أن ينتظر فترة أطول قبل أن يصبح عضواً عاملاً: ثمانية عشر شهراً كـ "نصير" ومدة مماثلة كـ "عضو متدرب"[١٩].

وقد استفاد بعض قادة الحزب من إجراءات القبول المتساهلة هذه وضموا أقرباء وأصدقاء ومعارف لجهاز الحزب كأعضاء عاملين، دون الحاجة لتوافر معايير معينة مشددة مثل مستوى معين من التعليم أو التعرف على المبادىء الإيديولوجية للحزب والالتزام بها. علاوة على ذلك، لم يكن هناك فى

بعض البعثيين السوريين الذين ظلوا فى تنظيم سرى بعد حل حزبهم رسمياً فى فبراير (شباط) ١٩٥٨، خاصة فى منطقة اللاذقية ودير الزور وحوران. وبعد انقلاب مارس (آذار) ١٩٦٣ لعب هؤلاء الأعضاء الحزبيون الذين يشار إليهم فى بعض نشرات الحزب بالقطريين دوراً بارزاً فى الجهاز الحزبى المدنى السورى. ويرجع الفضل فى ذلك لروابطهم القوية مع قادة التنظيم العسكرى لحزب البعث الذى تقلد السلطة الحقيقية فى سوريا. لمزيد من التفاصيل انظر:

Nikolaos van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme bij de Strijd om de Politieke Macht in Syrië (1961-1976) (Doctor's dissertation, University of Amsterdam, 1977), pp. 84-89.

قارن مطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٢٩١، ٢٩٤، ٣٢٧، ٣٢٨؛ المناضل، ملحق، رقم ٥، يونيو (حزيران) ١٩٦٦، ص ٤؛

Nikolaos van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958-1966)', Orient, 1973/1, March 1973, pp. 11, 12.

١٨ بشير الداعوق، نضال حزب البعث العربى الإشتراكى عبر مؤتمراته القومية، المؤتمر القومى الثامن (نيسان ١٩٦٥) (بيروت، ١٩٧٢)، ص ٢٢١، ٢٢٤، ٢٣٢ . وكان هذا القانون معروفاً عند القواعد الحزبية بأنه "قانون الزحف". قارن التقرير التنظيمى ١٩٦٥، ص ٤٥ . فى العام اللاحق لإنقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ تضاعف عدد أعضاء حزب البعث خمس مرات (منيف الرزاز، التجربة المرة، ص ١١٠).

١٩

Itamar Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963-66; The Army-Party Symbiosis (Jerusalem, 1972), p. 230.

الكثير من الحالات وثائق رسمية حزبية للتحقق من عدد وهوية أعضاء الحزب السابقين ورتبهم فى الحزب وطريقة قبولهم· لذلك لم يكن الأمر عسيراً على هؤلاء القادة وأنصارهم من تحويل تكوين بعض فروع الحزب جذرياً لمصلحتهم الشخصية[٢٠]·

ونتيجة لذلك تكون عدد من الكتل الحزبية ارتبط أعضاؤها ببعضهم البعض عن طريق خلفية إقليمية أو عشائرية أو طائفية مشتركة أكثر من كونها مبادىء عقائدية·

وقد كان لهذا آثار خطيرة فيما بعد على الصراع على السلطة فى تنظيمات حزب البعث المدنية والعسكرية، حيث أن هذا قد أضعف الإنضباط الحزبى، مع الأخذ فى الإعتبار لجميع العواقب السلبية لمثل هذا الأمر· وقد أوضح التقرير التنظيمى لعام ١٩٦٥ الشكاوى التالية·

> ان ضعف العلاقات الموضوعية فى الحزب سواء بين الأعضاء أو بين المنظمات هو اكثر الظاهرات السلبية خطورة على تماسك الحزب التنظيمى وقدرته على التلاحم والحركة ونموه نمواً عضوياً متجانساً · ويمثل فساد هذه العلاقات ضمور الروح الرفاقية بين الأعضاء وقيام العلاقات الشخصية بدل العلاقات الحزبية وتقسيم الولاء بين المنظمة والتكتلات الموجودة فى الحزب وتهدد الحزب نتيجة ذلك الخطر تسرب امراض الواقع البرجوازى الاقطاعى العشائرى الطائفى الى قلب الحزب· ان ضعف العلاقات الموضوعية داخل الحزب ادى الى ضعف الانضباط الحزبى[٢١]·

كما انتقد التقرير التنظيمى وجود الكتل المتنافسة داخل الحزب، والتى كانت فى الكثير من الأحيان لا تقوم حتى على إختلافات إيديولوجية:

> إن ما اصاب ويصيب الحزب حتى الان، ايها الرفاق، ليس الانقسام الى اجنحة - يمينية - يسارية - ثورية - انتهازية - بل هى تجمعات ليس من خط سياسى اساسى او مضمون طبقى يستطيع ان يحدد ملامح كل منها بصورة قاطعة[٢٢]·

---

٢٠ التقرير التنظيمى ١٩٦٥، ص ٣٤ ·

٢١ المصدر السابق، ص ١٧ ·

٢٢ المصدر السابق، ص ١١ ·

انتخابات الحزب المحلية

لقد بدا الشقاق الحزبي الإنفصالى أيضاً بوضوح خلال إنتخابات الحزب المحلية. وقد أمكن رصد أنواع شتى من الشقاق الحزبى فى معظم فروع الحزب خلال الإنتخابات التى تمت فى عام ١٩٦٥ للمؤتمر القطرى السورى الثانى لحزب البعث. ونتيجة لذلك، لم يكن لأعضاء الحزب حرية إختيار قياداتهم. وفى بعض الأحيان كان هناك حائل دون حصول الأعضاء الأكفاء على مناصب قيادية. ويذكر التقرير التنظيمى لعام ١٩٦٥ الأنواع التالية من الشقاق الحزبى: التكتل التنظيمى (أى المدينة ضد الريف؛ أبناء المنطقة ضد الغرباء؛ سكان حى ضد سكان حى آخر؛ التكتل الطائفى والعشائرى؛ تكوين الكتل الشخصية المتعاطفة مع المنشقين[٢٣] والذى وصف بالتكتل الانتهازى[٢٤].

وفى بعض المناطق تدخل أعضاء من المؤسسات التى يسيطر عليها حزب البعث فى الإنتخابات فى محاولة لفرض قوائم أسماء إنتخابية على فروع الحزب. وقد تدخل على وجه الخصوص أعضاء الحرس الوطنى فى بعض الأحيان ووفروا الحماية لأعضاء معينين من كتل حزبية، ووصل الحد لقيامهم بالدعاية لهم[٢٥]. وقد تدخل أيضاً أشخاص غير منتمين للحزب فى الإنتخابات المحلية، وفى إحدى الحالات توصل شيخ عشيرة كان يساند قائمة معينة إلى تفاهم مع المرشحين أنفسهم وقام بتوصيل الناخبين بسيارته إلى المكتب الإنتخابى وتابع الإجراءات الإنتخابية عن قرب ليتسنى له التأثير على النتائج.

وأدت المخالفات الواضحة فى فرعين لأن تدعو القيادة القطرية السورية لإجراء انتخابات جديدة، كما حدث فى فرع الرقة حيث شوهد أعضاء الحزب

---

٢٣ المنشقون هم أحد أجنحة الحزب السابقة تم استبعادهم من الحزب أو انشقوا عنه فى الفترة التى تلت فبراير (شباط) ١٩٦٤ تحت قيادة حمود الشوفى (وهو درزي)، أمين عام أول قيادة قطرية سورية للحزب، الذى تم اختياره بعد إنقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ . لمزيد من التفاصيل حول المنشقين انظر التقرير التنظيمى ١٩٦٥ ص ٧٠، ٧١ .

٢٤ التقرير التنظيمى ١٩٦٥، ص ٤٣ .

٢٥ المصدر السابق، ص ٢٢، ٤١-٤٣ .

وهم يقدمون قائمة بأسماء المرشحين لعضو من الفلاحين طالبين منه حلف اليمين على القرآن الكريم بأنه سوف ينتخب هذه القائمة[٢٦]

وقد وصفت النتائج النهائية للإنتخابات فيما بعد طبقاً للتقرير التنظيمى بالآتى:

جاءت نتائج الإنتخابات معبرة تعبيراً كبيراً عن واقع كل فرع بما فيه من أمور سلبية أو إيجابية بمعنى ان القواعد الحزبية بواقعها الراهن قد مارست حقوقها الانتخابية بشكل ديمقراطى ليس فيه للقيادات العليا أى تأثير اطلاقا[٢٧]٠

المحلية فى فرع ادلب

لقد ألقت النزاعات الداخلية بين القرى بظلها داخل بعض الفروع على نشاطات الحزب وتغلغلت داخل جهاز الحزب٠ وقد أوضح تقرير تنظيمى داخلى كُتب عام ١٩٦٧ حول الوضع فى فرع ادلب أن نشاطات الحزب كانت فى حالة سبات هناك، ويرجع ذلك جزئياً لشدة المحلية: زاد عدد الشُعَب بحيث كان لكل قرية ذات أهمية تنظيم حزبي على مستوى الشُعبة٠ ونتيجة لذلك عجز الكثير من أعضاء الحزب عن تصور أى شىء خارج نطاق قراهم، وبالتالى لم يُقمع التنافس الجارى بين القرى، بل استمر فى القيام بدوره داخل جهاز حزب البعث الذى كان يتطلع رسمياً لولاء يفوق ولاء المجتمعات القروية أو العشائرية أو الدينية٠ ولتحطيم جمود نشاطات الحزب بفرع ادلب قررت القيادة القطرية السورية فى عام ١٩٦٧ توحيد مختلف الشُعَب فى وحدات جديدة وكبرى، بغية توسيع القاعدة الضيقة القديمة لتنظيم القرى

---

٢٦ المصدر السابق، ص ٤٢، ٤٣، ٤٤ ٠

٢٧ المصدر السابق، ص ٤٤ ٠ من أجل تقييم الممارسات الإنتخابية السورية فى الخمسينات انظر
Ralph Crow, "A Study of Political Forces in Syria based on a Survey of the 1954 Elections" (Unpublished, Bayrut, May 1955).

الفردى[٢٨].

فرع اللاذقية

ذكر التقرير التنظيمى المقدم إلى المؤتمر القطرى السورى الثانى لحزب البعث المنعقد فى مارس (آذار) وابريل (نيسان) ١٩٦٥ ان عدد أعضاء فرع حزب محافظة اللاذقية على وجه الخصوص فاق بكثير عدد الفروع الأخرى[٢٩]. وقد أثار هذا الأمر الشكوك حول ما إذا كان قادة الحزب باللاذقية قد طبقوا لوائح الحزب المتعلقة بقبول أو تصفية الأعضاء كما حدث فى مناطق أخرى[٣٠]. وحيث أن القيادة العليا لتنظيم حزب البعث العسكرى كانت أساسا فى أيدى ضباط علويين من منطقة اللاذقية، فإنه مما لا يدعو إلى الدهشة أن يكون فرع الحزب المدنى قد نما بهذه الصورة الكبيرة فى هذه المنطقة[٣١].

هذا، وقد حاول العديد من قادة التنظيم العسكرى للحزب أن ينظموا

---

٢٨ منشور المكتب التنظيمى للقيادة القطرية السورية للقيادات الفرعية (منسوخة، ٦ مارس (آذار) ١٩٦٧)، مصنفة "سرى للغاية". لمزيد من التفاصيل حول الوضع فى فرع ادلب عام ١٩٦٧ انظر:
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 95-97.
والمشكلة الأخرى التى أثرت سلبياً على أنشطة فرع ادلب هى أن معظم أعضائه كانوا أميين. وهذا يرجع إلى أنه لأسباب إنتخابية تم إستبعاد الكثير من الأعضاء المثقفين قبل الإنتخابات الحزبية لعام ١٩٦٥ ليحل محلهم الأميون.

٢٩ قبل المؤتمر القطرى السورى الثانى تقرر أن يُمثّل كل فرع حزبى بما لا يقل عن خمسة ممثلين وما لا يزيد عن تسعة؛ وقد كان ذلك من أجل تفادى تحكُّم الفروع الحزبية الكبرى عددياً فى الفروع الصغرى أثناء المؤتمر. (التقرير التنظيمى ١٩٦٥، ص ٤٢-٤١).

٣٠ المصدر السابق، ص ٣٢-٣٣ .

٣١ عن الإحصائيات حول الأعضاء العلويين بالقيادات القطرية السورية بعد ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ انظر الجداول ٣، ٥، ٦، ٧ والفصل السادس. فى الفترة ما بعد ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ تم دخول الكثير من "القطريين" للجهاز الحزبى المدنى بمساندة اللواء صلاح جديد، العلوى، أحد قادة التنظيم العسكرى لحزب البعث. وقد كان "القطريون" ممثلين بقوة فى منطقة اللاذقية، بجانب دير الزور وحوران. انظر الحاشية ١٧ بعاليه.

فصائل حزبية مدنية خاصة بهم عن طريق شغل الجهاز الحزبي المدنى بأنصارهم، وذلك لكى يحصلوا على مركز أقوى من منافسيهم العسكريين داخل إطار الحزب. ومن ناحية أخرى حاول العديد من أعضاء الحزب المدنيين الحصول على تأييد فصائل عسكرية للحزب تابعة لهم عن طريق استغلال المنافسات بين العسكريين البعثيين وعن طريق تحريضهم الواحد ضد الآخر[٣٢]. وبعد استيلاء البعث على السلطة عام ١٩٦٣ تكونت المجموعات المعنية بالصراع على السلطة من إئتلافات عسكرية دائمة التغير ومن بعثيين مدنيين حاولوا باستمرار استغلال بعضهم البعض، بغية توطيد سلطتهم وإزاحة معارضيهم عن المسرح السياسى فى آن واحد[٣٣].

أعضاء الأقليات فى القوات المسلحة السورية قبل عام ١٩٦٣

تحت الحكم الفرنسى (١٩٢٠-١٩٤٦)

لقد ساهم العديد من العوامل السياسية التاريخية والاجتماعية الاقتصادية فى وجود تمثيل قوى لأعضاء الأقليات فى القوات المسلحة السورية قبل استيلاء الضباط البعثيين على السلطة عام ١٩٦٣؛ ويرجع تاريخ أحد هذه العوامل إلى وقت أن كانت سوريا تحت الإنتداب الفرنسى. وكما سبق وأن ذكر فى المقدمة فإن الفرنسيين قد فضلوا تجنيد مختلف الأقليات الدينية والعرقية كالدروز والإسماعيليين والمسيحيين والأكراد والشراكسة فيما يسمى بالقوات الخاصة للشرق الأدنى والتى تطورت فيما بعد لتصبح القوات المسلحة السورية واللبنانية. بيد أنه فى نفس الوقت لم يتم تشجيع غالبية العرب السنيين السوريين مما يوحى بسياسة "فرق تسد" والتى كانت تهدف إلى منع أى طائفة من الوصول إلى مكانة قوية تجعلها تشكل خطراً على وضع الإدارة المركزية. إن سياسة التجنيد الفرنسية اتبعت تقليداً رسمته القوى الاستعمارية فى العديد من الدول التابعة لها، أى البدء بتجنيد عاملين ثم ضباط من بين المجموعات العشائرية النائية عن العاصمة المركزية، ومجموعات

---

٣٢ سامى الجندى، البعث، ص ١١٣ .

٣٣ فارن محمد عمران، تجربتى فى الثورة، ص ٢٢ .

الأقليات، وخاصة المجموعات ذات التطلعات المحدودة نحو الإستقلال. وعادة ما كانت تلك المجموعات تنحدر من المناطق الأقل تطوراً من الناحية الإقتصادية. لذلك، فقد جذبتهم الفرص المتاحة لهم داخل الجيش[٣٤].

ومن ناحية أخرى فإن الفرنسيين قد مالوا لتجنيد أعضاء من عائلات كبيرة وذات نفوذ بالقوات الخاصة للشرق الأدنى، بغية ضمان ولاء طوائف الأقليات التى ينحدرون منها[٣٥].

إن العائلات العربية السنية الثرية صاحبة الأراضى والعائلات ذات النشاط التجارى التى قادت الحركة القومية العربية أثناء الاحتلال الفرنسى قد دعمت بصورة غير مباشرة الاتجاه نحو التمثيل القوى لأعضاء الأقليات بالجيش السورى، وذلك برفضها إرسال أبنائها للتدريب العسكرى، حتى كضباط، فى قوة لاح لها أنها تخدم المصالح الإمبريالية الفرنسية[٣٦]، كما احتقرت فى كثير من الأحيان الجيش كمهنة واعتبرت الكلية العسكرية بحمص - كما وصفها باتريك سيل - "مكاناً للكسالى أو المتمردين أو المتخلفين أكاديمياً أو المغمورين

---

٣٤ قارن

N.E. Bou-Nacklie, 'Les Troupes Spéciales: Religious and Ethnic Recruitment, 1946-46', International Journal of Middle East Studies, Vol. 25, 1993, p. 656,

الذي يلاحظ أنه "رغم أن الفرنسيين قد قاموا بتجنيد أعداد أكبر نسبياً من العلويين والدروز، إلا أن ذلك قد تم ببراعة عظيمة ..." فعلى سبيل المثال، فلما قام الفرنسيون بتجنيد أفراد من العشائر أو القبائل التى سبق لها أن تمردت ضدهم. "بل برز التمثيل القوى للعلويين والدروز عن طريق المجموعات والفصائل والعشائر والقبائل التى إما كانت محايدة على طول الخط أو أظهرت ولائها للفرنسيين ... وفى عام ١٩٤٤ .. جاء تمثيل العلويين قوياً بين الجنود وضعيفاً فى المجال السياسى وسلك الضباط وقوة الدرك والشرطة". قارن

Morris Janowitz; Eliezer Be'eri, Army Officers in Arab Politics and Society (New York and London, 1970), p. 334.

٣٥

Patrick Seale, The Struggle for Syria; A Study of Post-War Politics (1945-1958) (London, 1965), p. 37.

٣٦

J.C. Hurewitz, Middle East Politics: The Military Dimension (New York, Washington, London, 1969), p. 153.

اجتماعياً، وقليل هو شباب العائلات الشهيرة الذى يفكر فى الإلتحاق بالكلية (العسكرية)، إلا فى حالات فشلهم بالمدارس أو طردهم منها"[٣٧].

وثمة عامل آخر اجتماعى اقتصادى ساعد فى إبراز التمثيل القوى لأعضاء الأقليات فى الجيش السورى، ألا وهو أنه بالنسبة للكثير من أهل المناطق الريفية الفقيرة (حيث كان يعيش معظم أفراد الأقليات) قدم السلك العسكرى فرصة جيدة لتسلق السلم الاجتماعى والتمتع بحياة أكثر رفاهية عن تلك التى يوفرها القطاع الزراعى[٣٨]. وقد شكل هذا الحافز أهمية أقل بالنسبة لسكان المدن الكبرى ومعظمهم سنيون.

وأخيراً، فإن سكان المناطق المدينية كثيراً ما بدا لهم الأمر أيسر فى تجنب الخدمة العسكرية عن أمثالهم بالمناطق الريفية، وذلك عن طريق سدادهم لرسوم الإعفاء من الخدمة.

الجمهورية السورية المستقلة (١٩٤٦-١٩٥٨)

بعد أن نالت سوريا إستقلالها عام ١٩٤٦ تزايد بشكل كبير عدد الملتحقين بالكلية العسكرية بحمص سنوياً. ويرجع ذلك أساساً للتوسع

٣٧

Seale, The Struggle for Syria, p. 37.

٣٨

Mousa, Etude Sociologique des 'Alaouites ou Nusairis, pp. 924-6; Be'eri, Army Officers in Arab Politics and Society, 336, 337; Hanna Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', The Middle East Journal, Vol. 35, Summer 1981, pp. 340-343.

يلاحظ بطاطو أنه "على مستوى سلك الضباط فإن العلويين لم يحظوا بالأعداد التى تمتع بها السنيون قبل عام ١٩٦٣، وذلك بخلاف الانطباع الذى كان شائعاً. لقد استمدوا الكثير من قوتهم الحقيقية من بين صفوف الجيش الأقل رتبة. وبإجراء عملية حسابية بسيطة نجد أنهم تمتعوا بأغلبية بين صفوف الجنود وكثرة واضحة بين ضباط الصف. وحتى فى عام ١٩٥٥ ... اندهش العقيد عبد الحميد سراج، رئيس مكتب المخابرات، لدى اكتشافه أن ما لا يقل عن ٦٥٪ من ضباط الصف كانوا تابعين للطائفة العلوية."

الكبير فى أعداد المدارس التى أتاحت فرصة التعليم فى المئات من القرى والمدن الصغيرة لأبناء الطبقات الأدنى.

وأصبحت المدارس الثانوية الجديدة ذات أهمية خاصة، حيث أن شهادة المدرسة الثانوية كانت ضرورية للإلتحاق بالكلية العسكرية. وبينما كان عدد الملتحقين بالكلية قليلاً فيما مضى وكان معظمهم من الطبقات المتوسطة والعليا، إلا أنه وصل فى الخمسينات والستينات إلى المئات، وكان معظمهم من الطبقات الفقيرة والمتوسطة والمناطق الريفية[٣٩]. وقد ساعد هذا الإتجاه مرة أخرى وبصورة غير مباشرة فى إزدياد عدد ضباط الأقليات (الفلاحين سابقا).

وبمجرد أن يصل هؤلاء الضباط إلى مراكز قيادية كانوا يقومون باستدعاء أقاربهم وآخرين من مجتمعاتهم الطائفية والإقليمية والعشائرية ويمدون لهم يد العون ليتقدموا ويتم قبولهم بالكليات العسكرية والبحرية والجوية[٤٠].

وبذلك يمكن تفهم وجود أعداد كبيرة من طوائف الأقليات ضمن العسكريين، وقد سيطر هؤلاء على الحياة السياسية السورية بعد عام ١٩٤٩ بالذات عندما بدأت سلسلة طويلة من الانقلابات السياسية.

وقد وصف تقرير عسكرى الوضع فى الجيش السورى عام ١٩٤٩ بشيء من المغالاة بأن "كل القطعات التى لها اهميتها والعنصر الهام هى بقيادة اشخاص من الاقليات"[٤١].

وبالرغم من حقيقة أن أعضاء الأقليات الدينية كان لهم تمثيل قوي غير

٣٩

Gordon H. Torrey, 'Aspects of the Political Elite in Syria', George Lenczowski (ed.), Political Elites in the Middle East (Washington, 1975), p. 157; Seale, The Struggle for Syria, p. 37.

٤٠

Be'eri, Army Officers in Arab Politics and Society, p. 336; Hurewitz, Middle Eastern Politics: The Military Dimension, p. 153.

٤١ فضل الله أبو منصور، أعاصير دمشق (بيروت، ١٩٥٩)، ص ٥١ .

متناسب في الجيش السوري وقد شغلوا مناصب عسكرية هامة سياسياً واستراتيجياً، إلا أن أبرز الفصائل التي كانت تملك زمام السلطة قبل تقلد البعث لها في عام ١٩٦٣ كانت أساساً تحت قيادة ضباط سنيين. وهكذا، فإن زعماء الإنقلابات العسكرية الثلاثة الأولى في سوريا وهم اللواء حسني الزعيم (١٩٤٩) وسامي الحناوي (١٩٤٩) وأديب الشيشكلي (١٩٤٩-١٩٥٤) كانوا جميعاً سنيين. وقد كان للزعيم والحناوي خلفية كردية أيضاً. ومن أجل الإحتفاظ بالسلطة إعتمد الزعيم والشيشكلي بالذات على مساندة الضباط الذين ينتمون لنفس الخلفية العرقية والإقليمية. وقد لعب الأكراد والشراكسة دوراً هاماً تحت قيادة الزعيم، بينما استطاع العديد من الضباط القادمين من مسقط رأس الشيشكلي، وهو حموي، تسلق الوظائف العسكرية بسرعة تحت قيادته[٤٢].

---

٤٢ على سبيل المثال، كان حرس الزعيم المحيط بقصر الرئاسة بدمشق كله من الشراكسة (فضل الله أبو منصور، أعاصير دمشق، ص ٦٨). وفي حملة التطهير التي تلت الإنقلاب العسكري الذي أطاح بالرئيس الشيشكلي في فبراير (شباط) ١٩٥٤، تم البلاغ عن نقل ضباط من الأكراد من أعلى المناصب بالجيش السوري.

(Hurewitz, Middle Eastern Politics: The Military Dimension, p. 153.)

وفي الفترة من فبراير (شباط) ١٩٥٤ إلى فبراير (شباط) ١٩٥٨ وبعد قيام الوحدة بين مصر وسوريا، انقسم سلك الضباط السوري لفصائل متنافسة يقودها اساساً سنيون. انظر على سبيل المثال بياناً بأسماء ١٦ ضابطاً سورياً اتفقوا على ما يُعرف بـ "تعهد الوحدة" وكانوا جميعاً سنيين. قارن أحمد عبد الكريم، أضواء على تجربة الوحدة (دمشق، ١٩٦٢)، ص ٩٧؛ Van Dusen, Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army, pp. 375-414; Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', p. 125; Seale, The Struggle for Syria, p. 320, n. 8.

وقد فرض الشيشكلي العديد من الأحكام أثناء عهده بهدف خلق دولة عربية-اسلامية متجانسة. "فتم إنهاك الأكراد والاشوريين والأرمن والعلويين والأقليات المسيحية بأنواعها بحشد من القرارات"

(Patrick Seale, The Struggle for Syria, p. 135).

وقد تذكر العقيد الناصري جاسم علوان (سني من دير الزور) فيما بعد أن الشيشكلي قد أمره بتفضيل العرب المسلمين السنيين على الأقليات الدينية والعرقية داخل فصوله بالكلية العسكرية في حمص. وفي ذلك الوقت رفض علوان هذه الفكرة حيث كان مدرباً بالفصل الذي كان يضم ضباطاً علويين أمثال حافظ الأسد وعلي أصلان ومحمد نبهان. (مقابلة مع جاسم علوان، القاهرة، ٥ فبراير (شباط) ١٩٩٥).

(أعاصير دمشق، ص ٦٨؛ قارن نذير فنصة، أيام الزعيم، دمشق، ١٩٩٤، ص ٩٨).

فترة الإنفصال (١٩٦١ - ١٩٦٣)

وخلال ما يسمى بفترة الإنفصال وصل الضباط السنيون الدمشقيون تحت قيادة المـُقـدّم عبد الكريم النحلاوى إلى أوج قوتهم[٤٣]• ولم يكن من قبيل المصادفة أنه كان باستطاعة ضباط دمشقيين (سنيين) القيام بإنقلاب ناجح فى ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١، مما تسبب فى انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة• وخلال فترة الوحدة، سواء كان ذلك بقصد أو غير قصد، أسندت قيادة المناطق العسكرية السورية أساساً لهؤلاء الضباط الدمشقيين السنيين الذين بالتالى احتلوا مراكز قوية على نحو استثنائى[٤٤]•

وهناك أمر آخر هام وهو أنه فى الفترة التى سبقت الإنقلاب تولى النحلاوى، وهو دمشقى سنى، مركزاً عسكرياً رئيسياً كنائب مدير شئون

---

٤٣ لعب الضباط الدمشقيون أيضاً دوراً سياسياً هاماً فى السنوات التى سبقت الوحدة بين مصر وسوريا• قارن
Gordon H. Torrey, Syrian Politics and the Military 1945 - 1958 (Columbus, Ohio, 1964), pp. 350, 355; Seale, The Struggle for Syria, pp. 238-46;
خالد العظم، مذكرات خالد العظم، المجلد الثانى (بيروت، ١٩٧٣)، ص ٥٠١-٥٠٣•

٤٤ زهر الدين، مذكراتى عن فترة الإنفصال، ص ٢٢ • لقد انعكس مركز الضباط الدمشقيين البارز فى تركيب قيادة الجيش السورى التى تكونت بعد انقلاب ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١ مباشرة• فمن بين أعضائها العشرة كان هناك خمسة أعضاء سنيين دمشقيين، ومن بين الخمسة الآخرين كان هناك أربعة سنيين (أحدهم شركسى) والخامس درزى• قارن زهر الدين، مذكراتى، ص ٦٦؛
Van Dusen, Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army, pp. 375 - 414.
إن المعارضة القوية داخل صفوف الضباط السوريين لمجموعة النحلاوى الدمشقية أجبرت قادة إنقلاب ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦١ على تعيين شخص غير دمشقى قائداً أعلى للقوات المسلحة• فقد وجدوا أن اللواء عبد الكريم زهر الدين الدرزى، وكان ترتيبه الرابع فى ذلك الحين، على استعداد لتقلد هذا المنصب العسكرى الهام، وتم استبعاد الثلاثة الآخرين لأن اثنين منهم كانا مسيحيين والثالث علوياً ولكن تعوزه المقومات الشخصية المطلوبة• (زهر الدين، مذكراتى، ص ٦٠،٦١)• ويكتب زهر الدين فى مذكراته فى مكان آخر أنه فى زمن الوحدة بين مصر وسوريا اعترضت أيضاً القيادة العسكرية التى كانت تحت سيطرة المصريين على تعيين ضباط سوريين مسلمين غير سنيين فى منصب قائد الجيش الأول (أى السورى) للجمهورية العربية المتحدة• لذلك، فعندما تم اقتراح تعيين المـُقدّم الناصرى جادو عز الدين فى هذا المنصب، رُفض الإقتراح أساساً لكونه درزياً (زهر الدين، مذكراتى، ص ٤٣)•

الضباط، حيث كان رئيسه المباشر مصرياً• وقد استطاع من خلال ذلك المركز أن ينقل الضباط الذين ساندوه إلى وحدات الجيش التى لها أهمية سياسية واستراتيجية لخطط الإنقلاب التى كان قد رسمها مع بعض زملائه من الضباط الدمشقيين• بالتالى، كاد الإنقلاب أن يكون عملية "دمشقية" بحتة[٤٥]•

بيد أنه خلال فترة الإنفصال إنهارت سريعاً جماعة النحلاوى المُكَوَّنة من ضباط دمشقيين، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن النحلاوى أبداً لم يتلق الدعم الكامل من غير الدمشقيين• وقد حاول جاهداً دون جدوى فى ٢٨ مارس (آذار) ١٩٦٢ أن يقوى قبضته المتراخية على جهاز الجيش والحكومة عن طريق انقلاب عسكرى• وبعد هذه المحاولة الفاشلة تم طرده من سوريا مع خمسة من أبرز زملائه العسكريين الدمشقيين• وقد أظهرت أحداث ٢٨ مارس (آذار) ١٩٦٢ كيف أن سلك الضباط السوريين قد استُقْطِب حول قاعدة من الدمشقيين وغير الدمشقيين[٤٦]•

---

٤٥ المصدر السابق، ص ٢٢-٢٤ •

٤٦ لقد تم التعبير عن ضعف وضع الضباط الدمشقيين فى تكوين قيادة الجيش السورى المنتقاة بعد الثانى من أبريل (نيسان) ١٩٦٢، إذ كان هناك عضو دمشقى واحد من بين الثمانية أعضاء• (انظر زهر الدين، مذكراتى، ص ٦٦، ٢٢١)• وعندما وصل الإنقلاب العسكرى للنحلاوى الذى بدء فى ٢٨ مارس (آذار) ١٩٦٢ إلى مأزق يهدد بالتدهور إلى مجابهة عنيفة تقرر عقد مؤتمر عسكرى بحمص فى الأول من ابريل (نيسان) من أجل تفادى سفك الدماء• وحضر المؤتمر ممثلون من جميع المناطق العسكرية والوحدات الرئيسية (٤١ ضابطاً فى المجموع)، مما جعله يمثل الهوية والمصالح المشتركة لسلك الضباط السوريين كما كانت فى ذلك الحين• ومما هو جدير بالذكر أن من بين الـ ٤١ ضابطاً كان هناك تمثيل قوى للسنيين بـ ٣٦ عضواً، بينما من وجهة النظر الإقليمية نجد أن الضباط الدمشقيين (١٣ فى المجموع وكلهم سنيون) كانوا أكبر مجموعة، كما كان هناك أيضاً أربعة مسيحيين (ثلاثة من اللاذقية وواحد من حماة) وضابط علوى واحد من الأسكندرون• وقد تغير تمثيل الضباط العلويين فى المناصب القيادية العسكرية بشكل كبير بعد انقلاب الثامن من مارس (آذار) ١٩٦٣• وفى المؤتمر العسكرى بحمص طالب العميد الدمشقى مطيع السمَّان الأمين العام لوزارة الدفاع وممثل القيادة العسكرية بدمشق بطرد ستة ضباط غير دمشقيين من سوريا، بغض النظر عن تورطهم أو عدم تورطهم فى أحداث ٢٨ مارس (آذار) ١٩٦٢، وذلك تعويضاً عن طرد النحلاوى وخمسة من زملائه من الضباط الدمشقيين (زهر الدين، مذكراتى، ص ٢١٥، ٢١٦)؛
Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963 - 66, pp. 32, 33; Van Dusen, Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army, pp. 375 - 414).

وخلال الفترة اللاحقة تم تطهير معظم وحدات الجيش ذات الاستراتيجيات السياسية حول دمشق وغيرها من الضباط الدمشقيين· وكما جاء فى وصف القائد الأعلى للقوات المسلحة السورية حينئذ، اللواء زهر الدين، الدرزى، فقد تم استبدالهم "بضباط لا يضمرون إلى دمشق وأهلها إلا الحقد والكراهية"[٤٧]· وربما كان معظم هؤلاء الضباط من ريف سوريا، حيث كانوا غالبا ما يُعامَلون بإزدراء من قِبل الدمشقيين·

إن عمليات التصفية العديدة الناجمة عن الصراع على السلطة السياسية بين الضباط ذوى المناصب العليا (ومعظمهم سنيون) قد أضعفت التمثيل السنى لحد كبير فى الدرجات العليا لسلك الضباط[٤٨]· وبينما كان الضباط المنتمون للأقليات الدينية الناطقون بالعربية أقل نشاطا فى المجال السياسى خلال الخمسينات، وبالتالى كانت معاناتهم من حرها ونارها أقل، فقد استطاعوا فى الستينات شغل مراكز هامة فى القيادة التى أصبحت شاغرة من جراء الطرد المتتالى للسنيين من طرف أو من آخر[٤٩]·

الاحتكار البعثى للسلطة (١٩٦٣)

فى ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ أطاح انقلاب بقيادة ائتلاف من الضباط البعثيين والناصريين والوحدويين المستقلين بـ "نظام الإنفصال"، وما لبث أن ازداد عدد أعضاء الأقليات فى سلك الضباط السوريين مرة أخرى على حساب السنيين· وأحد الأسباب الرئيسية لذلك هو أن القادة البعثيين العسكريين الذين شاركوا فى الإنقلاب قاموا باستدعاء العديد من الضباط وضباط الصف الذين تربطهم بهم أواصر عائلية أو عشائرية أو إقليمية لتعضيد

---

٤٧ زهر الدين، مذكراتى عن فترة الإنفصال، ص ٣٧٢ ·

٤٨ قارن منيف الرزاز، التجربة المـرّة، ص ١٥٩ ·

٤٩ Be'eri, Army Officers in Arab Politics and Society, p. 337.

مراكزهم الجديدة التى حصلوا عليها على وجه السرعة[٥٠].

وكان معظم العسكريين الذين تم استدعائهم بهذه الطريقة ينتمون إلى الأقليات وخاصة العلويين والدروز والإسماعيليين، ولم يكن الأمر مثيرا للدهشة حيث أن معظم أعضاء اللجنة العسكرية البعثية المشرفة على نشاطات التنظيم العسكرى كانوا من أعضاء الأقليات[٥١]. وقد تم وصف هذا الأسلوب فى

---

٥٠ منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص ١٥٨، ١٥٩

٥١ إن القيادة العليا للجنة العسكرية البعثية التى تأسست عام ١٩٥٩ خلال الوحدة بين مصر وسوريا من قِبل ضباط منقولين لمصر تكونت في البدء من خمسة ضباط من بينهم ثلاثة علويين وهم محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد واسماعيليان وهما عبد الكريم الجندى وأحمد المير. وعندما توسعت اللجنة العسكرية فيما بعد لتشمل ١٥ عضواً أصبح تشكيلها كالآتى: خمسة من العلويين وهم محمد عمران من المَخْرَم (حمص) وصلاح جديد من دوير بعبدا (اللاذقية) وحافظ الأسد من القرداحة (اللاذقية) وعثمان كنعان من منطقة الاسكندرون وسليمان حداد، واسماعيليان وهما عبد الكريم الجندى من السلمية (حماة) وأحمد المير من مصياف (حماة)، ودرزيان من جبل الدروز وهما سليم حاطوم من ذيبين وحمد عُبيد، وستة من السنيين منهم ثلاثة من حوران وهم موسى الزعبى ومصطفى الحاج على وأحمد سويدانى واثنان من حلب وهما أمين الحافظ وحسين مُلحم وواحد من اللاذقية وهو محمد رباح الطويل. وكان لمعظم أعضاء اللجنة العسكرية أصول قروية وينتمون لعائلات فقيرة، ما عدا صلاح جديد وعبد الكريم الجندى فكانا ينتميان لعائلات بارزة من الطبقة المتوسطة، حيث كان والد جديد مندوباً عن منطقة بانياس وكان جده أحد زعماء اتحاد الحدادين للعشائر العلوية، وينتمى حافظ الأسد لشق النميلاتية من المتاورة. لمزيد من التفاصيل حول اللجنة العسكرية البعثية وخلفية أعضائها انظر: الجديد، ١٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦؛ محمد عمران، تجربتى فى الثورة، ص ١٨، ١٩؛ منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص ٨٧؛ سامى الجندى، البعث، ص ٨٥؛ محمد ابراهيم العلى، الغجرية (المرابى "٥")، دمشق، ١٩٩٥، ص ٢٧٥ - ٢٩٤؛
Bernard Vernier, Armée et Politique au Moyen Orient (Paris, 1966), p. 144; Bernard Vernier, 'Le role politique de l'armée en Syrie', Politique Etrangère, Vol. 29, 1965, p. 466; Van Dusen, Political Integration and Regionalism in Syria, p. 132; Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army, p. 336-40, 409; Van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958-1966)', p. 10; Van Dam, 'De Ba'thpartij in Syrië (1958-1966)', Internationale Spectator, XXV - 20, 22 November 1971, p. 1892. Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 202, 248.
وهنا يطلق ماكينتاير على اللجنة العسكرية البعثية اسم لجنة الضباط العلويين دون وجه حق، فهو يفترض أن أعضاءها من العلويين فقط أو أن الأعضاء العلويين هم فقط الذين مارسوا السلطة الحقيقية. ولم يكن هذا هو الحال فيما يتعلق بالفترة السابقة لعام ١٩٦٧ التى يصفها ماكينتاير، فاذا كان التمثيل القوى لأعضاء الأقليات الدينية فى القوات المسلحة السورية لا

التجنيد فيما بعد فى إحدى الوثائق الداخلية لحزب البعث بالآتى:

الحت ظروف الثورة الاولى، ومرحلتها الصعبة على دعوة عدد كبير من العسكريين الاحتياطيين (ضباط وضباط صف) حزبيين ومؤيدين لملء الشواغر التى نجمت عن تصفيات الخصوم، ولتدعيم مواقف الثورة وحمايتها، ولم يسمح ذلك الالحاح آنذاك باعتماد اسس موضوعية فى عملية الاستدعاء وانما كانت عوامل الصداقة والقرابة، واحيانا مجرد المعرفة الشخصية هى الاساس، مما ادى الى تسرب عدد معين من العناصر الغريبة البعيدة عن منطق الحزب ومنطلقاته، وسبب بالنتيجة - وبعد تجاوز المرحلة الصعبة - استخدام هذا الموضوع سلاحا للطعن فى نوايا بعض الرفاق والتشكيك بهم[٥٢].

ويبدو أن الجزء الأخير من هذا الإقتباس يشير إلى إتهام بعض أعضاء اللجنة العسكرية بالقيام بتعزيز الجيش بأفراد جالياتهم، بناء على أسس طائفية[٥٣]. وطبقاً لأحد التقارير فإن الكثير من العلويين كانوا ضمن هؤلاء الضباط الذين كان عليهم شغل فراغات الجيش بعد تصفية القوى السياسية المعارضة عقب انقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ مباشرة. ولقد تم استبدال نحو

يدخل فى الاعتبار فإن وجود تسعة أعضاء منتمين لأقليات من بين الـ ١٥ عضواً إنما هو أمر عَرَضى، بيد أن هناك الكثير من الكتّاب الذين جادلوا فى نقطة أن أعضاء الأقليات باللجنة العسكرية كانت تجذبهم لبعضهم البعض خلفيتهم الطائفية. قارن مطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٣١٢؛

Biegel, Minderheden in het Midden-Oosten, pp. 226, 227; Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963-66, p. 25.

انظر أيضاً

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, p. 249.

وقد اعتبر أمين الحافظ أن الخلفية المشتركة لأعضاء اللجنة العسكرية لم تلعب فى البدء أى دور ولم تقم حتى بضمهم جميعاً فى تنظيم سرى واحد (مقابلة مع أمين الحافظ، بغداد، ١٩٧٣/٩/١٢).

٥٢ حزب البعث العربى الاشتراكى، القطر السورى، القيادة القطرية، أزمة الحزب وحركة ٢٣ شباط وانعقاد المؤتمر القطرى الأخير (دمشق، ١٩٦٦) (من الآن فصاعداً أزمة الحزب وحركة ٢٣ شباط)، ص ٢٠ . انظر الملحق ج.

٥٣ قارن

Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963-66, p. 76, n. 1.

المعارضة عقب انقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ مباشرة. ولقد تم استبدال نحو نصف عدد الضباط المسَرحين والبالغ عددهم حوالى ٧٠٠ بعلويين[٥٤]. ومن الجدير بالذكر انه أثناء الانقلاب كان خمسة من اللجنة العسكرية البعثية من بين الأربعة عشر عضواً من العلويين: لذلك، فانه ليس من المثير للدهشة أن يلعب الضباط العلويون فيما بعد دوراً هاماً في الجيش: علاوة على ذلك فان القيادة العليا للجنة العسكرية كانت تقع في قبضة ثلاثة علويين هم محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد[٥٥]. وقد شغل جديد منصب رئيس أركان الجيش السورى فيما بين أغسطس (آب) ١٩٦٣ وسبتمبر (أيلول) ١٩٦٥، وأصبح الأسد قائداً للقوات الجوية السورية، أما عمران وهو الأكبر سناً بين الثلاثة فقد رأس اللواء سبعين المدرع المتمركز جنوب دمشق والذى كان مقرراً أن يكون العمود الفقرى لتنظيم البعث العسكرى لبعض الوقت فى المستقبل. وقد استطاع قادة اللجنة العسكرية العلويون الثلاثة أن يلعبوا دوراً عظيماً من خلال هذه المراكز العسكرية فى "التحويل البعثى" الذى طرأ على القوات المسلحة السورية فى الفترة التى تلت ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣.

لقد استطاع قادة اللجنة العسكرية أن يعززوا على وجه السرعة مراكز القوى الجديدة التى تحصلوا عليها. ويرجع الفضل فى ذلك للتنظيم والتخطيط الكفء ولجميع العسكريين الذين ساندوهم لدى استدعائهم. وقد نجحوا خلال أشهر قليلة فى إزاحة أهم معارضيهم العسكريين من الناصريين والوحدويين المستقلين الذين كانوا مرة أخرى - سواء كان الأمر مصادفة أم لا - فى الغالبية سنيين[٥٦]. وجاء أوج احتكار البعثيين للسلطة فى ١٨ يوليو (تموز)

---

٥٤ Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 247, 248.

٥٥ منيف الرزاز، التجربة المُرّة، ص ٨٧، ١٥٨. لم يصبح أمين الحافظ عضواً فى اللجنة العسكرية إلا بعد انقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣.

٥٦ جميع الضباط الذين شملتهم عملية التصفية وهم الوحدويان المستقلان لؤى الآتاسى وزياد الحريرى، والناصريون محمد الصوفى وراشد القطينى وفواز محارب، والذين كانوا أعضاء فى المجلس الوطنى لقيادة الثورة بصفته السلطة العليا للدولة عقب انقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣، وأيضاً جاسم علوان ومحمد جراح وهما ضابطان ناصريان بارزان، جميع هؤلاء الضباط كانوا سنيين.

١٩٦٣ عندما قامت مجموعة معظمها من الضباط الناصريين السنيين تحت قيادة جاسم علوان بانقلاب فاشل· ومعظم الضباط الذين أخمدوا هذا الانقلاب، مع إراقة بعض الدماء، كانوا ينتمون لأقليات وكان من بينهم ضباط علويون لعبوا دوراً متميزاً[٥٧]· وهذا الأمر كان له شأن ضئيل أو لم يكن له علاقة بالمرة بالطائفية، إلا أنه تم استغلاله على هذا النحو من قبل معارضى حزب البعث السياسيين الذين بغضوا أعضاء الأقليات الكثيرين بين الحكام الجُدد، وحاولوا إضفاء الإنطباع بأن عمليات التصفية المتكررة للضباط السنيين كانت تقوم أساساً على دوافع طائفية، محاولين بذلك التشكيك فى حزب البعث وإضعاف مركزه فى نظر الغالبية العظمى من السكان السنيين·

وحقيقة أن أحد كبار الضباط العلويين كان من بين زعماء الانقلاب الناصرى الفاشل لم تنقص من وجهة نظر هؤلاء المعارضين المولعين بكشف المؤامرات والمكائد، فقد فسروا اشتراك الضابط العلوى محمد نبهان وكأنه (بما يبدو ملائماً لهم؟) "فى الواقع" قد سعى فقط لخدمة مصالح رفاق عقيدته من البعثيين، وذلك عن طريق حث الضباط الناصريين على القيام بانقلاب داخلى· وربما قام الضباط البعثيون بعد ذلك بانتهاز الفرصة السانحة لتصفية وإزاحة بقية الضباط الناصريين (ومعظمهم سنيون) من صفوف الجيش[٥٨]· إن إبطال الشعور بعدم الثقة الذى خلقته مثل هذه التفسيرات بين العديد من غالبية السكان السنيين تجاه هؤلاء البعثيين المنتمين لأقليات دينية كان أمراً

---

٥٧ من بين الضباط العلويين الذين ساعدوا فى قمع الانقلاب الناصرى سليمان حداد، وسليمان العلى، وعلى مصطفى· قارن البعث، ١٩ يوليو (تموز) ١٩٦٣·

٥٨ قارن التصريح المزور للشيخ العلوى عبد الرحمن الخيِّر، تم نشره فى الحياة، ١٩ مايو (ايار) ١٩٦٨؛ سعد جمعه، مجتمع الكراهية (بيروت)، ص ٦٢-٧٥؛ فؤاد الأطرش، الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص ٣٤٤ - ٣٥١ · انظر أيضاً رد الشيخ عبد الرحمن الخيِّر: "للحقيقة والتاريخ"، لبنان، ١٩٧١؛ من تراث الشيخ عبد الرحمن الخيِّر، نقد وتقريظ كتاب العلويين، دمشق، ١٩٩٢، ص ٦٩ · انظر أيضاً رد الشيخ عبد الرحمن الخيِّر على سعد جمعه الذى نُشر فى رسالة تبحث فى مسائل مهمة حول المذهب الجعفرى: "العلوى" (من تراث الشيخ عبد الرحمن الخيِّر) (دمشق، ١٩٩٤) ص ٩٧-١١٠ · قارن الفصل الرابع، حاشية رقم ٤٠ ·

عسيراً جداً بعد هذه المرحلة[٥٩]٠

---

٥٩ بعد الانقلاب الناصري الفاشل في ١٨ يوليو (تموز) ١٩٦٣ بالذات بدأت منشورات معادية للبعث تظهر مركزة على ما أسمته بالسمة الطائفية لنظام البعث السوري٠ ويعد كتاب مطاع الصفدي حزب البعث: مأساة المولد ومأساة النهاية مثالاً واضحاً في هذا الشأن٠ وللإطلاع على وجهة نظر الصفدي حول التطورات السياسية في سوريا فيما بعد انظر : نحو سوريا حديثة، ملف النهار، رقم ٦١ (العالم العربي اليوم، ٧)، ٦ مارس (آذار) ١٩٧١؛ ويتم تناول نقد الصفدي للبعث السوري بالتفصيل في

Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 62-81.

انظر أيضاً: المحرر، ١٥ يوليو (تموز) ١٩٦٣؛ النهار، ٩ و ٢٩ يوليو (تموز) ١٩٦٣؛ الصفاء، ١١ و ١٨ يوليو (تموز) ١٩٦٣؛ خليل مصطفى، سقوط الجولان !؟ (عمان، ١٩٦٩)؛ خليل مصطفى، من ملفات الجولان ؟ ٠٠٠ (عمان، ١٩٧٠)؛ قدري القلعجي، وثائق النكسة تحت أضواء التجربة المرة (بيروت، ١٩٦٩)؛ محمد سعيد النجدي، حصيلة الانقلابات الثورية في بعض الأقطار العربية (بيروت، ١٩٦٦)٠

الفصل الثالث

الاستقطاب الطائفى فى القوات المسلحة السورية بين السنيين والأقليات الدينية

التكتيل الطائفى والاقليمى والعشائرى فى النخبة العسكرية البعثية

بدأ الصراع على السلطة يظهر بين قادة اللجنة العسكرية البعثية عقب الانقلاب الناصرى الفاشل فى ١٨ يوليو (تموز) ١٩٦٣، حيث لجأ هؤلاء القادة بغية تقوية مراكزهم إلى تجميع رجال عسكريين حولهم ممن تربطهم بهم روابط طائفية أو عشائرية أو إقليمية. ونتيجة لذلك قَوِضَت بُنية القيادة والانضباط داخل القوات المسلحة وتنظيم الحزب العسكرى بشكل كبير. وفى تقرير يرجع تاريخه إلى ١٩ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٥ وصف أمين المكتب التنظيمى العسكرى البعثى هذه العملية بما يلى:

وجاءت ثورة الحزب فى الثامن من آذار فوجدت القيادات الحزبية انه قد اصبح من المحتم ضرورة اقامة تنظيم حزبى عسكرى موسع فى الجيش يضم كافة العسكريين اصدقاء الحزب والذين وقفوا الى جانبه واسهموا بثورته وهنا لا بد من الاشارة انه قد وقعت اخطاء فى اسلوب وطريقة التنظيم وكانت صفة العضوية تعطى هبة للعشرات بل للمئات لان الاسس التى قام عليها التنظيم لم يكن هدفها الايمان بالحزب بل مع•الاسف الحماية لقادة التنظيم على مختلف المستويات من قائد فرقة حتى القيادات العليا وتجميع الاتباع والمحاسيب بالجملة وخاصة بعد ١٨ تموز. ولم يقف الامر عند هذا الحد بل امتد الى اكثر من ذلك عندما اصبح الاتباع قادة فى التنظيم ينظمون ما شاءوا بل واكثر من ذلك اصبحوا يقيمون الحزبيين الذين عاشوا نضال الحزب بكامله ووهبوا حياتهم له. واذا عدنا الى تنظيم اى فرقة نجد ان التنظيم فيها قد تم من قبل امين الفرقة والذى هو قائد الوحدة وبحسب اهوائه الشخصية او السياسية او الاقليمية او الطائفية وامين الفرقة هذا هو الموجه الحزبى لفرقته ولكن السؤال من اين له الثقافة والخبرة الحزبية التى تؤهله لذلك. الجواب حتى القيادات الحزبية العليا آنذاك كانت بمعزل عن مراقبة التنظيم وتوجيهه بسبب انشغالها بمجابهة ظروف الثورة القاسية فى بداية الامر ثم انغماسها فى شؤون السلطة والصراع العنيف من اجلها مما ولد فى الحزب ضعفا فى الانضباط والثقافة الحزبية وبالتالى فقدان وضياع وحدة الفكرة والروح والاتجاه. ووصل

التنظيم الى حالة من التشويه لم يعد من الممكن تحملها من قبل الرفاق وحل الولاء الشخصى والتكتلى محل الولاء الحزبى[١]٠

التمييز الطائفى ضد السنيين فى القوات المسلحة السورية

طبقاً لما ذكره الدكتور منيف الرزاز، الأمين العام للقيادة القومية لحزب البعث فى عام ١٩٦٥ و ١٩٦٦:

(فإن) روائح التكتيل الطائفى المقصود بدأت تفوح٠ وبدأ الحديث عنها، أول الأمر، همساً، ثم بدأت الأصوات فى الارتفاع حين ظهرت بوادر مادية تسند الاتهام (بأن فى صراعهم على السلطة استغل العسكريون الروابط الطائفية بشكل يهدف للتسبب فى نتائج سلبية للسنيين بالذات)[٢]٠

وهكذا يبدو أن المعايير الطائفية قد طُبقت فى تسريح الضباط وضباط الصف الذين دعوا إلى الخدمة فى أوائل إنقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣: تأثر العسكريون السنيون بالذات من جراء هذه التسريحات[٣]٠

إضافة إلى ذلك، يبدو أن السنيين قد عانوا من التمييز لدى تقدمهم

---

١ حزب البعث العربى الاشتراكي، القطر السورى، المكتب العسكرى، مشروع تقرير عن واقع الحزب فى التنظيم العسكرى، ١٩ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٥ ٠ لمزيد من التفاصيل انظر Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 122-4.

٢ منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص ١٥٩ ٠

٣ المصدر السابق؛ انظر مطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٣٣٩-٣٤٠، الذى أعطى الوصف التالي المُبالغ فيه حول هذه التسريحات: "إن التسريحات بالمئات استهدفت جميع الضباط من أبناء المدن الكبرى، ومن (السنيين) خاصة٠ حتى فرغت أسلحة كاملة من ضباطها الرئيسيين، كسلاح الطيران وسلاح البحرية، والآليات٠ وكذلك اتُبعت نفس الخُطة حيال صف الضباط والجنود٠ حتى أصبح من المتعارف عليه أن ألوية كاملة، بأركانِ حربها وصف ضباطها وجنودها، وقف على طوائف معينة، كاللواء السبعين والخامس مثلاً"٠

للإلتحاق بالكلية العسكرية ومراكز التدريب الأخرى[٤]. وتكرر الأمر لدى السماح لأشخاص عسكريين جُدد بالانضمام لتنظيم حزب البعث العسكرى أو لدى تجنيد أعضاء جُدد بالحرس الوطنى البعثى أو الشعبة السياسية أو المخابرات أو مؤسسات السلطة البعثية، بينما كان يحظى العلويون والدروز والاسماعيليون والمسيحيون (الروم الأرثوذكس) بتمييز إيجابى فى المعاملة فى الكثير من الحالات[٥].

وقد بدا تمييز مشابه لغير صالح العسكريين السنيين فى حركة تنقلات الضباط داخل القوات المسلحة. فالضباط "الموثوقون" نظراً لروابطهم الطائفية المشتركة مع القادة العسكريين الذين ينحدرون من مجموعات الأقليات عادة ما كانوا يُكتلون فى قطاعات الجيش الهامة سياسياً واستراتيجياً القريبة من دمشق، بينما يُستبعد "غير الموثوقين" على نفس الأساس أو الذين كان من المحتمل أن يكونوا "غير موثوقين" لكونهم سنيين، فكثيراً ما كانوا يُنقلون للجبهة السورية الاسرائيلية أو لحلب أو اللاذقية[٦]. وقد أدت سياسة التنقلات العسكرية ذات المسحة الطائفية داخل وحدات الجيش المتمركزة حول دمشق إلىأن تكون السيطرة لأعضاء الأقليات، بينما كان هناك تمثيل قوى للسنيين فى وحدات معينة للجيش بعيدة عن العاصمة[٧].

ولم تقتصر الروابط الطائفية على القيام بدور هام فى تعيين الضباط فى المراكز العسكرية العليا، بل أيضاً فى المستويات الدنيا. فقد تشكلت بعض الوحدات المسلحة أساساً من أعضاء طائفة دينية معينة، بينما قد يكون

---

٤ منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص ١٥٩؛ النهار، ٩ يوليو (تموز) ١٩٦٣؛ الصفاء، ١١ يوليو (تموز) ١٩٦٣؛ المحرر، ١٥ يوليو (تموز) ١٩٦٣ . طبقاً لمطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٣٤٠ - ٣٣٩، "فقد أغلق باب الكليات العسكرية ومختلف المدارس العسكرية فى وجه شباب المدن السنيين. حتى أن دورات كاملة من هذه الكليات قد سرحت من الخدمة جميعها، وقبل أن تتخرج".

٥ منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص ١٥٩؛ انظر فؤاد الأطرش، الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص ٣٧٣؛ مطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٣٣٨ - ٣٣٩

٦ منيف الرزاز، التجربة المُرَّة، ص ١٥٩

٧ ظهرت آثار هذه السياسة فى التنقلات خلال إنقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ العسكرى. انظر نهاية هذا الفصل.

الضباط القادة من أصول مختلفة. فمثلاً، بعض كتائب الدبابات كتلك التابعة للواء السبعين المتمركز بالقرب من الكسوة جنوب دمشق، كان معظم طواقمها من العلويين، بينما كان قادتها من السنيين[٨]. وكان من الممكن أن تتلاشى سلطة هؤلاء القادة السنيين على الطواقم العلوية إلى الصفر بكل سهولة لدى إعطاء الضباط العلويين العاملين فى الوحدات المسلحة الأخرى تعليماتهم لأقرانهم فى العقيدة بعدم تنفيذ الأوامر. وهكذا، استطاع بعض الضباط أن يمارسوا سيطرة قوية على جزء أكبر بكثير مما هو مخول لهم رسمياً، طبقاً لبنية القيادة العسكرية الرسمية بالقوات المسلحة السورية.

وقد تم التعبير بوضوح عن مثل هذه "الإتصالات الجانبية" المحظورة فى كلمات اللواء محمد عمران العلوى الذى أعلن فى أوائل عام ١٩٦٦ خلال أحد إجتماعات الحزب أن:

> محمود حمرا (وهو ضابط سنى من حماة) لا يستطيع قيادة كتيبته (فى اللواء السبعين المدرع) لان ٧٠٪ من صف الضباط فى الكتيبة يتودهم على مصطفى (وهو ضابط علوى مؤيد لمحمد عمران، وقائد كتيبة فى نفس اللواء) وكذلك بالنسبة لكل من محمد الحاج رحمون (سنى) وكاسر محمود (علوى)[٩].

ومثال آخر على حقيقة تقويض بنية قيادة الجيش والانضباط من جراء سيطرة الولاءات الطائفية هو تعليق عضوية ضابط غير سنى من تنظيم البعث العسكرى فى أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٥ . وكان السبب الرئيسى لهذا التعليق هو قيامه بتحريض عدة مجموعات داخل وحدته العسكرية ضد بعضها البعض على أسس طائفية، وقيامه بإعطاء تعليمات لمساعد المعسكر التابع

---

٨ حزب البعث العربى الاشتراكى، القطر السورى، القيادة القطرية، التقرير الوثائقى لأزمة الحزب المقدم للمؤتمر القطرى الاستثنائى المنعقد بين ٣/١٠ - ١٩٦٦/٣/٢٧ (دمشق، ١٩٦٦) (من الآن فصاعداً التقرير الوثائقى) ص ٦٥، ٨٥-٨٨ . مطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٣٤٩، وصف الموقف على النحو التالى: "فالمعلمون يصبحون ضباطاً والفلاحون جنوداً وصف ضباط. حتى غدا اللواء سبعين خاصة، علوياً بقيادته وقواعده تقريباً". انظر أيضاً
J.C. Hurewitz, Middle East Politics: The Military Dimension, p. 153; Martin Seymour, 'The Dynamics of Power in Syria since the Break with Egypt', Middle Eastern Studies, Vol. 6, No. ۲, January 1970, p. 40.

٩ التقرير الوثائقى، ص ٦٥ .

لطائفته الدينية بأن يكون على استعداد للقبض على جميع أفراد ضباط الصف السنيين بوحدته العسكرية بمجرد إصدار الأوامر له هاتفيا[١٠].

إن تفويض سلطة القادة العسكريين بالسيطرة على الولاءات الطائفية التي تتبعهم لم يكن بظاهرة جديدة في تاريخ الجيش السوري، فقد استخدمت مثل هذه التكتيكات على سبيل المثال خلال "فترة الانفصال"[١١].

ويبدو أن تعيين ضباط سنيين في مراكز عسكرية عليا كان أحياناً يُقصد به في المقام الأول إرضاء رفاقهم السنيين بالجيش وتقليل عدم ثقتهم في العسكريين المنتمين لأقليات دينية. وقد ساعدت تعيينات كهذه على إبطال الانطباع السائد بأن المراكز القيادية في القوات المسلحة كانت مشغولة أساساً بأعضاء طوائف دينية معينة، بيد أن شغل وظيفة عسكرية عليا لم يكن يعني بالضرورة التمتع بسلطة مستقلة[١٢].

فشل سياسة الطائفية العلنية كتكتيك: إبعاد عمران

لقد أدت الممارسات الطائفية المذكورة أعلاه إلى ارتباط علاقات السلطة إلى حد كبير داخل القوات المسلحة السورية بالتحالفات الشخصية بين قادة جماعات الضباط الذين بدورهم انضم لهم معظم اتباعهم عبر ارتباطات طائفية

---

١٠ نشرة (منسوخة) صادرة عن المكتب العسكري لجميع أعضاء فروع الحزب العسكرية وفروعه المستقلة، ٢ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٥ . انظر خطاب الرئيس أمين الحافظ الذي أذاعته إذاعة دمشق، ٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٥، حيث أشار إلى أن "الصداقة والروابط الأخرى قد قوضت الانضباط العسكري بالقوات المسلحة"، وأكد على ضرورة الطاعة المطلقة والشديدة بين العسكريين.

١١ في بداية ١٩٦٣ فشل المقدم الدمشقي النحلاوي في محاولة استرداد سلطته على الجيش السوري، وذلك عن طريق انقلاب عسكري بمساندة بعض مؤيديه الدمشقيين الذين لم يكن قد تم تسريحهم. وأحد أسباب فشله هو أن بعض الضباط فقدوا السيطرة على جنودهم الذين رفضوا الامتثال لمزيد من الأوامر من قبل قادتهم الدمشقيين أو الذين هجروا وحداتهم العسكرية بتحريض من الشيوخ العلويين والسنيين. (سامي الجندي، البعث، ص ١٠٩ - ١١٠).

١٢ حول مركز كبار الضباط السنيين مثل مصطفى طلاس وناجي جميل انظر الفصل الخامس.

وصلات عشائرية واقليمية. بيد أن سلك الضباط ككل لم يكن قد انقسم بعد عبر اتجاهات طائفية. وهكذا، ففي عام ١٩٦٥ حظي رئيس أركان الجيش السوري، اللواء صلاح جديد، العلوي، بتأييد ضباط علويين تربطه بهم علاقات شخصية قوية، وهذا لا يعني بالضرورة أن جميع الضباط العلويين قد أيدوا جديد، أو أن أنصاره فقط من العلويين. فعلى سبيل المثال، نجد أن رئيس المخابرات العسكرية المقدم أحمد سويداني، وهو سني من حوران، كان واحداً ضمن الكثيرين من أنصار جديد غير العلويين في ذلك الحين، حيث كان بدوره يعتمد على دعم ضباطه الحورانيين (ومعظمهم سنيون)، إلا أن هؤلاء لم يشكلوا كتلة واحدة متماسكة وإنما كانوا منقسمين إلى عدة جماعات يقودها ضباط مثل أحمد سويداني ومصطفى الحاج علي وموسى الزعبي، وجميعهم أعضاء في اللجنة العسكرية البعثية. ولم يكن ينتفي العديد من الضباط البعثيين الآخرين إلى أية كتلة ضباط طائفية و/أو اقليمية، ولم تلعب خلفياتهم الطائفية أو الاقليمية أي دور، ولم يستغلوا أية "اتصالات جانبية" محظورة لتقوية مراكزهم على أسس طائفية واقليمية و/أو عشائرية. وكثيراً ما كانت التحالفات بين قادة جماعات الضباط تتخطى عوامل مثل وحدة الديانة أو القبيلة أو بلد المنشأ أو الإيديولوجية، كما لعبت المصالح الشخصية في كثير من الأحيان دوراً هاماً في تكوين أو قطع الروابط مع ضباط آخرين. وكان يسهل تحطيم التحالفات وتغاضي الضباط عن المبادىء الإيديولوجية إذا ما تعرضت مراكز سلطتهم أو مصالحهم الشخصية للخطر[١٣].

---

١٣ تم إعطاء وصف مفصل لأمثلة على التغيير المفاجيء للولاءات والتحالفات بين الضباط العسكريين في
Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963 - 66, pp. 165 - 71, 180 - 189; Van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958 - 1966)', pp. 14 - 16.
وأحد الحالات المتطرفة هي تحول ولاء مصطفى طلاس في ١٩٦٥ من الرئيس أمين الحافظ إلى صلاح جديد عقب شجار بأحد النوادي الليلية، حيث اتخذ أمين الحافظ إجراء تأديبياً ضده، في حين أن جديد ساعده، وبذلك حظي بتأييده. مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٥ سبتمبر (ايلول) ١٩٧١ . ولمزيد من التفاصيل عن الواقعة انظر
Van Dam, 'De Ba'thpartij in Syrië (1958 - 1966)', pp. 1919 - 1920.
وفيما بعد نسب أنصار أمين الحافظ السنيون تحول ولاء طلاس لدوافع طائفية، حيث أشاعوا أن والدته من أصل علوي (التقرير الوثائقي، ص ٩١). ومن الواضح أن مثل هذه الشائعات انتشرت بغرض تعضيد التضامن "الطائفي" لمؤيدي أمين الحافظ السنيين. وهناك تفسير آخر لإنضمام مصطفى طلاس لجانب صلاح جديد (وحافظ الأسد) وذلك هو صلته القوية بحافظ الأسد منذ بداية حياتهما العسكرية عام ١٩٥٣، حيث التحقا سوياً بالكلية العسكرية. انظر

وقد وصف منيف الرزاز الموقف فى النصف الأخير من عام ١٩٦٥ بقوله:

وتأخذ التحالفات فى مثل هذا الصراع شكلاً غريباً لا علاقة للمبادىء به ••• أما المبادىء التى يتستر بها النزاع فليست إلا سلاحاً للهجوم على المنافسين، ومخبأ يتقى به المنافسون، وهى قابلة للتبديل فى كل مرحلة[١٤]•

فرغم أن جماعات من الضباط كانت تتكون أساساً من أفراد طائفة دينية واحدة إلا أنه كان من السهل أن تتبع معسكرات سياسية معارضة• وقد بدى ذلك واضحاً فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٤ عندما تم إبعاد اللواء محمد عمران العلوى من سوريا من قبل أعضاء آخرين فى اللجنة العسكرية بتهمة بناء كتلة طائفية علوية داخل الجيش ولكونه المسئول الأول عن جو الإرتياب

مصطفى طلاس، مرآة حياتى، العقد الأول (١٩٤٨ - ١٩٥٨) (دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩١)، ص ٢٨٢، ٢٩٩؛

Lucien Bitterlin, Hafez el-Assad: Le Parcours d'un Combattant (Paris, 1986), p.34.

إن الضباط الذين كانوا يغيرون ولاءهم بسهولة كانوا أيضاً قادرين على التمتع بأفكار إيديولوجية واضحة• انظر على سبيل المثال: مصطفى طلاس، حرب العصابات (بيروت، ١٩٦٩)؛ مصطفى طلاس، الكفاح المسلح والتحدى الصهيونى (بيروت، غير معلوم التاريخ)؛ محمد عمران، تجربتى فى الثورة؛ قارن مجلة الفكر العسكرى (دمشق)•

وتجدر الملاحظة بأنه بالذات، عقب الاستيلاء على السلطة من قبل البعث فى ١٩٦٣، "اشتبه" عدد من السنيين فى أن سنيين معينين يشغلون مناصب هامة بمؤسسات السلطة السورية ينتمون لأقلية دينية، بينما الأمر فى الواقع لم يكن هكذا• قارن خليل مصطفى، سقوط الجولان !؟ ص ٢١٠، حيث تم التلميح بأن عبد الحليم خدام (وهو سنى من بانياس) علوى ، فوفقاً لخليل مصطفى قام خدام وهو محافظ القنيطرة وقبل اندلاع حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ بقليل بالسماح للعائلات العلوية فقط بإجلاء الجبهة السورية - الإسرائيلية والتوجه لأماكن آمنة، بينما أجبر أعضاء الطوائف الدينية الأخرى على البقاء•

Hanna Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', The Middle East Journal, Vol. 35, Summer 1981, p. 332,

يذكر إن عبد الحليم خدام "قد تزوج عام ١٩٥٤ بامرأة من عائلة الهواش وهى عائلة عريقة انجبت قادة المتاورة (العلويين) فى العصر العثمانى ••• ثم تزوج فيما بعد بامرأة أخرى من عائلة طيارة وهى عائلة سنية"•

١٤ منيف الرزاز، التجربة المرّة، ص ١٣٨ •

الطائفى السائد حينذاك[١٥]. ولم يقتصر اتهام عمران بنشر الطائفية من قبل كبار الضباط السنيين فقط مثل الرئيس أمين الحافظ وموسى الزعبى، بل أيضاً من قبل ضباط علويين بارزين مثل صلاح جديد وحافظ الأسد[١٦].

ورغم أن جديد والأسد، شأنهما شأن عمران، قد اعتمدا بصورة واسعة على أنصارهما الشخصيين من العسكريين العلويين للإحتفاظ بمراكز سلطتهما، ومن المحتمل أنهما استفادا من الولاءات الطائفية والاقليمية والعشائرية لتقوية مراكزهما، إلا أنهما تمتعا بقدر من الحكمة بحيث لم يعلنا عن ذلك صراحة مثلما فعل عمران.

وقد صرح عمران : "ان الفاطمية يجب أن تأخذ دورها"[١٧]، كما يبدو، بغية أن يلعب الضباط المسلمون غير السنيين (أى العلويون والدروز والاسماعيليون باعتبارهم "فاطميين") دوراً على أسس طائفية ضد أبرز منافسيه، الرئيس السنى والقائد الأعلى للقوات المسلحة السورية أمين الحافظ.

ولم يتحمل معظم الضباط البعثيين مثل هذه التصريحات العلنية المشوبة بالمسحة الطائفية، حيث أنه وفقاً لإيديولوجية البعث القومية العلمانية فإن البعثيين يجب أن يجاهدوا للقضاء على المشاعر الجماعية الطائفية والاقليمية والعشائرية. وفى الفترات اللاحقة من الصراع على السلطة بين الضباط البعثيين ثبت مراراً فى التحليل النهائى أن أولئك الذين تحدثوا علانية لصالح تعزيز مراكز طوائفهم الدينية قد أضعفوا من مراكزهم أكثر من إضعافهم لمراكز معارضيهم، الذين بدورهم دعموا مراكزهم على أسس طائفية دون أن يتحدثوا علانية عن الأمر.

---

١٥ المصدر السابق، ص ١١٥ - ١١٧، ١٣٧ - ١٣٨، ١٥٩؛ انظر مطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

١٦ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٧١؛ التقرير الوثائقى، ص ٦٣، ٦٤ قارن مطاع الصفدى، حزب البعث، ص ٣٤١.

١٧ التقرير الوثائقى، ص ٦٤.

وكانت الطموحات الشخصية من بين أهم الأسباب المؤدية للصراع على السلطة بين عمران والأعضاء الآخرين باللجنة العسكرية التى يرأسها الرئيس السنى أمين الحافظ. إن استغلال عمران العلنى للروابط الطائفية لم يكن السبب الرئيسى فى إبعاده من قبل الأعضاء الآخرين، وإنما تم التشبث به لاستخدامه كحجة ضده[١٨].

والسمة الطائفية فى الصراع على السلطة بين عمران والآخرين لم تكن لتخفى طويلاً عن الصحافة اللبنانية، فلقد ذهبت صحيفة الحياة اليومية اللبنانية المحافظة والمناهضة لحزب البعث لأبعد من ذلك حين نسبت المنافسات بين أبرز القادة العسكريين البعثيين العلويين لاختلافات عشائرية، مشيرة إلى أن محمد عمران ينحدر من اتحاد الخياطين العشائرى العلوى، بينما ينحدر صلاح جديد من اتحاد الحدادين. وعلاوة على ذلك، خلصت الحياة إلى أن مركز الضباط العلويين قد ضعف نتيجة إبعاد عمران وأنهم استمروا منقسمين ولم ينحازوا جميعاً لصلاح جديد[١٩]. إن مثل هذه المزاعم، سواء كانت صحيحة أم كاذبة، لم تمر دون ان تسترعى انتباه البعثيين السوريين، وهذا ما بدا فى الأسلوب العنيف فى نقد مقالة الحياة على صفحات جريدة "الثورة" وهى الجريدة اليومية السورية التى يسيطر عليها حزب البعث:

> إن الصحف الممولة من قبل بريطانيا، كالحياة، قد دأبت دائماً على إثارة التفرقة الطائفية ... حيث قامت مثل هذه الصحف بتمييز كل حاكم أو ضابط أو مسئول سورى بتحديد ديانته أو عشيرته التى ينتمى إليها، معطية الانطباع بأن الخلافات العشائرية وغيرها بين موظفى الحكومة ستؤدى حتماً لانهيار النظام فى سوريا[٢٠].

أما على الصعيد الداخلى، فقد اعترف حكام البعث السوريون فيما بعد بأن الشائعات التى ترددت، ضمن أمور أخرى، عبر وسائل الإعلام اللبنانية قد خلقت الانطباع لدى بعض أعضاء الحزب بأن السنيين (بزعامة الرئيس أمين

---

١٨ المصدر السابق، ص ٦٣ - ٦٦ .

١٩ الحياة، ١٠ فبراير (شباط) ١٩٦٥؛ انظر أيضاً "طريق سوريا بعد ذهاب عمران ومدرسته"، الحياة، ٢٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٤؛ "السرطان الطائفى يجمد الدولة والشعب"، الحياة، ٥ فبراير (شباط) ١٩٦٦؛ النهار، ١٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٤ .

٢٠ الثورة، ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٥ .

الحافظ) قد احرزوا نصراً ضد العلويين عندما تم إبعاد اللواء عمران العلوى من البلاد[٢١]. بيد أنه، فى الواقع، ظل الضباط العلويون البارزون أمثال صلاح جديد وحافظ الأسد بالقوات المسلحة السورية وحظوا بمساندة جماعات عسكرية قوية كانت أيضاً - بدون عمران ومناصريه العسكريين - تهدد بشكل خطير الرئيس أمين الحافظ، كما بدا واضحاً عام ١٩٦٥[٢٢].

الاستقطاب الطائفي في القوات المسلحة

بعد أن نجح أمين الحافظ وصلاح جديد فى إبعاد عمران، وهو أبرز منافس لهما فى اللجنة العسكرية، أصبح عليهما أن يواجه الواحد منهما الآخر.

وقد وقعت حادثة عام ١٩٦٥ أيقظت منافستهما الهاجعة فى صراع مكشوف على السلطة، وكانت بين جديد والرائد سليم حاطوم الذى كان يقود نخبة جنود المغاوير المتمركزة بالقرب من دمشق.

ومنذ أن تقلد البعث السلطة عام ١٩٦٣ تطورت التوترات بين كبار قادة اللجنة العسكرية وبين الأعضاء الأقل رتبة فى التنظيم العسكرى، حيث لعب بعضهم، وخاصة الرائد سليم حاطوم الدرزى، دوراً فعالاً فى إنقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣، وبالتالى شغلوا مناصب عسكرية قيادية حساسة، ولكن لم يتم تعيينهم فى أعلى الرتب العسكرية أو مراكز الدولة والحزب العليا، على عكس

---

٢١ المناضل، العدد ٣، ابريل (نيسان) ١٩٦٦، ص ١٣ . انظر الملحق أ.

٢٢ يمكن ملاحظة أن عمران من جانب وصلاح جديد وحافظ الأسد من جانب آخر يأتون من مناطق مختلفة. قارن
Van Dusen, Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army, pp. 366 - 368
حيث يتم التأكيد على أهمية الولاءات الإقليمية في شرح المنافسة بين جديد وعمران: "كان محمد عمران علوياً بارزاً من منطقة حماة، مقرباً من حركة حورانى، إلا أنه أبداً لم يكن أحد رجال الحورانى، ولم يستجب للاعتبارات الدينية التى تعكس الاستيعاب الأكبر للعلويين بمنطقة حماة. (كان هناك استيعاب أفضل للعلويين والإسماعيليين بمنطقة حماة عنه بالمناطق الساحلية). لقد اعتبره الكثير من الضباط ممثلاً لحماة فى وقت تم التخلص فيه من أهم فروع حماة بالجيل الرابع أثناء الصراعات بين الاجيال. ومن ناحية أخرى، ساق صلاح جديد فرع اللاذقية الذى كان يزداد أهمية فى الجيش".

قادة اللجنة العسكرية. "ويبدو أن هؤلاء الضباط لم يحسدوا قادة اللجنة العسكرية فقط، بل أيضاً مناضلي الحزب المدنيين الذين تمتعوا بالسمو في الرتبة والوضع، بينما لم يحظوا هم أنفسهم إلا بنصيب في السلطة غير المـمـيَّزة والتي قد لا يرضى بها الكل"[٢٣].

وفي وثيقة داخلية للحزب تم وصف هذه التوترات بين العسكريين كما يلي:-

بالنظر للدور القيادي الذي اضطلعت به "اللجنة العسكرية" الأولى، بعد قيام الثورة، ولكثرة الصلاحيات والادوار التي قامت بها على مستوى الحزب والجيش والسلطة مما جعل لعناصرها مركزا معينا في تلك المستويات كل ذلك خلق نوعا من الحساسية بين هؤلاء الرفاق، وبين رفاق لهم ادنى منهم رتبة ممن حملوا السلاح صبيحة الثامن من آذار من جهة، وبينهم وبين رفاق آخرين ومن رتب مختلفة لم يتيسر لهم لأسباب متعددة سابقة للثورة حمل السلاح من جهة اخرى. ان تلك الحساسية كانت تتضخم بين الرفاق المذكورين يوما بعد يوم، وقد كان اهمال اللجنة العسكرية امور التنظيم، وانغماسها بامور الحكم عنه، ودخولها دوامة الصراع الذي كان قائما في قيادة الحزب والثورة وانقطاعها عن القواعد العسكرية، سببا في تعميق تلك الحساسية[٢٤].

وتفجر هذا الموقف المتوتر في ابريل (نيسان) ١٩٦٥ عندما نشب شجار عنيف بين سليم حاطوم وصلاح جديد، فقد اقتحم حاطوم منزل الآخر مهدداً إياه بمسدس وطالباً منه تقديم استقالته الفورية كرئيس أركان الجيش السوري. ويبدو أن حاطوم اعتبر جديد مسئولاً عن انه - رغم أن له "نصيب الأسد" في تنفيذ إنقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ - لم يحظ بأحد المراكز العليا عسكرياً أو حزبياً، على عكس كبار القادة باللجنة العسكرية، كما انه لم يتمتع بالوضع المصاحب لتلك المناصب. وكرد فعل لتهديدات حاطوم قام جديد بتقديم استقالته إلى الفريق أمين الحافظ، القائد الأعلى للقوات المسلحة السورية، الذي رفضها، حيث أن إجبار رئيس الأركان على الاستقالة بهذه الطريقة أمر غير مقبول. وكان على أمين الحافظ أن يتخذ إجراءات تأديبية حيال حاطوم بعد هذه الواقعة، إلا أنه لم يفعل ذلك. وقد فسر منيف الرزاز

---

٢٣ Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963 - 66, p. 151.

٢٤ أزمة الحزب وحركة ٢٣ شباط، ص ٢١ . انظر الملحق ج.

الأمر على النحو التالي:

فأمين الحافظ سند سليم حاطوم· فى بادىء الأمر كان يشك فى ولاء صلاح جديد إليه واطمأن لسير الأمور· إلا أنه لم يرد أن يوقع عقوبات ضد سليم حاطوم، فصار بينهما حلف، حيث رغب أمين الحافظ أن يكون سليم حاطوم ضد صلاح جديد، وكان صلاح جديد يشعر من الأصل بأن سنده الأساسى لا بد وأن يكون علوياً بقدر الإمكان· وقد شعر هؤلاء بأن أشخاصاً مثل سليم حاطوم يشتغلون على أساس علوى ودرزى وسنى ··· الخ، فأرادوا التخلص من صلاح جديد[٢٥]·

وفى النصف الثانى من عام ١٩٦٥ غدت المواجهة بين أبرز المنافسين العسكريين واضحة خلال الاجتماعات الحزبية والعسكرية، وكان الحافظ يتطرق باستمرار لموضوع الطائفية ويتهم جديد، وهو ينتقده بشدة، ببناء كتلته (العلوية) الطائفية داخل الجيش· ولم تكسب مثل هذه الاتهامات الحافظ أى مساندة، بل كان لها تأثير معاكس أدى لزيادة النفور منه من قبل الضباط العلويين بشكل عام الذين انحازوا بأعداد كبيرة بدافع حفظ الذات لمعسكر جديد المنافس· ومن ناحية أخرى، ولأسباب مماثلة، التف العديد من الضباط السنيين حول الحافظ، وذلك لشعورهم بمزيد من الأمان داخل معسكر يسيطر عليه اخوانهم فى العقيدة، رغم معارضتهم الشديدة لتكوين كتلة طائفية[٢٦]·

ولقد حاول أنصار أمين الحافظ السنيون عمداً خلق كتلة سنية متماسكة داخل الجيش لمعارضة الضباط العلويين والدروز على وجه الخصوص· وكما بدا واضحاً من التحقيقات التى جرت فيما بعد فإن بعض هؤلاء الضباط السنيين قد حاولوا تشجيع الشقاق الطائفي داخل وحداتهم ووحدات الجيش الأخرى، قائلين لضباط الصف والضباط الأقل رتبة ان العسكريين العلويين والدروز يتأهبون للقيام بانقلاب بغية الإطاحة بالرئيس أمين الحافظ السنى وبالتالى إخضاع وإذلال المواطنين السنيين· وقد استمر هؤلاء العملاء المحرضون فى محاولة إضفاء الانطباع بأن الصراع على السلطة ينصب على مسألة دينية أكثر من كونه العكس، أى أن المشاعر الدينية كانت تثار بهدف

---

٢٥ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٤ · انظر أيضاً منيف الرزاز، التجربة المرة، ص ١٦٠ ·

٢٦ المصدر السابق

الحصول على السلطة السياسية[٢٧].

وبمساعدة بعض انصاره السنيين بالمخابرات السورية حاول أمين الحافظ تعضيد مركزه عن طريق إمداد مختلف المجموعات (ومعظمها من السنيين)، والتى تمردت فى مراحل سابقة على نظام البعث، بالسلاح والمساندة. وفى وثيقة داخلية للحزب ترجع لعام ١٩٦٦ أطلق عليهم "رجعيون وناصريون وحورانيون ومحايدون". وقد اتهم الحافظ أيضا بتشجيع هذه المجموعات على تنظيم "عصيان مدنى"[٢٨].

والتحاق العديد من الضباط العلويين بمعسكر جديد نتيجة هذه التطورات لا يعنى بالضرورة انهم اصبحوا يؤيدونه ويؤمنون بآرائه، ولكنه يعنى انهم تحولوا لجديد ضد الحافظ[٢٩].

وبينما دفع تصرف أمين الحافظ بدون رغبته الصريحة فى ذلك بمعظم الضباط العلويين للمعسكر المعارض، إلا انه فى النصف الثانى من عام ١٩٦٥ فقد أيضاً دعم اهم وابرز مؤيديه من العسكريين الدروز، وخاصة سليم حاطوم وحمد عَبيد اللذين تم التأثير عليهما للإنضمام لجانب جديد لأسباب تمت بالكاد، أو لا تمت على الإطلاق، بالوجهة الطائفية من الصراع على السلطة[٣٠].

---

٢٧ التقرير الوثائقي، ص ٨٨ - ٩٦ .انظر الملحق ب.

٢٨ التقرير الوثائقي، ص ٣٤؛ قارن الانوار، ١٦ مارس (آذار) ١٩٦٦ . طبقاً للتقرير الوثائقي ص ١٠١، ١٠٢ فإن الرائد عبد الغنى برو، احد انصار أمين الحافظ السنيين، وزع السلاح على عدد من انصار اكرم الحورانى المدنيين فى حماة وغيرهم ممن شاركوا فى عصيان حماة الذى اتسم بالطائفية فى ابريل (نيسان) ١٩٦٤ وكان موجهاً ضد النظام البعثى، وشجعهم على القيام بأعمال تخريبية. وطبقا للمصدر ذاته فإن بدر جمعه رئيس إدارة أمن حلب وأحد انصار الحافظ (السنيين) المخلصين، حاول جاهداً إمداد "مجموعات السنيين الوحدويين" بالسلاح، تأهباً للوقوع الحتمى "لحرب طائفية لصالح الفريق" (أمين الحافظ) وهو أيضاً حلبى.

٢٩ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٤؛ منيف الرزاز، التجربة المُرّة، ١٥٩-١٦٠ .

٣٠ للتفاصيل انظر المصدر السابق ص ١٤٩ - ١٥١ ؛

وقام ابرز الضباط البعثيين الاسماعيليين (وليس كلهم) أمثال احمد المير وعبد الكريم الجندي بتأييد جديد[٣١]• ورغم اتهامات الحافظ الموجهة ضد جديد بالطائفية، إلا ان اهم انصار جديد من العسكريين السنيين أمثال مصطفى طلاس واحمد سويداني ظلوا ثابتين بجانبه[٣٢]• وأثناء الصراع على السلطة بين الحافظ وجديد أدى التلاعب بالولاءات الطائفية والاقليمية والعشائرية إلى زيادة التوتر داخل القوات المسلحة السورية إلى حد نتج عنه بلوغ استقطاب بعيد المدى بين السنيين وأعضاء الاقليات الدينية، وبالتالي بدأ التمييز الطائفي بالتضاد بين العسكريين يحجب معظم الخلافات الاخرى[٣٣]• وانقسم سلك الضباط إلى معسكرين متنافسين، مع وجود تمثيل كبير للسنيين من جانب والعلويين والدروز والاسماعيليين من جانب آخر• ولم يكن هذا الاستقطاب الطائفي قائماً على اساس الاجماع الطائفي بين العسكريين من طائفة دينية واحدة، بل كان قائماً على المعارضة المشتركة واللائقة الطائفية[٣٤]• وكان ذلك موجهاً ضد العسكريين من طوائف دينية اخرى والذين كان يُعتقد انهم يشكلون تهديداً لموقف الطرف الآخر• وقد تم تفسير سلوكهم كشكل من اشكال الطائفية والاقليمية و/أو العشائرية بهدف تعضيد مركزهم كمجموعة دينية واقليمية و/أو عشائرية ضد مصلحة المجموعات الاخرى•

ولم تنعكس المنافسة بين الحافظ وجديد على القوات المسلحة وتنظيم

Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963-66, pp. 161-71, 180-9; Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 117-20; Van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958-1966)', pp. 15-16.

وقد تم تعيين حمد عُبيد وزيراً للدفاع في سبتمبر (أيلول) ١٩٦٥، كما تحول ولاء جميل شيا، وهو العضو الدرزي المدني الوحيد بالقيادة القطرية آنذاك، عن الحافظ إلى جديد•

٣١ قارن
Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963-66, p. 182, n. 4.

٣٢ انظر الحاشية رقم ١٣ بعاليه•

٣٣ قارن منيف الرزاز، التجربة المُرة، ص ١٦٠ •

٣٤ قارن وصف ويلرس "لمُركّب الاقلية"، انظر الفصل الأول•

الحزب العسكرى فحسب، بل أيضاً على العلاقات فيما بين المؤسسات المدنية الرئيسية لحزب البعث، كما ظهرت جلية، على وجه الخصوص، فى المنافسة القائمة بين القيادة القطرية السورية تحت سيطرة جديد وانصاره والقيادة القومية تحت سيطرة أمين الحافظ وقدامى البعثيين بقيادة ميشيل عفلق• وفى السنوات التى تلت عام ١٩٦٣ كادت القيادة القومية أن تفقد سيطرتها الكلية على جهاز الحزب فى سوريا والذى كان يتبعها رسميا •

وفى النصف الثانى من عام ١٩٦٥ سعت القيادة القومية للتوسط بين جديد والحافظ، وفى محاولة لتقوية مركزها سعت لاستغلال المنافسة بين الحافظ وجديد بغية ضرب احدهما بالآخر• وعندما تم عزل الحافظ عام ١٩٦٥ داخل القيادة القطرية السورية من قبل انصار جديد حاول بدوره - شأنه شأن عمران فى ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٤ - التقرب من القيادة القومية، بأمل تقوية مركزه فى جهاز الحزب فى القطر السورى[٣٥]• وفى محاولة لتحطيم سيطرة جديد على جهاز الحزب السورى قررت القيادة القومية فى ١٩ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٥ أن تتقلد زمام السلطة بالكامل عن طريق حل القيادة القطرية السورية[٣٦]• وبعد ذلك أعلنت القيادة القومية ضرورة عودة الانضباط العسكرى للجيش، وذكر بيان داخلى موجه للعسكريين ما يلى:-

> ان القيادة القومية تشجب التصفية وستحمى الرفاق جميعاً من أية محاولة تستهدف هذا الغرض ولكنها فى نفس الوقت لا تسمح "باستملاك" قطعات من الجيش وتحويلها الى كتل شخصية•
> ستكون القيادة القومية ضد كل ولاء غير الولاء للحزب• فهى ضد الطائفية والطرح الطائفى وضد الولاء الشخصى• وضد التكتلات العشائرية وهى لا تعرف ولاء الا للحزب• القيادة القومية مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع هى المرجع فى المرحلة الحاضرة فى حل مشكلة الجيش، وابعاده عن التدخل فى السياسة وشئون الحكم وفى اعادته لعسكريته• على القيادة القومية مع رئيس الوزراء ووزير الدفاع ان تجرى

---

٣٥ انظر
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 137-8, n. 37.

٣٦ منيف الرزاز، التجربة المرّة، ص ١٦٥-١٦٨، ١٩٤ •

التنقلات العسكرية الكفيلة بازالة حالة التوتر والقلق والتدخل[٣٧].

ان الاستقطاب الطائفى فى القوات المسلحة السورية الى معسكرات منافسة قد صعب الامر للغاية بالنسبة للقيادة القومية من حيث ايجاد وزير دفاع جديد يكون مقبولاً لدى المجموعتين ويكون قادراً أيضاً على استعادة الانضباط العسكرى[٣٨].

وطبقاً لما يذكره الرزاز فان اثنين فقط من كبار الضباط البعثيين وهما محمد عمران وفهد الشاعر (درزى) كانا مؤهلين لمنصب وزير الدفاع لعدم انتمائهما لأحد الاطراف المتنافسة. وكان عمران هو الوحيد من بين كبار الضباط العلويين الذى لم ينضم للمعسكر الذى سيطر عليه جديد، حيث أن جديد (شأنه شأن الأسد والحافظ) كان ضمن المسئولين عن إبعاد عمران من سوريا فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٤[٣٩]. وكان من المحتمل ان يُفسر تعيين ضابط سنى وزيراً للدفاع كإهانة شخصية من قبل الضباط العلويين، وبالتالى، كان من الممكن أن يبرز هذا الصبغة الطائفية فى الصراع على السلطة. وعليه، فان اقتراحاً بتعيين محمد رباح الطويل (سنى من اللاذقية) وزيراً للدفاع قد رفض[٤٠]. وأخيراً، فضلت الغالبية داخل القيادة القومية - بمن فيهم أمين الحافظ - ان يكون عمران وزيراً للدفاع، حيث انضم الاخير فى ٢ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٦ لوزارة صلاح الدين البيطار الجديدة بهذه الصفة.

وكانت الحجة الرئيسية المستخدمة فى صالح تعيين عمران انها ربما تزيل الصبغة الطائفية فى الصراع على السلطة عن طريق تهدئة الضباط

---

٣٧ حزب البعث العربى الاشتراكى، القيادة القومية، نشرة الى الرفاق العسكريين رقم ١، يناير (كانون الثانى) ١٩٦٦.

٣٨ قدمت وزارة الدكتور يوسف زعين والتى كانت تتكون أساساً من مؤيدى صلاح جديد استقالتها فى ٢٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٥، أى، بعد حل القيادة القطرية السورية بوقت قصير.

٣٩ منيف الرزاز، التجربة المُرة، ص ١٨١-١٨٢.

٤٠ التقرير الوثائقى، ص ٩٦.

العلويين[٤١]، كما ان لتعيينه مزايا تكتيكية لأمين الحافظ ومعظم القيادة القومية، بيد انه يمكن ان يسبب تصدعاً في الاجماع النسبي بين الضباط العلويين، حيث يمكن ان يتجمع جزء منهم حول عمران، بينما يبقى الجزء الآخر موالياً لجديد، ومثل هذا الانشقاق قد يقوي مركز أمين الحافظ ومعظم القيادة القومية، فتنجح بالتالي في تنفيذ خططها[٤٢].

ان اسلوب الحافظ العدائي تجاه الضباط العلويين، حيث فقد الثقة بشدة في معظمهم، جعل أي نوع من التعاون المثمر بينه وبين محمد عمران امراً مستبعداً للغاية. وخلال أيام قليلة من تعيين عمران وزيراً للدفاع توترت العلاقات بينهما، بحيث أصبح من العسير إجراء تنقلات لوحدات عسكرية أقل حساسية لمن هم أكثر تهديداً لنظام القيادة القومية، أي، سليم حاطوم وعزت جديد (علوي) واحمد سويداني.

وكان منيف الرزاز يرى ان إجراء التنقلات لهؤلاء الضباط الثلاثة كان ممكناً خلال ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٦٦ بمساعدة أبرز وأهم أنصار عمران العلويين، وهو علي مصطفى، قائد كتيبة باللواء السبعين، الذي ساند معظم القيادة القومية. ولكن أمين الحافظ الذي كان قد اكتسب في هذا الوقت تقريباً عقدة نفسية ضد العلويين وأصبح يعتبر جميع العلويين تقريباً أعداء شخصيين له رفض ان يقوم علوي وأحد مؤيدي القيادة القومية - والذي كان معارضاً لعسكريين أمثال حاطوم وجديد وسويداني - بحشد وحداته العسكرية. وعندما قام علي مصطفى بذلك، بناء على اقتراح الرزاز، أمر أمين

---

٤١ كان هناك حجة إضافية للبيطار، رئيس الوزراء، لتعيين عمران وهي انه شخصياً مؤيَّد ببعض أنصار عمران العلويين (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤).

٤٢ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤؛ مقابلة مع شبلي العسيمي، بغداد، ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٧١؛ منيف الرزاز، التجربة المُرّة، ص ١٦٠؛ قارن Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 370, 382;
المناضل، العدد ٨، أوائل سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦، ص ١٣؛ التقرير الوثائقي، ص ٣٦-٣٩، ٤٣، ٤٤. صرح حافظ الأسد فيما بعد ان القيادة القومية آنذاك قد اقترحت تعيين عمران وزيراً للدفاع "للاستفادة من أواصر عمران وأمين الحافظ مع بعض الكتل داخل القوات المسلحة، وذلك لتصفية القيادة القطرية بمساعدتهما، وبالتالي، التخلص من عمران بتحريضهما الواحد ضد الآخر". (الانوار، ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠).

الحافظ بإلغاء هذه الخطوة على الفور·

وعليه، فقد أصبح مستحيلاً إتخاذ الإجراءات الإحتياطية الضرورية لنقل أخطر معارضي القيادة القومية العسكريين، كما أصبح الطريق مفتوحاً أمام أنصار جديد للقيام بانقلاب عسكري ناجح[٤٣]·

وثبت ان كتلة الضباط العلويين التي تجمعت خلف عمران بعد عودته من المنفى ضعيفة نسبياً، وبعبارة أخرى، فلم يتسبب تعيينه في انشقاق خطير بين الضباط العلويين كما كان مأمولاً ومتوقعاً من قبل أمين الحافظ ومعظم القيادة القومية·

ولقد قوبل تعيين عمران بنقد شديد داخل القوات المسلحة، فبدا وكأنه شخص غير مرغوب فيه بين جميع الضباط غير العلويين وبين الغالبية العظمى من الضباط العلويين، الذين انتقدوا بشدة ممارساته الطائفية التي يحيكها خلف الكواليس، وفضلوا رحيله على شغله مركزاً عسكرياً مهماً كهذا[٤٤]·

وكانت المهمة الرئيسية المسندة لعمران كوزير للدفاع هي استعادة الانضباط العسكري بالقوات المسلحة[٤٥]· ولكن بعد تعيينه أخذت التوترات الطائفية في التصاعد بدلاً من التلاشي· وطلب بعض أعضاء الحزب العسكريين إبعاده من الحزب والسلطة معاً بسبب ممارساته الطائفية العلنية، فقد عارضوا أي نوع من الطائفية والاقليمية، وبلغ بهم الحد لأن يقترحوا محاكمة الأشخاص الذين يقعوا تحت تأثير هذه العوامل[٤٦]· وكل هذا كان مؤشراً واضحاً

---

٤٣ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤

٤٤ المصدر السابق·

٤٥ يبدو من المشكوك فيه ان يكون اعضاء القيادة القومية مثل عفلق قد اعتقدوا فعلاً ان عمران قادر على استعادة الانضباط العسكري بالقوات المسلحة، حيث انه اشتهر باستغلال المشاعر الطائفية الجماعية من أجل تعضيد مركزه الشخصي·

٤٦ التقرير الوثائقي، ص ٦٥، ٦٦ ·

للموقف المتأزم حينذاك داخل القوات المسلحة السورية.

وفى ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ تمت الإطاحة بالرئيس أمين الحافظ ومعارضى جديد الآخرين بالقيادة القومية عن طريق انقلاب عسكرى تم تنفيذه ولعب فيه سليم حاطوم وعزت جديد دوراً رئيسيا.

وقد احتشدت على الفور الوحدات المسلحة المتمركزة حول دمشق والواقعة تحت سيطرة الضباط العلويين والدروز وراء الانقلاب. وجاءت المعارضة الرئيسية من وحدات الجيش المتمركزة بعيداً عن العاصمة كاللاذقية وحماة وحمص وحلب، حيث حاول العديد من الضباط السنيين المساندين لأمين الحافظ تحويل الموقف العسكرى والسياسى لصالحهم[٤٧].

وحقيقة ان وحدات الجيش المتمركزة حول دمشق مباشرة ابدت القليل من المقاومة تجاه الانقلاب هى نتيجة للتكتيكات السابق ذكرها الخاصة بأعضاء الأقليات بالقيادة العسكرية السورية: ضباط "موثوقون" بناء على خلفيات طائفية، نظراً لانحدارهم من طوائف أقليات دينية واحدة، تمركزوا بالقرب من دمشق، بينما أولئك "غير الموثوقين" لأسباب مشابهة لكونهم سنيين تمركزوا بالقرب من الجبهة الاسرائيلية أو بعيداً عن العاصمة بالقرب من شمال البلاد[٤٨].

واسفر الانقلاب الجديد عن تصفية بعض جماعات الضباط السنيين البارزة، كما تم تسريح أهم أعضاء كتلة عمران. وفى غضون عام ١٩٦٦ تم تصفيتهم أيضاً بصفة رسمية من تنظيم الحزب العسكرى بتهمة إدانتهم بتكوين كتل طائفية واقليمية و/أو عشائرية داخل القوات المسلحة السورية[٤٩].

---

٤٧ المصدر السابق ص ١٠٤-١٠٨.

٤٨ انظر منيف الرزاز، التجربة المرّة، ص ١٥٩؛ انظر التقرير الوثائقى، ص ٣٣-٣٤، حيث يُذكر أن الحافظ كان مؤيّداً بشكل خاص من قبل ضباط فى المخابرات، ولا سيما هؤلاء المتمركزين فى دمشق وحمص وحلب واللاذقية والقنيطرة.

٤٩ المناضل، العدد ١١، منتصف ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٦، ص ٩؛ الحياة، ٣٠ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٦ . لذلك، اتهم مصطفى عمران "بالاشتراك فى قيادة كتلة طائفية عشائرية" او بعبارة أخرى الاشتراك فى قيادة جماعة من الضباط العلويين لعبت فيها عائلة

ان نسبة كبيرة وملفتة من الذين تمت تصفيتهم بهذه الطريقة كانت من السنيين [٥٠]، وقد نتج عن هذا ازدياد تمثيل أعضاء الأقليات الدينية مرة أخرى، وخاصة المسلمين غير السنيين، مما لم يكن في صالح السنيين.

عمران دوراً رئيسياً.

٥٠ قارن نشرات القيادة القطرية السورية لحزب البعث، ١٤ و ١٧ يوليو (تموز) ١٩٦٦. وللحصول على بيان باسماء الضباط المسرحين انظر
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 143, n. 84.

الفصل الرابع

تصفية الضباط الدروز ككتل منفصلة داخل القوات المسلحة السورية

التنظيم السرى للقيادة القومية المخلوعة

تمكن منيف الرزاز، الامين العام للقيادة القومية المخلوعة من النجاة من الاعتقال بعد انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ واختبأ فى دمشق وبدأ فى تشكيل تنظيم جديد للحزب من أماكن اختفائه المتغيرة باستمرار، مكون من قطاعات عسكرية ومدنية منفصلة، الهدف الرئيسى منه إعادة تقلد القيادة القومية للسلطة. وقد تزعم منيف الرزاز بنفسه القطاع المدنى، بينما أبدى اللواء فهد الشاعر، الدرزى، رغبته فى أن يأخذ على عاتقه مهمة انشاء المكتب العسكرى وتزعُم تنظيم الحزب العسكرى. وبالرغم من أن جهاز حزب منيف الرزاز المكون حديثاً كان يقبل - من حيث المبدأ - أفراداً من جميع الطوائف الدينية كأعضاء، إلا أن ذلك لم يكن الحال بالنسبة لقطاع الحزب العسكرى والذى استثنى العلويين بصفة خاصة.

وفى الصراع على السلطة الذى حدث فى الجيش السورى قبل ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦، كانت الولاءات الطائفية هامة جداً وكانت الثقة بين الضباط من مختلف الطوائف الدينية مهزوزة لدرجة أن أعضاء المكتب العسكرى لفهد الشاعر رفضوا فى البداية السماح للعلويين بالانضمام لتنظيمهم، خوفاً من أن تنكشف خططهم لأنصار صلاح جديد وحافظ الأسد العلويين[١].

---

[١] تكون المكتب العسكرى فى القيادة القومية المخلوعة على النحو التالى: فهد الشاعر (درزى) أميناً، صلاح نمور (سنى)، مجلى القائد (مسيحى من بصير، حوران)، على سلطان، شريف سعود وعلى الضماد (سنى من حوران). ولم تبق عضوية المكتب العسكرى على حالها، بل تغيرت عدة مرات. وهكذا، كان المقدم اسماعيل هلال عضواً أيضاً لمدة قصيرة. (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٤؛ حزب البعث العربى الاشتراكى، القيادة القومية، مقررات المؤتمر القومى التاسع المنعقد فى النصف الثانى من أيلول ١٩٦٦ (دمشق) (من الآن فصاعداً مقررات المؤتمر القومى التاسع)، ص ٧٠؛ البعث، ٢٩ و٣١ يناير

وفى مطلع عام ١٩٦٧، حُوكم عدد من الضباط فى دمشق بتهمة اشتراكهم فى مؤامرة القيادة الوطنية المخلوعة، والتى باءت بالفشل فى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ . وقد اتُهم منيف الرزاز حينذاك من قِبل أنصار نظام القيادة القطرية السورية باعطاء تعليمات لبعض الضباط، خاصة الرائد مصطفى الحاج علي والمقدم صلاح نامور (سنيان) "لقبول أعضاء من طوائف معينة فقط ضمن تنظيماتها" لكى "يثيروا ويستغلوا المشاعر الطائفية" فى محاولة لاسقاط القيادة القطرية السورية[٢] . وفى مقابلة اجريت فى وقت لاحق مع منيف الرزاز علق على تلك الاتهامات بالطائفية بما يلى :-

إذاً، من الأصل، لم استبعد العلويين، بل بالعكس، فبعد ٢٣ شباط ١٩٦٦ شمل التنظيم المدنى للحزب الذى أسسناه سراً، وكان معارضاً لصلاح جديد وحافظ أسد وسليم حاطوم، عدداً كبيراً من العلويين. وعندما بدأنا فى تأسيس التنظيم العسكرى وكلفنا فهد الشاعر بهذه المهمة، وبدأ بالفعل فى تشكيل قيادة المكتب العسكرى، طالبته كما طالبه الاستاذ ميشيل (عفلق) عن طريق رسالة مبعوثة من بيروت بعد سفره إلى هناك، باشراك على مصطفى (وهو ضابط علوى) فى المكتب العسكرى. فى الواقع ان الروحية التى نشأت قبل ٢٣ شباط ١٩٦٦ مباشرة جعلت النزاع يأخذ الشكل الطائفى إلى حد كبير وجعلت الضباط العسكريين بقيادة المكتب العسكرى حريصين على ان لا يشركوا علويين معهم، طالما هذا العمل سرى، وخشوا من ان اشراك العلويين قد يقود إلى كشف التنظيم السرى القائم.

فعلى رغم تبادل رسائل بينى وبينهم لادخال على مصطفى اكثر من مرة، إلا أنهم اجمعوا على حل القيادة العسكرية فى حالة انضمامه. فاضطررت ان اقبل، ووافقت على التأجيل (لانضمام على مصطفى للمكتب العسكرى) طالما الثقة غير موجودة.

لقد كان على مصطفى ببالنا، فرغم أنه أُخرج من الجيش وعُين بالسلك الدبلوماسى السورى بالخارج إلا أنه كان يأتى إلى سوريا ويجتمع بحافظ اسد. واعتقد انه فى ذلك الوقت كان من الممكن استغلال وجود على مصطفى، حتى للفصل بين حافظ اسد وصلاح جديد، فشخص مثل على مصطفى مقرب الى حافظ اسد وإن كان قد سُرح من الجيش، وبالدرجة الأولى مقرب الى محمد عمران، وعواطفه مع القيادة القومية، كان يمكن الاستفادة منه. لكن المكتب العسكرى رفض ان يدخل فى القيادة

(كانون الثانى) ١٩٦٧، ٥ و١٥ و٢٨ مارس (آذار) ١٩٦٧؛ الثورة، ٢٩ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٧).

٢ البعث، ٦ فبراير (شباط) ١٩٦٧ .

أى علوي، خشية من ان ينكشف، لأن الروابط العلوية فى تلك الوقت كانت فى أوج قوتها· ولكن التنظيم المدنى كان يضم علويين· إذاً، نحن لم نعارض ضم العلويين، إلا أن التنظيم العسكرى حساس فعلاً ·· فقال الضباط: "لا داعى للعلويين فى هذه المرحلة على الاطلاق" - وهذا لا يعنى انهم ضد العلويين - ولكن فى هذه المرحلة التى تحتاج الى ثقة من نوع خاص نرفض دخول العلويين[٣]·

وفى الحقيقة، فإن جهود القيادة القومية المخلوعة لالحاق على مصطفى بالمكتب العسكرى الذى يقوده فهد الشاعر ماثلت تعيين اللواء محمد عمران، العلوى، فيما سبق وزيراً للدفاع فى يناير (كانون الثانى) ١٩٦٦، ففى كلتا الحالتين كان تعيين ضابط علوى بارز - والذى كان من المفترض أن يتعاطف مع بعض أعضاء القيادة القومية - على ما يبدو بغرض إحداث انشقاق بين الضباط العلويين الآخرين·

تنظيم سليم حاطوم السرى

عقد الحكام السوريون الجـُدد مؤتمراً قطرياً استثنائياً لحزب البعث فى دمشق بعد انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ لمناقشة الأسباب المؤدية للانقلاب· وقد تقرر معاقبة جميع أولئك الذين اتخذوا مواقف تقوم على ولاءات طائفية أو اقليمية أو عشائرية معاقبة شديدة، وخاصة إذا كانوا من أعضاء الحزب· كما أعلن أن "حركة ٢٣ شباط" لم تكن فقط رداً على ما يسمى "بالعقلية اليمينية الدكتاتورية" لأعضاء القيادة القومية المخلوعة واللواء أمين الحافظ، ولكن قـُصد بها أيضاً وضع حد للمناورات الطائفية· وقد رفضت بشدة الاتهامات الموجهة ضد أولئك الذين تقلدوا زمام السلطة فى ٢٣ فبراير (شباط) بأن سلطتهم مستندة على الروابط الطائفية والإقليمية بحجة أن الإنقلاب تم بمعرفة أفراد "من جميع المحافظات السورية"· وقيل أن الأمر ذاته ينطبق على أولئك الذين قـُبض عليهم أو طـُردوا من البلاد والذين عـُرفوا بأنهم ليسوا "جماعة منفصلة" وليسوا أعضاء فى "طائفة دينية معينة"[٤]· بيد أنه فى الفصل السابق قد أوضحنا كيف أن تشكيلات الكتل

---

٣ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٤ ·

٤ المناضل، العدد ٣، ابريل (نيسان) ١٩٦٦، ص ١٣ · انظر الملحق أ·

الطائفية والإقليمية والعشائرية لعبت دوراً هاماً فى الصراع على السلطة بين المعسكرين الرئيسيين المتعارضين فى الشهور التى سبقت الانقلاب.

ومن الملفت للأنظار أنه فى نهاية المؤتمر القطرى الاستثنائى لم يتم إعادة انتخاب اثنين من أبرز وأهم الضباط الدروز بالتنظيم العسكرى فى القيادة القطرية الجديدة[٥]، وهما حمد عبيد وسليم حاطوم، اللذان كانا من أعضاء القيادة القطرية السورية المؤقتة التى تقلدت زمام الحكم رسمياً فى ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ .

لقد فقد حمد عبيد مركزه البارز فى الحزب (وفى الجيش) نتيجة الموقف الذى اتخذه بعد فترة وجيزة من انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦، وكان عبيد وزيراً للدفاع بوزارة الدكتور يوسف زعين التى استقالت فى ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٥ اثر حل القيادة القطرية السورية، واعتقد أن لديه الحق فى استعادة مركزه السابق بالحكومة كمكافأة لدعمه لجديد ضد الحافظ منذ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٥، عندما عُين لأول مرة وزيراً للدفاع[٦]، إضافة إلى أن الحافظ والقيادة القومية قد تم الإطاحة بهما الآن. ومع افتقاد عبيد لمؤهلات القيادة والإشاعات التى كانت تتردد حول فساد سلوكه، بات واضحاً أن وزارة الدفاع بأهميتها لن تُسند إليه ثانية، وخاصة وأن مساندته لجديد لم تعد ذات أهمية[٧].

لذلك، فإن تعيين حافظ الأسد وزيراً للدفاع فى ٢٣ فبراير (شباط)

---

٥ الحياة، ٢٩ مارس (آذار) ١٩٦٦ .

٦ حمد عبيد فى مقابلة مع ماكنتير،
The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 393-4.

٧ ترددت الشائعات حول نشاطات عبيد الفاسدة حتى قبل تعيينه وزيراً للدفاع. وافتقاده لمؤهلات القيادة اللازمة لمثل هذا المنصب الهام كان أمراً معروفاً داخل سلك الضباط. وقد اشتكى ضباط الوحدات فى قطنا، حيث كان عبيد قائداً للوائين قبل توليه منصب وزير الدفاع، من ضعف شخصيته وعدم قدرته على تزعم رجاله. وقد أدى هذا إلى قيام قادة الوحدات بقطنا على حد تعبيرهم بتسيير أمور وحداتهم العسكرية "بالتسيير الذاتى" (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٧١).

١٩٦٦ (حتى قبل إعلان مجلس الوزراء الجديد) قد قـُوبل بالنقد الشديد والرفض من قـِبل حمد عبيد الذى، بالتالى، تورط فى مشكلات مع النظام الجديد[٨]. وبعد فترة وجيزة من الانقلاب حث أنصار أمين الحافظ حمد عبيد، الذى خاب أمله، على خلق أوضاع فى حلب تساعد على القيام بانقلاب مضاد من جانبهم[٩]. بيد أن خطط الانقلاب المضاد هذه باءت بالفشل وتم القبض على عبيد ومعظم المتورطين فى الانقلاب من قـِبل أنصار النظام الجديد[١٠].

وقد ضعف وضع سليم حاطوم فى الحزب بسبب النقد الشديد للوحشية التى تم بها اتخاذ أمين الحافظ سجينا[١١]. ورغم أن سليم حاطوم كان له "نصيب الأسد" فى تنفيذ انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦، إلا أنه لم يـُكافأ على دوره الفعال والحاسم، بل أيضاً فقد اعتباره فى الحزب. وقد شعر بأنه خـُدع من قـِبل صلاح جديد، الذى أيده فى الانقلاب، كما شعر بأنه ظـُلم لعدم منحه الوظائف العسكرية والسلطة التى اشتهاها. كل هذا جعله على استعداد للتآمر ضد النظام الجديد الذى كان قد سبق وساعده فى الوصول للسلطة. وعلى أمل تحقيق طموحاته أخيراً، بدأ حاطوم فى بناء تنظيم عسكرى خاص به، حيث كانت غالبية الضباط الصغار من جبل الدروز وكانوا فى معظم الحالات أعضاء بطائفة الدروز. وبالإضافة إلى بعض الضباط الدروز البارزين مثل المقدم طلال أبو عسلى، قائد وحدات الجيش السورى على الجبهة مع

٨
Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 393-4;
النهار، ٤ مارس (آذار) ١٩٦٦؛ البعث، ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٦٦.

٩ مقررات المؤتمر القومى التاسع، ص ٦٨.

١٠ التقرير الوثائقى، ص ١٠٤-١٠٨؛ مقررات المؤتمر القومى التاسع، ص ٦٨، ٦٩؛ النهار، ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٦٦، ٤ و ٨ مارس (آذار) ١٩٦٦؛ المحرر، ٢٨ مارس (آذار) ١٩٦٦. خلال المحاكمات الحزبية التى جرت فى أواخر عام ١٩٦٦ اتـُهم حمد عبيد بالثراء غير المشروع وسوء استخدام السلطة. قارن المناضل، ملحق العدد ٥، يونيو (حزيران) ١٩٦٦، ص ٩؛ الحياة، ١ و ٥ مايو (أيار) ١٩٦٦؛ الجريدة، ٤ مايو (أيار) ١٩٦٦. طبقاً للحياة، ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٦٦ عارض حاطوم بشدة مصادرة أملاك حمد عبيد، أحد أعضاء طائفته الدينية.

١١ قارن النهار، ١ مارس (آذار) ١٩٦٦ و١٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦.

اسرائيل وأمين فرع الحزب العسكرى المتطابق، فإن القيادة ضمت بعض الأشخاص من غير الدروز، مثل مصطفى الحاج على، القائد السنى لجهاز المخابرات العسكرية، وهو من حوران، المحافظة السورية الجنوبية المتاخمة لجبل الدروز[١٢].

وفى القطاع المدنى، اتصل حاطوم بأعضاء ما يسمى بجماعة الشوفيين والتى كانت تتشكل أساساً من الدروز. وجماعة الشوفيين هذه (والتى تُعرف أيضاً فى نشرات حزب البعث بالمنشقين) كانت إحدى جماعات حزب البعث السورى تحت قيادة حمود الشوفى (درزى من السويداء) الذى شغل منصب الأمين العام للقيادة القطرية السورية فى الفترة من سيتمبر (أيلول) ١٩٦٣ حتى فبراير (شباط) ١٩٦٤ ولعب فيها دوراً هاماً فى إعادة بناء الجهاز المدنى لحزب البعث فى سوريا. وقد تمتعت جماعة الشوفيين باتجاهات ايديولوجية قوية، وبالذات بالأفكار الماركسية، كما كان لها العديد من الاتباع فى الكثير من فروع الحزب السورية. بيد أن اتباع تلك الجماعة كانوا أكثر عدداً فى فرع الحزب بمنطقة مسقط رأس حاطوم: جبل الدروز. إن موقفهم المتسم بالنقد تجاه معظم قادة اللجنة العسكرية قد أدى إلى تصفية بعض أعضاء جماعة الشوفيين البارزين (بمن فيهم حمود الشوفى) من حزب البعث فى ١٩٦٤ و ١٩٦٥[١٣]. وفى عام ١٩٦٦ كان هناك لا يزال بعض أنصار الجماعة داخل جهاز حزب البعث بالنظام الجديد، حيث قام سليم حاطوم بتمثيلهم لحد ما فى الجيش[١٤]. ويرجع تاريخ علاقة حاطوم بجماعة الشوفيين إلى عام ١٩٦٣ عندما أخذوا يفقدون السلطة داخل الحزب واختاروا

---

١٢ تطلع الرائد حاطوم الذى كان يقود كتيبة المغاوير بالجيش إلى منصب قائد لواء مدرع، مع إعطائه مسئولية إدارة شئون الأمن بالجيش (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٤؛ الثورة، ٢٩ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٧؛ البعث، ٣٠ يناير (كانون الثانى) ١٩٦٧).

١٣ التقرير الوثائقى، ص ٣١-٣٢ .

١٤ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٤؛ التقرير التنظيمى ١٩٦٥، ص ٣٧-٣٩؛ المناضل، رقم ٩، منتصف سبتمبر (أيلول)، ١٩٦٦ .

حاطوم كي يكون قائدهم العسكري[١٥].

وربما يكون انحدار العديد من أبرز أعضاء جماعة الشوفيين من جبل الدروز، شأنهم شأن سليم حاطوم، قد حثهم على التعاون معه، رغم عدم تمسكه بوجهة نظر ايديولوجية محددة وواضحة.

لكن تنظيم حاطوم العسكري وتنظيم القيادة القومية المخلوعة افتقدا القوة القادرة على اسقاط نظام جديد والأسد، ولأسباب تكتيكية بحتة قرر حاطوم وأعضاء المكتب العسكري بقيادة فهد الشاعر التعاون معاً، وظل التنظيمان العسكريان منفصلين عن بعضهما البعض، بينما تعاون قائدتهما معاً إلى حد ما[١٦]. وقد عُقدت عدة اجتماعات بين ممثلي الجماعتين، حيث وضعت خطة بهدف الإطاحة بالنظام القائم[١٧]. ونظراً للعلاقة السابقة بين حاطوم والقيادة القومية التي أطيح بها بمساعدته، فانه بات واضحاً ان كلتا الجماعتين تعاونتا فقط بهدف تخلص الواحدة من الأخرى فيما بعد[١٨].

الاستقطاب الطائفي العلوي - الدرزي وانقلاب سليم حاطوم الفاشل (٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦)

في ١٠ أغسطس (آب) ١٩٦٦، حدث أن اكتشفت القيادة القطرية السورية بطريق الصدفة خطط الانقلاب المُدبر من قبل القيادة القومية المخلوعة

---

١٥ سامي الجندي، البعث، ص ١٤٩ . كما أن حمد عبيد تعاطف لبعض الوقت مع جماعة الشوفيين. (مقابلة مع أمين الحافظ، بغداد، ١٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٣).

١٦ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤ .

١٧ مقررات المؤتمر القومي التاسع، ص ٧٠ . طبقاً للرزاز فانه تم إطلاع حاطوم على تفاصيل الانقلاب الذي خطط له أساساً فهد الشاعر، وذلك قبل أيام من ساعة الصفر. ولم يتم إطلاعه قبل ذلك، حتى لا يتسنى له معرفة وحدات الجيش التي تضم أعضاء من التنظيم العسكري للقيادة القومية. ففي الواقع، أبداً لم يثق قادة المكتب العسكري للقيادة القومية في حاطوم. (مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤).

١٨ قارن المناضل، العدد ٩، منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦، ص ١ .

وسليم حاطوم، وتمكنت تدريجياً خلال بقية الشهر من معرفة أسماء الأشخاص الآخرين المتورطين في الانقلاب المُدبَّر٠

وقد اختار فهد الشاعر يوم ٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ موعداً مناسباً للانقلاب العسكرى، بيد أنه فيما بين ٢٥ أغسطس (آب) و ٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ تكشَّف الجزء الأكبر من التنظيم العسكرى السرى للقيادة القومية المخلوعة، بما في ذلك تشكيل مكتبه العسكرى٠ وحيث أنه تم اعتقال العديد من ضباطه، فقد أصبح غير محتمل قيامه بأى عمل ناجح ضد نظام القيادة القطرية٠ لذلك، فقد لجأ فهد الشاعر للإختباء، بناء على تعليمات الرزاز، وتخلى عن أى خطط أخرى للتعاون مع حاطوم عسكرياً٠ بيد أن حاطوم ذاته استمر في مؤامراته ضد القيادة القطرية، حيث انتهى الأمر بانقلاب فاشل في ٨ سبتمبر (أيلول)[١٩]٠

وفى أوائل سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ شرع كل من سليم حاطوم وطلال ابو عسلى ومصطفى الحاج على في الانتقاد العلنى للاعتقالات التى جرت في أغسطس (آب) للضباط المتورطين في المؤامرة التى تكشَّفت أخيراً، وركزوا في انتقادهم على ما تردد عن عدم وجود ضابط واحد علوى من بين الضباط المعتقلين أو المطلوبين للإعتقال، بل كونهم جميعاً أعضاء من طوائف دينية أخرى٠ وبالنسبة لحاطوم وابو عسلى والحاج على (كما ورد فيما بعد) كانت هذه "مسألة حساسة" يقع عبئها على عاتق قيادة الجيش والحزب[٢٠]٠

وقد استطاع سليم حاطوم استغلال القضية الطائفية بالاشارة إلى حقيقة أنه منذ انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ قد تم تصفية ضباط دروز بارزين من الجيش والحزب، أمثال حمد عبيد، والآن جار اعتقال القادة الدروز أمثال طلال ابو عسلى وفهد الشاعر - الذى يشغل أعلى الرتب بين الضباط الدروز في الجيش السورى - من قِبل قيادة الجيش بتهمة التورط في المؤامرة التى

١٩ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٤ ٠

٢٠ المناضل، العدد ٩، منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ ٠

تكشَّفت أخيراً[٢١].

ولم يكن غريباً أن نسبة كبيرة من الدروز كانوا ضمن الضباط المعتقلين بصدد هذه المؤامرة، حيث كانوا يشكلون العضوية الأساسية لتنظيم حاطوم العسكرى السرى. إضافة إلى ذلك، نجد أن فهد الشاعر، عندما شرع فى بناء التنظيم العسكرى السرى للقيادة القومية المخلوعة، لجأ لطائفته الدينية الدرزية، لما أعطاه هذا الإجراء من مزايا إضافية فى الاحتفاظ بالسرية، فأى شخص يجند أعضاء طائفته الدينية - وخاصة فى مواقف تلعب فيها الشكوك الطائفية والتوترات دوراً هاماً - يقلل من المخاطرة بتسرب خططه لأعضاء الطوائف الأخرى.

إن دواعى السرية والأمن والشكوك فى الضباط العلويين جعلت المكتب العسكرى للقيادة القومية المخلوعة يرفض منذ البداية قبول أعضاء من هذه الطائفة الدينية داخل تنظيمه العسكرى. لذلك، فكان من الطبيعي عدم وجود علويين ضمن المعتقلين بصدد هذه المؤامرة. ولم يكن هذا الأمر معروفاً خارج نطاق المكتب العسكرى المختص وخارج قيادة تنظيم سليم حاطوم العسكرى. فمنذ الصراع على السلطة بين أمين الحافظ وصلاح جديد، تزايدت الشكوك الطائفية تجاه عدد من الضباط العلويين داخل جزء من سلك الضباط السورى. ولم يكن من العسير على حاطوم وأنصاره استغلال وتقوية هذه الشكوك بين أفراد طوائفهم الدينية، التى كان الدروز يشكلون النسبة الكبيرة منهم.

وبهذا خلق حاطوم ومعاونوه المقربون من الدروز الانطباع - الذى كان له تأثير النبوءة المحققة لذاتها لحد ما - بوجود تجمع أو استقطاب طائفى علوى - درزى فى القوات المسلحة السورية. وقد نجح حاطوم بالتعاون مع ابو عسلى، فى كسب تأييد الغالبية العظمى (تكاد تكون من الدروز بالكامل) لفرع الحزب المدنى بجبل الدروز، وكذلك أعضاء التنظيم العسكرى السرى

---

٢١ قارن الدفاع (القدس)، ٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦؛ الحياة، ٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ .

للقيادة القومية المخلوعة، الذين كانوا متمركزين فى جبل الدروز[٢٢].

إن اعتقال الضباط الدروز الذين أيدوا انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ فى البداية واشتركوا فيه، بجانب جهود قيادة الجيش فى تعيين مؤيدى صلاح جديد وحافظ الأسد فى المراكز السياسية والاستراتيجية الهامة داخل وحدات الجيش التى كان يسيطر عليها أعضاء دروز من مجموعة حاطوم، كل ذلك سبب فزعاً كبيراً وقلقاً فى فرع الحزب بجبل الدروز[٢٣]. وبالتالى، قامت قيادتها فى ٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ بتقديم مذكرة خاصة لصلاح جديد وضحت فيها وجهة نظر الغالبية من أعضاء فرع السويداء[٢٤].

وقد أعلن أن هؤلاء الأعضاء ما زالوا يؤيدون تصفية ما يسمى بـ "العناصر اليمينية"[٢٥] من الحزب، ما دامت لا تشمل الضباط (المتورطين) الذين اشتركوا فى انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦، إلى جانب القيادة القطرية[٢٦]. وفيما يتعلق بهؤلاء الضباط، فقد طلب فرع السويداء إعادة جميع

---

٢٢ مقابلة مع منيف الرزاز، عمان، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٤، انظر أيضاً
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 153.

٢٣ قارن المناضل، العدد ٩، منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦؛
La Syrie ou la Révolution dans la Rancoeur (Paris, 1968), p. 240;
الحياة، ٣١ يوليو (تموز) ١٩٦٦.

٢٤ المناضل، العدد ٩، منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦. خلال المحاكمات التى جرت فى دمشق فى أوائل عام ١٩٦٧ للمتورطين فى المؤامرة ضد نظام القيادة القطرية السورية اتهم أعضاء مجموعة حاطوم بإثارة المشاعر الجماعية الطائفية عن عمد. وكانت حجة النائب العام أثناء المحاكمة كالآتى: "عندما كشفت الخطة أخذ المتآمرون يبثون الشائعات المغرضة فى السويداء عن طريق المتآمر عبد الرحيم بطحيش، رئيس فرع المخابرات (المحلى)، مثيرين النعرات الطائفية، مما دعا بعض الحزبيين فى السويداء إلى رفع مذكرة إلى القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى". (البعث، ٢٨ مارس (آذار) ١٩٦٧).

٢٥ تم وصف أنصار القيادة القومية المخلوعة من قبل نظام القيادة القطرية السورية بـ "العناصر اليمينية".

٢٦ يبدو أن قيادة فرع السويداء أشارت بالذات للضباط الدروز المنقولين أو المسرحين من منطقة السويداء.

من نُقلوا لمراكز أقل أهمية في ذاك الوقت، أو الذين اعتُقلوا، إلى مراكزهم السابقة، حتى يتم إثبات تورطهم المزعم بصورة قاطعة فى المؤامرة ضد القيادة القطرية لأعضاء الحزب الأقل رتبة· كما اقتُرح انعقاد مؤتمر قطرى أو اجتماع على مستوى أقل لبحث أزمة الحزب· وفى الختام هدد أعضاء جبل الدروز فى مذكرتهم بتجاهلهم لأية تعليمات أخرى صادرة عن القيادة القطرية وبمقاطعتهم لأية انتخابات مستقبلية للحزب، إذا ما استمرت عملية تصفية الضباط الذين ينحدرون من جبل الدروز والذين شاركوا فى انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ حتى انعقاد الاجتماع المُقترح·

وكرد فعل لهذه المذكرة، قررت القيادة القطرية للحزب إرسال لجنة حزبية عليا للسويداء، تتكون من الرئيس السورى والأمين العام للقيادة القطرية السورية الدكتور نور الدين الاتاسى، والأمين العام المساعد صلاح جديد، وجميل شيا العضو الوحيد الدرزى بالقيادة القطرية· وكان غرض اللجنة هو شرح خلفية "أزمة الحزب" لأعضاء الحزب فى السويداء·

وهنا، اغتنم حاطوم وأنصاره فرصة وصول اللجنة واعتقلوا جديد والاتاسى لاستغلالهم كرهائن أثناء مفاوضاتهم اللاحقة مع سلطات الحزب والجيش، بما فيها حافظ الأسد الذى بقى فى دمشق· وقد تم اعتقال ضباط بارزين آخرين أمثال القائد العلوى للحرس الوطنى النقيب محمد ابراهيم العلى، الذى تم اعتقاله بالسويداء على يد الملازم أول عبد الرحيم بطحيش الدرزى رئيس فرع المخابرات العسكرية المحلى· فقد نصب لهم فخاً عن طريق دعوتهم لوليمة، وفى نفس الوقت نجح أنصار عسكريون آخرون لحاطوم فى مفاجأة لواء السويداء والاستيلاء عليه· ولم يتم اعتقال جميل شيا العضو الدرزى الوحيد فى لجنة القيادة القطرية من قبل أبناء طائفته الدينية· لذلك، فقد تمكن من التوسط بين جديد وحاطوم[٢٧]·

وجدير بالملاحظة أنه فى الأزمات التى تتسم بالطائفية يُفضل اختيار الوسطاء من نفس الطائفة الدينية (وإن أمكن من نفس المنطقة) لإجراء

---

٢٧ المناضل، العدد ٩، منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦؛ البعث، ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٦٧، ١٥ مارس (آذار) ١٩٦٧؛ محمد ابراهيم العلى، حجرية (المرابى "٥")، دمشق، ١٩٩٥، ص ٢٩٢؛ الجريدة، ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦؛ انظر الحياة، ١٥ مارس (آذار) ١٩٦٦ ·

المفاوضات. والسبب هنا واضح، ألا وهو أنه فى مثل هذه الأزمات غالباً ما يكون لدي أفراد الطائفة الدينية الواحدة (والمنطقة) ثقة أكبر فى بعضهم البعض[٢٨].

وأثناء مفاوضاته (الهاتفية) مع وزير الدفاع حافظ الأسد، ورئيس الوزراء يوسف زعين، طالب سليم حاطوم بعدة اشتراطات بينها:

١) عودة أهم مؤيديه إلى مراكزهم العسكرية التى طُردوا أو نُقلوا منها بعد ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ .
٢) اطلاق سراح أتباعه أو زملائه الذين اُعتقلوا مؤخراً فيما يتعلق باكتشاف المؤامرة ضد القيادة القطرية.
٣) إبعاد بعض من أهم وأبرز أنصار صلاح جديد من الجيش.
٤) إعادة قبول ما أسماه حاطوم بـ "اليساريين" (أى جماعة الشوفيين) فى الحزب.
٥) استقالة القيادة القطرية السورية التى اُختيرت فى مارس (آذار) ١٩٦٦، وتعيين قيادة قطرية سورية مؤقتة جديدة تضم خمسة أعضاء على الأقل من جماعة الشوفيين، إلى جانب بعض الأعضاء الحاليين بالقيادة القطرية[٢٩].

ورفضت قيادة الجيش تماماً الرضوخ لأى من هذه المطالب، وعوضاً عن ذلك أرسلت وحدات عسكرية تضم كتيبة الصواريخ للسويداء، مهددة بقصف عاصمة المحافظة[٣٠].

ونتيجة لهذه الإجراءات المضادة الفعالة فشل انقلاب سليم حاطوم فى ٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦، وقرر أخيراً كل من حاطوم وابو عسلى الفرار إلى الأردن، وذلك - كما أعلن ابو عسلى فيما بعد - "لتفادى اشتباك مسلح على مثل

---

٢٨ تجدر الإشارة إلى أنه بعد انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ تم ارسال جميل شيا إلى حلب للتوسط بين النظام الجديد وبين ابن طائفته حمد عبيد المعارض لهذا النظام.

٢٩ المناضل، العدد ٩، منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ .

٣٠ قارن المحرر، ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ .

هذا المدى القريب من الجبهة مع اسرائيل"[٣١].

الدعاية الطائفية ضد العلويين

في ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ عقد حاطوم مؤتمراً صحفياً في عمان وسرد روايته لما حدث في السويداء[٣٢]، وصرح بأن "الوضع في سوريا مهدد بوقوع حرب أهلية نتيجة لتنمية الروح الطائفية والعشائرية التي يحكم من خلالها اللواء صلاح جديد واللواء حافظ الأسد والفئات الموجودة حولهما"[٣٣]، وأضاف حاطوم قائلاً:

ان الروح الطائفية تنتشر بشكل فاضح في سوريا وخاصة في الجيش سواء بتعيين الضباط وحتى المجندين وان الفئة الحاكمة تعمد الى تصفية الضباط والفئات المناهضة لها وتحل مكانهم من اتباعها في مختلف المناصب. فقد بلغت نسبة العلويين في الجيش خمسة مقابل واحد من جميع الطوائف الأخرى[٣٤].

وفي مقابلة مع حاطوم وابو عسلي مع صحيفة النهار بتاريخ ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦، صرح حاطوم بأنهم فروا إلى الأردن من أجل أن يناضلوا بأسلوب آخر أو بطريقة أخرى "لإنقاذ الجيش وإبعاد الروح الطائفية التي سيطرت عليه"[٣٥]، ومضى قائلاً:

---

٣١ طلال ابو عسلي في مقابلة مع محمد حسنين هيكل، الأهرام، ١ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٦.

٣٢ فلسطين (القدس)، ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦؛ الدفاع، ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦.

٣٣ المصدر السابق.

٣٤ المصدر السابق. لم تكن تخفى ملاحظات حاطوم في عمان حول الجو الطائفي داخل القوات المسلحة السورية عن أعضاء حزب البعث بالقيادة القطرية السورية، بل أعيد نشرها في جريدة الحزب الداخلية الشهرية المناضل، العدد ٩، منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦، ص ٥، وإن كان بشكل مخفف للغاية.

٣٥ النهار، ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦.

اذا ما سئل عسكرى سورى عن ضباطه الاحرار سيكون جوابه انهم سرحوا وشردوا ولم يبق سوى الضباط العلويين• ان الضباط العلويين متمسكون بعشيرتهم وليس بعسكريتهم وهمهم حماية صلاح جديد وحافظ اسد• ان الاعتقالات الاخيرة شملت مئات الضباط من جميع الفئات الا العلويين[٣٦]•

اذن، فاتهمات حاطوم الموجهة لحافظ الأسد وصلاح جديد والإيحاء بأن هؤلاء القادة البعثيين العلويين مذنبون، لقيامهم بتطبيق سياسة طائفية فى الجيش واعتقال الضباط غير العلويين فقط، لم يكن لها ما يبررها• فلم يكن بالإمكان إلقاء اللوم مباشرة على جديد والأسد - رغم احتمال كونهما السبب غير المباشر - لعدم قبول العلويين من حيث المبدأ فى التنظيم العسكرى للقيادة القومية المخلوعة•

وأضاف طلال ابو عسلى لملاحظات حاطوم أن وضع الجيش السورى دقيق جداً وخطر،

اذ ان جميع ابناء الوطن هم ضد كل ما هو علوى• وهذا الانقسام قائم فى الجيش لدرجة الاقتتال فى اية لحظة، وان هذا سيكون رداً طبيعياً على التكتل العلوى المنتحل صفة الحزب•

ان التسلط العلوى شمل كل المستويات لدرجة انك ترى الامرأة العلوية تتصرف وكأنها هى السلطة• وفى كل المنازل التى يسكنها العلويون يرى جيرانهم بوضوح تسلطهم باسم السلطة وباسم الحزب وكل علوى من كبير او صغير يعرف ماذا سيحدث من تطورات ومن تنقلات ومن اعتقالات قبل ان يعرف بعض كبار المسؤولين[٣٧]•

واخيراً روى ابو عسلى انه "عندما تم اعتقال الضباط فى الجبهة" (الذين كانوا متورطين فى المؤامرة ضد القيادة القطرية)

كانت النساء العلويات يزغردن ويهللن على مسامع نساء الضباط المعتقلين وهذه صورة بسيطة عن الجو فى البلد[٣٨]•

---

٣٦ المصدر السابق•

٣٧ المصدر السابق•

٣٨ المصدر السابق•

وبعد مضى اسبوعين اصدر سليم حاطوم تصريحاً بتاريخ ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦، شمل -وفقا لما ذكرته جريدة الحياة - اتهاما بأن المجموعة الحاكمة فى دمشق

عقدت العزم على تنفيذ خطة طائفية بغية اقامة نظام انتهازى يحمل شعار "دولة علوية ذات رسالة خالدة"، يلمع فيها العميد صلاح جديد ونور الانوار ابراهيم ماخوس[٣٩].

ومن الواضح ان شعار "دولة علوية ذات رسالة خالدة" تلاعب بألفاظ الشعار البعثى "أمة عربية ذات رسالة خالدة"، أما نور الأنوار والعميد فهما مصطلحان ومرتبتان دينيتان علويتان.

وبمثل هذه التصريحات حاول حاطوم وأتباعه زيادة التوتر الطائفى بين المواطنين السوريين وبين صفوف الجيش السورى، جاعلين حافظ الأسد وصلاح جديد والقادة العلويين الآخرين موضع اشتباه فى نظر غير العلويين، بهدف تقويض مراكز سلطتهم[٤٠].

---

٣٩ الحياة ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ . كان ابراهيم ماخوس (علوى) فى ذلك الحين وزير الخارجية.

٤٠ تشابه تلميحات حاطوم الى حد كبير الاتهامات والتلميحات الواردة فى التصريح (الكاذب) الذى اذيع فى سوريا فى أوائل عام ١٩٦٩ من قبل معارضى نظام البعث الذين كانوا فى السلطة آنذاك. ففى هذا التصريح يدعو شيخ علوى بارز (عبد الرحمن الخيِّر) العلويين السوريين لمقاومة ما يسمى بسوء استخدام صلاح جديد للديانة العلوية من أجل أغراض سياسية بحتة، كما اتهم هذا التصريح جديد بسعيه وراء إقامة دولة علوية. وقد نُشر هذا التصريح فى باديء الأمر بجريدة الحياة اللبنانية المحافظة المعارضة للبعث فى ١٩ مايو (أيار) ١٩٦٩، ثم اعيد طبعه فى كتاب رئيس الوزراء الاردنى الأسبق سعد جمعه بعنوان مجتمع الكراهية (بيروت، ١٩٧١)، ص ٦٢-٧٥ . قارن فؤاد الأطرش: الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص ٣٤٤-٣٥١ . وقد يكون هذا التصريح قد تم توزيعه بمعرفة معارضى نظام البعث السورى بدوافع مشابهة لتلك الخاصة بحاطوم: إثارة القلاقل والتوتر الطائفى. للإطلاع على مزيد من الإتهامات الدعائية ضد جديد ورغبته فى إقامة دولة علوية فى سوريا انظر: الحوادث، ١٦ أغسطس (آب) ١٩٦٨؛ وسامى الجندى، كِسرة خُبز (بيروت، ١٩٦٩)، ص ١٨-٧ وانظر أيضاً الفصل الثانى، حاشية ٥٨، والفصل الخامس.

التصفيات اللاحقة لانقلاب حاطوم الفاشل

لقد تم اجراء تصفيات واسعة النطاق فى الجيش السورى وحزب البعث اثر انقلاب سليم حاطوم الفاشل. وشملت التصفيات العديد من الضباط الدروز، وهذا امر طبيعي نظراً لأن حاطوم وابو عسلى كانا قد اعتمدا بصورة رئيسية على تأييد الدروز[٤١]. وغالباً ما كان يتم تسليم زمام القيادة بالوحدات العسكرية التى تم تصفيتها الى ضباط علويين[٤٢].

وقد تركت المؤامرة الفاشلة بصماتها على مسار الأحداث السياسية فى سوريا حتى عام ١٩٦٧ الذى شهد المزيد من حملة التصفيات وظل فرع الحزب بجبل الدروز مشلول الحركة والنشاط لأكثر من ستة أشهر بعد فشل حاطوم[٤٣].

إن العملية الفاشلة وما تلاها من تصفيات واعتقالات قد أثارت الطائفة الدرزية السورية، حتى أن القائد المخضرم سلطان الأطرش، قائد الثورة السورية ضد الفرنسيين عام ١٩٢٥ - والذى كان لا يزال يحظى باحترام كبير ارسل برقية مفتوحة لرئيس الأركان السورى فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٦ نصها كالآتى:

> اولادنا فى السجون مضربون نحملكم مسؤولية النتائج. لقد اعتاد الجبل وما يزال ان يقوم بالثورات لطرد الخائن والمستعمر ولكن شهامته تأبى عليه أن يثور ضد

---

٤١ من أجل أسماء الضباط الذين تم تصفيتهم انظر: المناضل، العدد ١١، منتصف ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٦؛
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 157;
قارن الحياة، ١١ و ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦؛ النهار، ١٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦؛ الصفاء، ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ .

٤٢ قارن الحياة، ٧ و ٢٣ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٦؛ النهار، ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦

٤٣ نشرة المكتب التنظيمى للقيادة القطرية السورية لحزب البعث، ٦ مارس (آذار) ١٩٦٧.
قارن الحياة، ٥ مارس (آذار) ١٩٦٧؛ الصفاء، ٢٥ فبراير (شباط) ١٩٦٧ .

أخيه ويغدر ببنى قومه· هذا الرادع الوحيد نقتصر مبدئيا على المفاوضات[٤٤]·

وقد كان من الصعب على حكام دمشق (ومعظمهم علويون) تهدئة الطائفة الدرزية بعد تزعزع ثقتها فى السلطات المركزية بدرجة كبيرة[٤٥]·

وفى مارس (آذار) ١٩٦٧ قـُدم العديد من الأشخاص المتورطين فى المؤامرة الفاشلة -وأكثرهم بصورة غيابية - الى محاكمة عسكرية خاصة شـُكلت فى دمشق· وكانت أهم تهمتين وجهتا للمتهمين: ١) الاشتراك فى مؤامرة للإطاحة بنظام الحكم، ٢) التحريض على حرب أهلية وانقسام طائفى[٤٦]·

وطالب النائب العام أن يصدر ضد خمسة من الضباط وجميعهم من الدروز حكم الإعدام[٤٧]·

---

٤٤ النهار، ٣١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٦ ·

٤٥ قارن الجريدة، ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦؛ انظر أيضاً الحياة، ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٦، حيث يـُزعم أن انقلاب حاطوم الفاشل كان له أثر سلبى على العلاقات بين سكان منطقة حوران والسلطات فى دمشق· قارن فؤاد الأطرش: الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، ص ٣٢٢ ·

٤٦ البعث، ١٤ و ٢٨ مارس (آذار) ١٩٦٧ ·

٤٧ الضباط الدروز الذين تم المطالبة بإعدامهم: فهد الشاعر وسليم حاطوم وطلال ابو عسلى وعبد الرحيم بطحيش وفواز ابو الفضل· قارن الحياة، ٢/ ابريل (نيسان) ١٩٧٦·
عندما اندلعت حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ عاد سليم حاطوم لسوريا، حيث اعتقلته السلطات واتهمته بالتآمر مع الدوائر الإمبريالية الأنجلو أمريكية والألمانية الغربية للإطاحة بالنظام السورى ضمن "مخطط إمبريالى شامل"· وتم محاكمة حاطوم عسكريا وصدر ضده حكم بالإعدام ونـُفذ فى ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ · (البعث، ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧؛ إذاعة دمشق، ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٧؛ قارن
Daniel Dishon (ed.), Middle East Record 1967 (Jerusalem, 1971), p. 496.
انظر أيضاً سامى الجندى، البعث، ص ١٥٦)· وفى ١٩٦٨ تم محاكمة الضباط والمدنيين فى دمشق المتهمين بالاشتراك فى انقلاب حاطوم الفاشل فى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٦ وما يسمى بمحاولته الثانية للإطاحة بالنظام السورى خلال حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ · (البعث، ٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨؛
Dishon (ed.), Middle East Record 1968 (Jerusalem, 1973), pp. 735, 736).

ومن العواقب الهامة للمؤامرة الفاشلة - فضلاً عن تصفية أو تحييد جماعات الضباط السنيين الهامة بعد انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ - تصفية أبرز جماعات الضباط الدروز والجماعات التى بقيت لم يعد لها القدرة على تكوين كتل قوية منفصلة يمكنها أن تهدد النظام بصورة خطيرة.

تصفية الجماعات الحورانية البارزة

قوى مركز بعض الضباط العلويين من جراء حملة التصفية للعديد من الضباط الدروز البارزين وأعداد قليلة من ضباط محافظة حوران على سبيل المثال. فقد اقلقت مشاعر التوتر والشكوك الطائفية والإقليمية الجماعية المتداخلة والتى اندلعت خلال الصراع على السلطة بين النخبة السياسية البعثية عدداً من أعضاء الحزب حول مدى سيطرة العلويين داخل الحزب والقوات المسلحة[٤٨]. وخلال الشهور الأولى من عام ١٩٦٧ قدم قادة بعض الفروع والشعب والفرق استقالتهم من مهام وظائفهم الحزبية، رافضين الاشتراك فى أية اجتماعات أو نشاطات حزبية أخرى، تعبيراً عن قلقهم تجاه التوترات الطائفية والاقليمية الجماعية المتداخلة فى جهاز الحزب والقوات المسلحة وأيضاً إظهاراً لقلقهم تجاه سيطرة جماعات معينة -خاصة العلويين - سواء كانت طائفية أو اقليمية أو عشائرية[٤٩].

وقد تم التعبير ظاهرياً عن هذه التوترات عندما هدد ثلاثة وزراء من

---

٤٨ طبقاً للصفاء، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٦، فإن رئيس الأركان أحمد سويدانى ومحمد الزعبى (سنيان من حوران) كانا ضمن القلقين من سيطرة العلويين.

٤٩ نشرة المكتب التنظيمى للقيادة القطرية السورية لحزب البعث، ١٩ مارس (آذار) ١٩٦٧ للنص انظر
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 171.

محافظة حوران بتقديم استقالتهم من الحكومة السورية[٥٠]. وفى أعقاب الحرب العربية الاسرائيلية فى يونيو (حزيران) ١٩٦٧ فقد بعض البعثيين المدنيين البارزين من حوران مراكزهم فى قيادة الحزب والحكومة[٥١]. وفى ١٤ فبراير (شباط) ١٩٦٨ تم إعفاء أحمد سويداني رئيس أركان الجيش السورى - وهو من حوران وكان فيما سبق من أبرز أنصار صلاح جديد - من مهام منصبه فى الجيش[٥٢]. وكان هذا يعنى خلع الشخصية العسكرية الرئيسية المتبقية من حوران[٥٣]. وفى الواقع كان يعنى هذا الاجراء تصفية أو تحييد البعثيين العسكريين والمدنيين الحورانيين من جهاز الحزب والجيش بوصفهم كتل قوى منفصلة. وهذا لم يكن يعنى عدم وجود أى ضباط حورانيين بالجيش أو أن البعثيين الحورانيين قد حُرموا من شغل مناصب عليا فى جهاز الحزب، بل كان يعنى نهاية دورهم كمجموعة قوة لها وزنها، ولم يُمنحوا فيما بعد فرصة إعادة تجميع أنفسهم كجماعات ذات قوة فى القوات المسلحة، بحيث يشكلون تهديداً خطيراً للفصائل الأخرى (كالعلويين) داخل القوات المسلحة أو داخل الحزب. وكانت الفصائل الحورانية فيما مضى تستمد تأثيرها وقوتها من التحالفات القائمة مع المجموعات الأخرى كتلك التابعة لصلاح جديد أو سليم حاطوم[٥٤].

٥٠ الوزراء الحورانيون الذين هددوا بتقديم استقالتهم هم محمد الزعبى (سنى) وصالح محاميد (سنى) ومشهور زيتون (مسيحى). (الحياة، ١٢ مارس (آذار) ١٩٦٧، ٦ و ٧ ابريل (نيسان) ١٩٦٧؛ الأحرار، ١٤ فبراير (شباط) ١٩٦٧؛ الجديد، ١٧ مارس (آذار) ١٩٦٧).

٥١ المحرر، ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧؛ العالم العربى، ١١ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧؛ الحياة، ١٢ و ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧ . انظر أيضاً
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 170-2.

٥٢ البعث، ١٦ فبراير (شباط) ١٩٦٨؛ الثورة، ١٧ فبراير (شباط) ١٩٦٨ . قارن البعث، ٢١ يوليو (تموز) ١٩٦٨؛ الراية، ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧١؛ تم استبدال سويدانى بمصطفى طلاس رئيساً للأركان. انظر مصطفى طلاس، مرآة حياتي، ص ٤٥٠ .

٥٣ تم تسريح موسى الزعبى ومصطفى الحاج على من الجيش فى ١٩٦٦ وهما العضوان السنيان الحورانيان الآخران باللجنة العسكرية البعثية السابقة.

٥٤ قارن الحياة، ١٦ فبراير (شباط) ١٩٦٨؛ الصفاء، ٦ فبراير (شباط) ١٩٦٨؛ الجريدة، ٢ مارس (آذار) ١٩٦٨؛ قارن الأنوار، ١٥ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠ . فى أغسطس (آب) ١٩٦٨ تم التبليغ عن تورط أحمد سويدانى فى انقلاب فاشل. فى يوليو (تموز) ١٩٦٩ القت

السلطات السورية القبض عليه عندما توقفت طائرته فى مطار دمشق فى طريقها من بغداد للقاهرة، حيث كان يتمتع باللجوء السياسى هناك منذ ١٩٦٨ · (قارن عبد الكريم الجندى فى مقابلة مع أخبار اليوم، ٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٦٨؛ النهار، ٢٠ أغسطس (آب) ١٩٦٨؛ الحياة، ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٨ و ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٦٩؛ الأنوار ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٨؛ الصياد، ٢٤ يوليو (تموز) ١٩٦٩)· وبعد اعتقال سويدانى تم اعتقال العديد من مؤيديه العسكريين الحورانيين الذين كانوا لا يزالوا بالجيش· (قارن الحياة، ٩ أغسطس (آب) ١٩٦٩)· وتمت اعتقالات جديدة فى مايو (آيار) ١٩٧٠ بين المدنيين والعسكريين المتهمين بالتخطيط للإطاحة بالنظام السورى لصالح نظام البعث العراقى المعارض، ضمت ضباطاً من حوران وحلب وادلب ومعظمهم سنيون· وكان معظم الضباط المعتقلين من حلب وأدلب من مؤيدى الفريق أمين الحافظ، وهو حلبى وقد عاش بالمنفى فى بغداد منذ عام ١٩٦٨ · (قارن الأحرار، ٦ يونيو (حزيران) ١٩٧٠؛ الراية، ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧١)· تم الإفراج عن اللواء أحمد سويدانى من سجن المزة فى فبراير (شباط) ١٩٩٤ بعد أن قضى به حوالى ٢٥ عاماً · الحياة، ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٩٤ ·

الفصل الخامس

الصراع على السلطة داخل الطائفة العلوية

التنافس بين الاسد وجديد

بعد سقوط القيادة القومية فى فبراير (شباط) ١٩٦٦، وخاصة بعد انقلاب حاطوم الفاشل، تجمع معظم الضباط البعثيين وأعضاء الحزب المدنيون، إما حول صلاح جديد أو حافظ الاسد اللذين كانا أبرز السياسيين فى سوريا حينذاك٠

وبالرغم من أن جديد لم يعد له منصب رسمى فى الجيش السورى منذ اغسطس (آب) ١٩٦٥ - عندما استبدل منصبه كرئيس للأركان بمنصب مدنى قيادى كأمين عام مساعد بالقيادة القطرية السورية - إلا أنه نجح لفترةٍ من الزمن فى إحكام قبضته على جزء كبير من سلك الضباط، وذلك جزئياً من خلال مؤيديه فى المكتب العسكرى الذى كان يتولى الإشراف على تنظيم الحزب العسكرى٠ ومنذ ابريل (نيسان) ١٩٦٦ شمل هذا المكتب أعضاء مدنيين٠ وقد تمكن جديد من السيطرة على جزء من القوات المسلحة عن طريق اتصالات جانبية شخصية مباشرة - رغم حظرها تنظيمياً - بعدد من الضباط العسكريين[١]٠ أما الاسد، وبكونه وزيراً للدفاع ومنافساً لجديد، كان فى وضع أفضل من حيث التأثير على سلك الضباط الذى كان يرتبط بجزء منه بصفة شخصية٠ وقد شغل الاسد منصب قائد القوات الجوية منذ عام ١٩٦٤، وكان مسئولاً عن تعزيزها٠ لذلك، استطاع أن يعين الكثير من مؤيديه العسكريين فى مراكز استراتيجية هامة٠ علاوة على ذلك، كان الاسد قائداً كبيراً باللجنة العسكرية البعثية التى كانت مسئولة لعدة سنوات عن نشاطات التنظيم العسكرى للحزب٠

وبعد انقلاب ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ تكرر ظهور التوتر بين جديد

---

١ قارن الأنوار، ١٥ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠ ٠

والاسد، بيد أن المواجهة العلنية لم تحدث· فقد ازداد وضع النزاع بعد الهزيمة العسكرية العربية في يونيو (حزيران) ١٩٦٧، ويرجع ذلك جزئيا للاختلافات في الرأى حول السياسات العسكرية والخارجية والإقتصادية الإجتماعية التى كان لا بد من اتباعها حينذاك[٢]·

وقد كان الجدل الايديولوجي بين أهم الكتل والجماعات البعثية عادة ما يتركز حول مسألة اعطاء الأولوية إما للسياسة الاشتراكية الموجهة داخليا أو لسياسة عربية قومية موجهة خارجيا بصورة أكبر بهدف التعاون بين العرب والوحدة بينهم في صالح المواجهة مع اسرائيل· وكانت المشكلة الرئيسية هى العثور على أنسب الطرق للربط بين هذه السياسات الاشتراكية و القومية العربية، بغية استخلاص النتائج التى يمكن أن تعتبر على المدى الطويل الأمثل من وجهة النظر البعثية·

وقد باتت الخلافات في الرأى بين جديد والاسد واضحة جلية فى المؤتمرات القطرية والقومية لحزب البعث التى عقدت بدمشق فى سبتمبر (أيلول) واكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨، حيث ظهر اتجاهان واضحان، أيد أحدهما إعطاء الأولوية القصوى لما سمى بالتحويل الاشتراكى للمجتمع السورى، وكان يسوده المدنيون كأعضاء بارزين، بمن فيهم صلاح جديد وعبد الكريم الجندى وابراهيم ماخوس وزير الخارجية (العلوى) ويوسف زعين رئيس الوزراء· وهذه الجماعة ذات الميول الاشتراكية رفضت علانية فكرة التعاون السياسي أو العسكرى مع الأنظمة التي وسمتها بالرجعية أو اليمينية أو بكونها موالية للغرب كالأردن أو لبنان أو العراق، حتى وإن كان ذلك على حساب الكفاح ضد اسرائيل· ولم يكن لدى هذه الجماعة اعتراض على زيادة الاعتماد على الاتحاد السوفييتي والدول الشيوعية الأخرى من الكتلة الشرقية، ما دام هذا لصالح التحويل الاشتراكى[٣]·

---

٢ الراية، ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧١، ص ١٧ · قارن النهار، ١٤ فبراير (شباط) ١٩٦٧؛ الأنوار، ١ و ٩ فبراير (شباط) ١٩٦٧؛ البعث، ١٢ فبراير (شباط) ١٩٦٧؛ اذاعة دمشق، ١٣ فبراير (شباط) ١٩٦٧ ·

٣ انظر
Dishon (ed.), Middle East Record 1968, pp. 711-13.

أما الاتجاه الثانى فقد ابدى ميلاً قومياً عربياً قوياً وطالب بإعطاء الأولوية القصوى للكفاح المسلح ضد اسرائيل، أى تقوية الامكانيات العسكرية العربية حتى ولو أحدث ذلك تأثيرات سلبية مؤقتة على التحويل الاشتراكى لسوريا· وقد تم تأييد سياسة التعاون والتنسيق العسكرى والسياسى مع الدول العربية مثل الأردن والعراق ومصر والسعودية، دون الاهتمام بألوانها السياسية، ما دام ذلك فى صالح الكفاح العربى ضد اسرائيل· وقد عبر معظم المندوبين العسكريين عن هذا الاتجاه القومى فى المؤتمرات، ومن أبرزهم وزير الدفاع حافظ الاسد ورئيس أركان الجيش السورى مصطفى طلاس·

لكن اقتراحات الاسد ببدء المفاوضات مع نظام البعث المنافس فى العراق - الذى تقلد زمام السلطة فى يوليو (تموز) ١٩٦٨ وكان يسوده البعثيون المرتبطون بالقيادة القومية التى اطيح بها فى سوريا فى فبراير (شباط) ١٩٦٦ - لصالح التعاون العسكرى ضد اسرائيل وبقصد التقليل من عزلة سوريا السياسية فى العالم العربى، قد رفضت بشدة من قبل غالبية أعضاء المؤتمر المدنيين ذوى الميول الاشتراكية، الذين رفضوا بشدة أى نوع من التقارب مع البعثيين الذين كانوا يحكمون العراق، مؤكدين أن هؤلاء هم المنشقون "اليمينيون" الذين طُردوا من الحزب نتيجة حركة ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ .[٤]

وقد فاز جديد وأنصاره بأغلبية ساحقة خلال المؤتمر وتمكنوا من جعل أفكارهم السياسية مقبولة ومعتمدة كمقررات رسمية لسياسة الحزب·

ولم يقبل الاسد نتائج مؤتمرات الحزب ورفض حضور اجتماعات أخرى للقيادة القطرية أو الاجتماعات المشتركة للقيادة القطرية السورية والقيادة القومية· وبالرغم من انتخابه فى القيادة القطرية، إلا أنه فى الواقع استقال

---

٤ المصدر السابق، ص ٧١١-٧١٢ · وحول التنافس بين نظامي البعث والعديد من محاولات المصالحة الفاشلة انظر
Eberhard Kienle, Ba'th v Ba'th: The Conflict between Syria and Iraq 1968-1989, (London 1990); and Nikolaos van Dam, "Union in the Fertile Crescent", Middle East International, 20 July 1979.

من تلك المؤسسة[٥]. وقد قرر إحكام سيطرته على القوات المسلحة عن طريق فصل الجهاز العسكرى للحزب عن قيادة الحزب المدنية، كما اصدر أوامر بمنع أعضاء القيادة القطرية أو مسئولى الحزب المدنيين الآخرين من زيارة أقسام تنظيم الحزب العسكرى أو القيام باتصالات مباشرة مع قطاع الحزب العسكرى[٦]. وقد تم منع ضباط الجيش بدورهم من اجراء أية اتصالات مباشرة مع سياسيى الحزب المدنيين، إلا عن طريق القنوات الرسمية لقيادة تنظيم الحزب العسكرى[٧]. واضافة إلى ذلك، قامت المخابرات العسكرية بحظر العلاقات العادية بين اقسام الحزب المدنية والعسكرية عن طريق فتح مراسلات الحزب واعاقة التوزيع العادى لنشراته الصادرة عن القيادة القطرية السورية والموجّهة لجهاز الحزب[٨].

وعقب مؤتمرات الحزب المنعقدة فى سبتمبر (أيلول) واكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨ تم نقل بعض أنصار جديد العسكريين (ومعظمهم علويون) إلى مناصب أقل حساسية فى القوات المسلحة، دون سابق تشاور مع المكتب العسكرى الذى يسيطر عليه أنصار جديد والذى كان فى الظروف المعتادة هو صاحب اتخاذ القرارات بشأن التنقلات العسكرية[٩].

ان الامتياز الممنوح لقيادة الجيش لاجراء تنقلات بين مسئولى الجيش الذين هم فوق رتبة معينة قد جرى وضعه رسمياً أثناء الاجتماعات المشتركة

---

٥ محاضر جلسات المؤتمر القومي الاستثنائى العاشر لحزب البعث، الراية، ٥ يوليو (تموز) ١٩٧١؛ الجريدة، ١٨ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨؛ الأنوار، ٢٩ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨.

٦ محاضر جلسات المؤتمر القومى الاستثنائى العاشر لحزب البعث، الراية، ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧١ .

٧ الجريدة، ٨ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٨ .

٨ محاضر جلسات المؤتمر القومى الاستثنائى العاشر لحزب البعث، الراية، ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧١ .

٩ قارن الحوادث، ١ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٨؛ الأنوار، ٢٦ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨؛ الحياة، ٢٩ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨؛
Dishon (ed.), Middle East Record 1969-1970 (Jerusalem, 1977), pp. 1129-30.

للقيادتين : القطرية السورية والقومية. فعلى سبيل المثال، تقرر أن يكون نقل قادة الوية الجيش ضمن اختصاص الاجتماع المشترك[١٠]. ورغم ذلك، استمر الاسد فى خططه وأعفى كما ذكر المقدم عزت جديد العلوى - أحد أبرز أنصار صلاح جديد العسكريين - من قيادة اللواء السبعين، الذى كان له أهميته السياسية والاستراتيجية[١١].

وبينما نجح الاسد فى فرض سيطرته على معظم القوات المسلحة السورية، فقد أحكم جديد قبضته على جهاز الحزب المدنى بشغل أهم مراكز الحزب المدنية بمؤيديه. وهكذا تم خلق ما يسمى بـ "ازدواجية السلطة": مؤسستا السلطة السورية الرئيسيتان - وهما القوات المسلحة وجهاز حزب البعث المدنى - قد تم السيطرة عليهما من قبل جماعات مختلفة من الحزب أو الجيش يتعارض كل منهما بشدة مع الآخر ويتبع كل منهما سياسات مختلفة.

الصراع على السلطة داخل الطائفة العلوية

تم التوضيح فى الفصول السابقة أنه منذ الانفصال عن الجمهورية العربية المتحدة فى ١٩٦١ لعبت الولاءات الطائفية والاقليمية والعشائرية دوراً هاماً فى الصراع على السلطة فى سوريا. وبالتالى، يمكن استنتاج ان قوة الضباط العسكريين والسياسيين المدنيين على المستوى الوطنى قد اعتمدت بشكل كبير على النفوذ الذى استطاعوا فرضه على المستويات الاقليمية والطائفية و/أو العشائرية : ليتسنى إحراز النجاح فى السياسات الوطنية لا بد للشخص أولاً أن يكون ناجحاً سياسياً بين أفراد منطقته أو طائفته الدينية أو عشيرته. وكثيراً ما تم التعبير عن الصراع على السلطة بين أشخاص من مناطق مختلفة و/أو طوائف دينية على شكل نزاع بين مناطق و/أو صراع بين

١٠ محاضر جلسات المؤتمر القومى الاستثنائى العاشر لحزب البعث؛ الراية، ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧١.

١١ المصدر السابق؛ الأنوار، ٢٦ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨؛ الحوادث، ١ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٦٨.

طوائف، كما تم التعبير عن الصراع على السلطة بين الأشخاص من نفس المنطقة و/أو الطائفة الدينية على شكل نزاع اقليمي داخلي و/أو نزاع طائفي داخلي[١٢].

لذلك، فان الصراع على السلطة الذي اندلع في ١٩٦٤ بين أبرز الضباط العلويين باللجنة العسكرية البعثية، أي محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الاسد، قد انعكس بوضوح في الشقاق الداخلي في فرع الحزب بمحافظة اللاذقية (ذي الأغلبية العلوية)[١٣].

وقد ظهر شقاق مماثل في نفس الفرع في ١٩٦٩ و ١٩٧٠ عندما بلغ الصراع على السلطة ذروته بين الاسد وجديد - وكلاهما من اللاذقية - وذلك حين سعى كل منهما إلى بسط سلطته داخل حزب البعث على المستوى الوطني وتقوية قبضته على فرع الحزب ومؤسساته الأخرى بمسقط رأسه.

وفي فبراير (شباط) ١٩٦٩ عندما حاول أنصار جديد المسيطرون على فرع الحزب باللاذقية التخلص من تأثير الاسد عن طريق تصفية أبرز أنصاره، فقد تلى ذلك اجراءات مضادة عنيفة، حيث أصدر حافظ الاسد أوامره باعتقال قيادة فرع الحزب باللاذقية واستبدال أعضائها بأنصاره الذين تم فصلهم من

---

١٢ قارن
Van Dusen, 'Political Integration and Regionalism in Syria', p. 136.

١٣ انظر الفصل الثاني. طبقاً لما ذكره
Hurewitz, Middle East Politics : The Military Dimension, p. 154,
انقسم الضباط العلويون لمجموعتين: "احداهما مكونة من سوريين بالمولد والأخرى من مهاجرين من منطقة الاسكندرون التي سُميت بولاية هاتاي بعد ضمها لتركيا في ١٩٣٩. ومن كلتا المجموعتين فان الضباط المهاجرين المنتمين للعائلات الأكثر تحضراً والأقل فقراً هم الذين شغلوا المناصب العليا. ولم تثبت هذه الدراسة وجود مثل هذه الجماعة من الضباط العلويين البارزين من الاسكندرون، بل اظهرت ان ضباطاً علويين من اللاذقية هم الذين شغلوا أساساً المراكز الهامة بمؤسسات السلطة السورية. وأحد أبرز الضباط العلويين من الاسكندرون هو عثمان كنعان عضو اللجنة العسكرية البعثية التي حلت في اغسطس (آب) ١٩٦٥.

قبل[١٤]، كما فُرضت الإقامة الجبرية على محافظ اللاذقية - وهو أيضاً فى قيادة فرع الحزب المحلى - فى ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٦٩ ومُنع من دخول مكتبه أو المقر الرئيسى المحلى للحزب. وتم أيضاً الإغارة على مكاتب الحزب بطرطوس (ومعظم أعضاء الفرع هناك علويون) والشُعب المحلية من قِبل كتيبة المغاوير التى كانت مُكلفة بحراسة المنشئات الحيوية فى المحافظة، وذلك بقصد اعتقال أعضاء فرع قيادة الحزب. وفى طرطوس تم اعتقال عادل ناعيسة أمين عام فرع اللاذقية وأحد أنصار جديد وهو العضو العلوى الوحيد بالقيادة القطرية السورية بجانب الاسد وجديد، وقد اجبر على مغادرة المحافظة فوراً تحت حراسة عسكرية.

وقد أصدر الاسد تعليماته للمخابرات العسكرية بمختلف المحافظات بمنع أعضاء قيادة الحزب من الاتصال بالجهاز المدنى لفروع الحزب، وذلك عن طريق تحذيرهم وتهديدهم بالاعتقال. وقد اتُخذت أعنف الإجراءات فى محافظتى اللاذقية وطرطوس. وفى الواقع، كانت هذه الاجراءات التى اتخذها الاسد فى أواخر فبراير (شباط) ١٩٦٩ أشبه ما تكون بانقلاب عسكرى. ونتيجة لذلك، فقدت القيادة القطرية السورية معظم قوتها، بغض النظر عن استمرارها رسمياً وتواجدها بمنصبها. وقد احتلت قوات الاسد مبنى اذاعة دمشق ومبنى اذاعة حلب، بالاضافة الى مكاتب أكبر جريدتين سوريتين (تحت سيطرة البعث) وهما البعث والثورة، وتم فرض الرقابة العسكرية على نشرات الأخبار والتعليقات السياسية وجميع البرامج السياسية والثقافية والإعلامية[١٥].

---

١٤ من بين الأعضاء الجدد المعينين بقيادة فرع اللاذقية أنصار حافظ الاسد الذين سبق فصلهم من الحزب لوقوفهم كمرشحين منافسين لانتخابات نقابة العمال ضد القائمة الانتخابية التى قدمتها قيادة الفرع. وعندما جرى فصلهم كإجراء انتقامى، كان رد فعل الاسد هو إغلاق نقابة العمال المحلية تماماً (الراية، ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧١).

١٥ تعميم الأمين العام للقيادة القطرية السورية لحزب البعث الى جهاز حزب البعث السورى، ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٦٩؛ النهار، ٥ مارس (آذار) ١٩٦٩؛ الراية، ٥ يوليو (تموز) ١٩٧١؛ قارن البعث، ٢٥ مايو (أيار) ١٩٦٩ . وفى ٢٠ مارس (آذار) ١٩٦٩ بدأت جماعة صلاح جديد البعثية فى إصدار جريدة بديلة فى بيروت باسم "الراية"، حيث كانت قد فقدت تماماً حرية التعبير فى جريدتى البعث والثورة اليوميتين فى سوريا.

وبناء على طلب القيادة القطرية السورية تم انعقاد مؤتمر قطرى استثنائي في مارس (آذار) ١٩٦٩ بدمشق، حيث بُذلت الجهود للتوصل الى حل وسط بين الكتل التى تجمعت حول الاسد وتلك التى تجمعت حول جديد، بيد أنه لم يتم التوصل الى مصالحة فعلية. ولتقوية مركزه خلال المؤتمر قامت قوات الاسد باحتلال مراكز استراتيجية هامة فى دمشق وضواحيها. وانتهى المؤتمر بمأزق واستمرت ازدواجية السلطة المذكورة آنفاً : احتفظ الاسد بسيطرته على القوات المسلحة السورية، بينما نجح جديد الى حد كبير فى إحكام قبضته على جهاز الحزب المدنى السورى.

وقبيل انعقاد المؤتمر القطرى الاستثنائي بوقت قصير قام أنصار الاسد العسكريون بمحاصرة مقر قيادة العقيد عبد الكريم الجندى (مؤيد اسماعيلى مخلص لجديد) الذى كان يشغل حينذاك منصب رئيس الأمن الوطنى ورئيس إدارة المخابرات العامة، وقاموا باختطاف عدد من مساعديه وأنصاره ومصادرة السيارات الخاصة بمكتبه. أما بالنسبة لعبد الكريم الجندى فقد انتحر[١٦].

وبموت الجندى انتهت الفترة التى تم فيها إما تحييد أو تصفية أبرز أنصار جديد العسكريين غير العلويين، بمن فيهم أحمد سويدانى وأحمد المير[١٧]. وكنتيجة غير مباشرة لذلك، نجد ان الصراع على السلطة الذى تلا ذلك والقائم بين جديد وأنصار الاسد قد اقتصر الى حد ما على أعضاء الطائفة العلوية[١٨].

---

١٦ الراية، ١٩ يوليو (تموز) ١٩٧١، ص ٦ . قارن اذاعة دمشق، ٢ مارس (آذار) ١٩٦٩ الثورة، ٣ مارس (آذار) ١٩٦٩؛ النهار، ٥ مارس (آذار) ١٩٦٩ .

١٧ أحمد المير، عضو مؤسس للجنة العسكرية البعثية، كان قائداً للوحدات العسكرية على الجبهة السورية الاسرائيلية خلال حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧، وقد أعفى من مهام منصبه بعد ذلك بفترة قصيرة وتم اختياره عضواً فى القيادة القومية لحزب البعث فى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧ . وفى اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨ تم استبدال المير فى هذا المنصب بشخص آخر ليتم تعيينه بالسفارة السورية فى مدريد.

١٨ الحياة، ١٦ اغسطس (آب) ١٩٦٩، فسرت النزاع بين حافظ الاسد وصلاح جديد على انه "مناورة بهدف تصفية قادة الحزب غير العلويين، قادرة على كشف العناصر التى اتخذت موقفاً معادياً من النظام السورى". ان مثل هذه الشائعات المـُخـْتـَلـَقة التي حاولت ان تفسر كل شيء تقريباً بناء على خلفيات طائفية للبعثيين الحاكمين كانت أمراً مألوفاً للصحف

وفى عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٠ حاول جديد وأنصاره استعادة بعض نفوذهم المفقود بوضع منظمة الصاعقة التى تم تشكيلها فى سوريا بعد حرب يونيو (حزيران) ١٩٦٧ تحت الاشراف المباشر للقيادة القطرية السورية، بهدف تحويل المنظمة الى اداة قوة بديلة يمكن استخدامها فى وقت لاحق كثقل مقابل قوة الاسد العسكرية[١٩].

وفى سبتمبر (أيلول) ١٩٧٠ اتخذ قادة سوريا السياسيون قراراً فى صالح التدخل العسكرى فى الحرب الأهلية فى الأردن إلى جانب المنظمات الفدائية الفلسطينية التى كانت تحارب فى ذلك الوقت معركة خاسرة ضد الجيش النظامى الاردنى تحت قيادة الملك حسين. وقد فشل هذا التدخل واشعل فتيل مواجهة جديدة بين الاسد وجديد وكل من أنصارهما وحلفائهما.

وانعقد المؤتمر القومى الاستثنائى العاشر لحزب البعث بدمشق فى أواخر اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٠ لمحاولة إيجاد حل لأزمة الحزب المتجددة، بيد أنه قبيل ذلك بوقت قصير قام الاسد بنقل بعض أنصار جديد العسكريين، استعداداً لأى حدث محتمل، وليكون قادراً على فرض ارادته على خصومه السياسيين، إذا ما سار المؤتمر فى غير صالحه[٢٠]. واثناء المؤتمر بات واضحاً أن الاسد وأهم مؤيد عسكرى له، مصطفى طلاس، كادا أن يكونا معزولين تماماً، بينما تمتع جديد وحلفاؤه بتأييد غالبية أعضاء المؤتمر. أما فى القوات المسلحة فقد كانت العلاقات بين المعسكرين السياسيين الرئيسيين على عكس ذلك تماماً. وعندما أصدر معظم أعضاء المؤتمر فى النهاية قراراً غير واقعى بإعفاء كل من وزير الدفاع، الاسد، ورئيس الأركان، طلاس، من منصبيهما العسكريين وتكليفهما بمهام فى الحزب، حسب ما تقرره قيادة الحزب، فقد استطاع الاثنان اتخاذ اجراءات مضادة فعالة على وجه السرعة.

وفى ١٣ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠ أمر الاسد العسكريين باحتلال

اللبنانية اليومية المحافظة المناهضة للبعث، كالحياة.

١٩ قارن الصياد، ٢٢ مايو (ايار) ١٩٦٩؛
Dishon (ed.), Middle East Record 1969 - 1970, p. 1149.

٢٠ الراية، ٧ يونيو (حزيران) ١٩٧١.

مكاتب القسم المدني للحزب، وكذلك المنظمات الشعبية البعثية، بالإضافة الى إلقاء القبض على أبرز قادة الحزب المدنيين، بمن فيهم صلاح جديد والرئيس نور الدين الاتاسي. وقد فر الكثير من أعضاء المؤتمر الى لبنان، بغية تفادي الاعتقال، واستمروا في معارضة النظام السوري الجديد من هناك[٢١].

ولم يحصل القسم المدني لحزب البعث تحت نظام حكم الاسد مرة أخرى على المركز القوى الذى حظى به لبعض الوقت خلال المدة السابقة. وفي ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ كادت جماعة ضباط حافظ الاسد -الذى أصبح أول رئيس علوى سورى فى فبراير (شباط) ١٩٧١- ان تحتكر السلطة السياسية. وبهذا تم وضع حد للتقليد السورى بأن يكون الرئيس سنياً، كما كان هذا الأمر بمثابة رمز لتطور العلويين سياسيا من طائفة دينية متخلفة اقتصادياً ومضطهدة اجتماعياً الى مجموعة من السكان المتحررين وطنياً وفى مركز قوة وسيطرة.

وبعد ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ اعتمد حافظ الاسد بصورة كبيرة على جماعة الضباط التابعة له فى الإحتفاظ بالسلطة. وشملت هذه الجماعة عدداً من كبار الضباط الذين كان لهم ولأنصارهم مراكز استراتيجية هامة فى القوات المسلحة السورية. هذا، وقد تقلد الضباط التابعون لطوائف دينية غير علوية مهاماً عسكرية عليا من حيث الشكل، إلا أنهم لم يكونوا فى وضع يشكل أى تهديد للرئيس العلوى الذى كان اتباعه الشخصيون قادرين على قمع أية بادرة عصيان. فعلى سبيل المثال، نجد أن اللواء ناجى جميل، وهو سنى من دير الزور وقد رأس السلاح الجوى السورى من نوفمبر (تشرين

---

٢١ الراية، ١٤ و ١٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ . ظل اللواء صلاح جديد في الأسر حتى وفاته في ١٩ أغسطس (آب) ١٩٩٣ بسجن المزة (دمشق). وقد دفن في اليوم التالي بقريته بالقرب من اللاذقية وسط احتفال كبير. أما نور الدين الاتاسي فقد اطلق سراحه بعد أكثر من عشرين عاماً بالسجن ومات بعد ذلك بقليل. وشارك العديد من البعثيين المدنيين والعسكريين المعارضين للأسد فى نفس هذا المصير. الحياة، ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٩٤ . للإطلاع على قائمة بأسماء المساجين الذين طال حبسهم وعلى خلفياتهم انظر لجنة الدفاع عن المعتقلين السياسيين فى سوريا، المكتب المركزى، من قوافل المعتقلين السياسيين وأخبارهم فى السجون السورية، غير معلوم المكان، ١٩٧٦، وأيضا
Middle East Watch, Syria Unmasked: The Suppression of Human Rights by the Asad Regime, London, 1991, pp. 166-169.

الثاني) ١٩٧٠ حتى مارس (آذار) ١٩٧٨، لم يكن في استطاعته استخدام السلاح الجوي بفاعلية في أي عصيان عسكري ضد الرئيس، ويرجع ذلك جزئياً الى أن أنصار حافظ الاسد العلويين حينذاك كانوا مسئولين عن القواعد الجوية الرئيسية. وكان هذا ينطبق أيضاً على كبار الضباط السنيين الآخرين أمثال اللواء مصطفى طلاس، الذي عُين وزيراً للدفاع في مارس (آذار) ١٩٧٢، وخلفه فيما بعد اللواء يوسف شكور كرئيس للأركان، وهو مسيحي من الروم الأرثوذكس من محافظة حمص.

ان ضباطاً مثل طلاس وجميل وشكور استطاعوا فرض سيطرتهم، طالما كانوا خاضعين لسياسات الرئيس، أما في حالة حيدهم عن خط سيره فكان من السهل إزاحتهم جانباً من قبل أنصاره العسكريين ومعظمهم علويون، وخاصة بالنظر الى حقيقة أنه لم يكن لهم أتباع شخصيون أقوياء داخل القوات المسلحة.

وفي الحقيقة، فان تعيين ضباط سنيين في مثل هذه المراكز العسكرية العليا، أمثال طلاس وجميل، كان من الممكن أن يكون بغرض تهدئة السنيين وتبديد الانطباع بأن أهم المراكز مقصورة على العلويين دون غيرهم[٢٢].

وكما رأينا، فإن أبرز جماعات الضباط السنيين والدروز والاسماعيليين

---

٢٢ من أبرز الأعضاء العلويين في جماعة حافظ الاسد في هذه الفترة: رفعت الاسد (أخوه) وعلى حيدر (قائد "القوات الخاصة") ومحمد توفيق الجهني (قائد الفرقة الأولى) وعلى دوبا (رئيس المخابرات العسكرية) وعلى الصالح (قائد الدفاع الجوي) وعلى حماد (رئيس شئون الضباط). وفي ١٩٧٥ كان هؤلاء هم أعضاء اللجنة العسكرية المسئولة عن تنقلات الضباط. ومن بين أنصار حافظ الاسد العسكريين العلويين الآخرين في هذه الفترة: عبد الغني ابراهيم وعلى أصلان ومصطفى شربا وحكمت ابراهيم وعلى حسين. كما يمكن العثور على أسماء العديد من أنصار حافظ الاسد الآخرين في جريدة البعث، ١١ مارس (آذار) ١٩٧٤، والتي نشرت قائمة بأسماء الضباط الذين منحوا أوسمة عسكرية كمكافأة لهم على أدائهم الحسن في حرب اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ . انظر أيضاً حزب البعث العربي الاشتراكي، القطر العربي السوري، القيادة القطرية، تقارير المؤتمر القطري الثامن ومقرراته، المنعقد في دمشق في الفترة الواقعة بين ١٩٨٥/١/٥ و ١٩٨٥/١/٢٠؛ التقرير التنظيمي، دمشق ١٩٨٥، ص ٣٧٢ (المشار إليه فيما بعد بـ "التقرير التنظيمي ١٩٨٥")، و
Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, p. 184 n. 29.

قد تم إما تحييدهم أو تصفيتهم من القوات المسلحة قبل عام ١٩٧٠ • والتفوق الذى حظيت به جماعة حافظ الاسد بعد نوفمبر (تشرين الثانى) من ذلك العام قلل كثيراً من الفرص أمام غير العلويين لتشكيل كتل قوى مستقلة قادرة على تهديد مركز النظام القائم• وبالرغم من أن الصحف والمجلات والنشرات الدورية اللبنانية كانت تصرح مراراً بأن مركز الاسد مهدد من قبل الضباط السنيين، إلا أن مصداقية تلك التصريحات مشكوك فيها، ولم يتم اثبات صحتها فى حين صدورها بصورة مقنعة[٢٣]•

ان مخاطرات التحدى لمركز الاسد فى الأصل نبعت أساساً من داخل الطائفة العلوية ذاتها• ويمكننا أن نستنتج من الاعتقالات والتسريحات التى حدثت أن الضباط العلويين والمدنيين البعثيين من اللاذقية كانوا متورطين بصورة رئيسية فى المؤامرات التى تم الكشف عنها منذ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠ • فعلى سبيل المثال، فى يونيو (حزيران) ١٩٧١، اعتقل عدد من أنصار جديد واتهموا بالتورط فى نشاطات تخريبية ضد النظام، وقد شمل ذلك العديد من أبرز أعضاء الحزب بقيادة فرع اللاذقية[٢٤]•

وقد اغتيل اللواء العلوى محمد عمران فى ٤ مارس (آذار) ١٩٧٢ فى طرابلس بلبنان، حيث كان يعيش فى المنفى منذ عام ١٩٦٧ • وقد دلت الآثار التى خلفها القتلة على احتمال تورط جهاز المخابرات السورية• وقد يكون

---

٢٣ قارن الكفاح، ٢٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٧١؛ بيروت ٢٣ و ٢٤ و ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٧١؛ الحوادث، ٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢ • الدستور (بيروت)، ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٧٢، ذكرت وجود بعض جماعات الضباط السنيين تحت قيادة وزير الدفاع مصطفى طلاس وقائد السلاح الجوى ناجى جميل ورئيس الوزراء عبد الرحمن خليفاوى (وهو دمشقى من أصل جزائرى) الذين كانوا يشكلون تهديداً لمركز الاسد• وقد ظهرت مثل هذه التقارير بصفة خاصة فى الصحف الموالية للعراق بعد تقلد زمام السلطة فى العراق فى ١٧ يوليو (تموز) ١٩٦٨ من قبل مجموعة من البعثيين، لهم إرتباط تنظيمى باولئك الذين أطيح بهم فى سوريا فى ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ • انظر أيضاً الراية، ١ مارس (آذار) ١٩٧١، حيث ذكرت أنه بعد انقلاب الاسد فى ١٣ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠ انقسم أنصاره الى "ثلاثة أجنحة"•

٢٤ انظر الراية، ١٤ و ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٧١؛ الحياة، ١١ و ١٥ يونيو (حزيران) ١٩٧١ وفى ٥ يناير (كانون الثانى) ١٩٧١ ذكرت الحياة اعتزال اثنى عشر ضابطاً، عشرة منهم علويون، بمن فيهم عزت جديد•

عمران استمر في الاتصال ببعض أنصاره العسكريين فى سوريا، على أمل العودة للحياة السياسية فى المستقبل. هذا، وقد تكون عملية اغتياله والشائعات التى ترددت حول تورط النظام السورى قد قوضت كثيراً من ثقة الضباط العلويين بالذات تجاه الاسد[٢٥].

وفى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢ تم اعتقال المزيد من أنصار وحلفاء جديد العسكريين والمدنيين بتهمة التآمر ضد النظام. ومرة أخرى بدا واضحاً أن النسبة الكبرى من المعتقلين علويون : ذكرت الراية اعتقال خمسة عشر ضابطاً، اثنا عشر منهم على الأقل علويون. علاوة على ذلك، وطبقاً لنفس المصدر، فإن معظم المدنيين الذين اعتُقلوا كانوا من فروع الحزب باللاذقية وطرطوس ودمشق[٢٦].

ونظراً لأن معظم التحديات لنظامه نبعت من داخل الطائفة العلوية فإنه ليس من المدهش بمكان أن يضع الاسد ثقته المتزايدة فى أشخاص مقربين إليه، كأفراد عائلته أو قبيلته أو قريته وما يجاورها، وذلك لكي يؤمّن مركزه حتى ضد من هم من نفس طائفته الدينية. لقد كان اخوته الخمسة جميعهم أعضاءاً عاملين بالحزب، وشغلوا مراكز بارزة فى الجيش وفى مؤسسات

---

٢٥ الدستور (بيروت)، ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٧٢؛ الحوادث، ٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢؛ الحياة، ٦ مارس (آذار) ١٩٧٢؛ بيروت، ٦ مارس (آذار) ١٩٧٢؛ السياسة (الكويت)، ٤ مارس (آذار) ١٩٧٢ . المحرر، ٦ مارس (آذار) ١٩٧٢، اتهمت نظام البعث العراقى بإغتيال عمران؛ الثورة (بغداد)، ٤ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٦، وآذاعة بغداد فى ٤ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٦، ألقت اتهاماتها كذلك على نظام البعث السورى. وليس واضحاً ما إذا كانت التغييرات فى قيادة الجيش السورى فى ٢٦ مارس (آذار) ١٩٧٢ متعلقة بإغتيال عمران أم لا. انظر أيضاً محمود صادق، حوار حول سوريا (لندن: دار عكاظ، ١٩٩٣)، ص ٢١، ٢٦، ٣٣، الذى يذكر ان مجموعة (صغار) الضباط الموالية لمحمد عمران قد اصبحت فيما بعد موالية لحافظ الأسد.

٢٦ الراية، ٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢ . قارن الحوادث، ٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢؛ العالم العربى، ٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢، ص ١١ - ١٢ : "متاعب ومشكلات الرئيس الاسد"؛

L'Orient - Le Jour, 14 December 1972.

ومن المحتمل أن يكون بعض أعضاء الحزب الذين تم اعتقالهم من فرع دمشق أيضاً من منطقة اللاذقية.

الحزب أو في المؤسسات الحكومية، خاصة رفعت الاسد الذي تولى قيادة سرايا الدفاع بعد انقلاب نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠، وهي نخبة من وحدات الجيش ذات أهمية سياسية واستراتيجية متمركزة حول دمشق، استطاع بها أن يحمي نظام أخيه الأكبر. وقد ذكر أن القوات العسكرية التي كانت تحت قيادته لعبت دوراً هاماً في حرب اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ ضد اسرائيل، وقد مُنح هو وعدد من الضباط الآخرين في مارس (آذار) ١٩٧٤ أوسمة عسكرية لما أظهروه من تفوق غير عادي خلال الحرب[٢٧].

وبعد انقلاب نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ على وجه الخصوص سرت شائعات داخل البلاد وخارجها اوحت بوجود منافسة بين الأخوين، وصلت أحياناً إلى حد القول بأن رفعت الاسد كان مصدر تهديد لمركز أخيه. لذلك، عندما حاولت قيادة الجيش نقله ونقل وحداته بعيداً عن دمشق كما ذكر فقد اُشيع أن رفعت ثار مراراً وتكراراً على ذلك[٢٨]. إلا أنه في ابريل (نيسان) ١٩٧٥ في المؤتمر القطري السوري السادس لحزب البعث بدمشق تم انتخاب رفعت الأسد عضواً في القيادة القطرية السورية إلى جانب أخيه حافظ[٢٩].

وفي نفس المؤتمر جرى تعيين أخ آخر وهو جميل الاسد عضواً في المؤتمر القومي الثاني عشر لمنظمة الحزب الحاكم[٣٠]، بعد أن كان قد تم انتخابه بالفعل عضواً بمجلس الشعب السوري في مايو (ايار) ١٩٧٣[٣١]. أما الأخوة الثلاثة الآخرون للرئيس فهم اسماعيل ومحمد وأحمد على سليمان، وقد

---

٢٧ البعث، ١١ مارس (آذار) ١٩٧٤ . انظر مقابلة رفعت الاسد مع الصياد، ١٣ فبراير (شباط) ١٩٧٤، حول الدور الذي لعبته وحداته المسلحة في حرب اكتوبر (تشرين الأول).

٢٨ انظر على سبيل المثال الراية، ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٧١ .

٢٩ النهار، ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ .

٣٠ البعث، ١٦ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ . قارن الكفاح العربي، ٨ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ .

٣١ النهار، ٢٨ مايو (ايار) ١٩٧٣ . وفقاً لهذه الجريدة اليومية، فإن سلمى نجيب، حماة الرئيس حافظ الاسد، كانت قد اُختيرت في نفس الوقت.

تقلد الأخير لفترة ما منصباً بالمجلس المحلى بمحافظة اللاذقية[٣٢].

وفى بيروت، واصل أنصار جديد مهاجمة نظام الاسد من خلال صفحات جريدة الراية التابعة لهم، مع التركيز على مظاهر النظام الطائفية والعشائرية· وفى مقال بعنوان "من يحكم بغداد ودمشق ؟" كتب أحد المحررين قائلا :

يمكننا أن نلاحظ أن الفريقين الموجودين على رأس السلطة فى دمشق وبغداد ينتميان لكتل تكونت داخل الجيش والحزب، وهى فى واقعها كتل طائفية أو عشائرية (مثل) كتلة "التكارتة" فى العراق··· لقد قفز كل من حكام دمشق وبغداد الى السلطة عبر انقلاب عسكرى يعتمد على تحالف كتل عشائرية أو طائفية فى الجيش[٣٣].

وفى مقالاتهم الموجهة ضد الاسد لم يذكر أنصار جديد البعثيون أن مراكز سلطتهم السابقة فى سوريا كانت أيضاً معتمدة على الكتل الطائفية والعشائرية والاقليمية فى القوات المسلحة وفى الحزب·

وبعد انقلابه فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠ حاول حافظ الاسد وضع حد لعزلة سوريا السياسية فى العالم العربى والتى كانت قد زادت حدتها فى الفترة منذ ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ · فقد سعى الى التقارب مع "دول

---

٣٢ البعث، ٢٣ يناير (كانون الثانى) ١٩٧٥ ·

٣٣ الراية، ٢٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧١ · انظر أيضاً المقالة المعنونة "مقابلة بين القرداحة وتكريت والمنوفية"، الراية، ١٠ ابريل (نيسان) ١٩٧٢، حيث وصف التقارب السياسى بين سوريا والعراق ومصر فى ١٩٧٢ بسخرية على أنه تقارب بين ثلاثة من الأنظمة يسيطر عليها حكام من مساقط رأس معينة : فحافظ الاسد من القرداحة والرئيس العراقى أحمد حسن البكر من تكريت والرئيس المصرى أنور السادات من المنوفية· قارن الراية، ١٩ يوليو (تموز) ١٩٧١ و ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧١ و ١ مايو (ايار) ١٩٧٢ و ٢٨ اغسطس (آب) ١٩٧٢ · ومما يثير الانتباه انه فى عام ١٩٧٧ اتبع العراق رسمياً سياسة حذف الانتساب الى عشيرة أو منطقة لدى ذكر الأسماء الشخصية· ويبدو أن هذا الإجراء الذى لم يكن مُلزماً لغير العسكريين كان قد اتُخذ بهدف التشويش على الولاءات العشائرية أو الإقليمية· وهدف آخر وراء ذلك كان منع عامة الشعب من التعرف بسهولة على منطقة أو عشيرة البعثيين الحاكمين فى العراق؟

المواجهة" - مصر والاردن - وكذلك مع الدول الأكثر محافظةً مثل السعودية، وذلك بقصد بناء جبهة عسكرية وسياسية موحدة ضد اسرائيل· أما جديد وحلفاؤه فقد سبق لهم أن رفضوا أى تعاون جاد مع مصر التى يحكمها الرئيس جمال عبد الناصر ومع الدول الأكثر محافظة، بحجة أن التقدميين هم وحدهم القادرون على كسب الصراع النهائى ضد اسرائيل· وقد اظهرت سياسة الاسد الجديدة التمركزة على التعاون العربى نتائج حاسمة فى حرب اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣، حيث استطاعت القوات المسلحة المصرية والسورية تنسيق جهودهما العسكرية بشكلٍ فعالٍ ضد اسرائيل·

وتوحى التطورات الواردة بهذا الكتاب بوجود علاقة ارتباط واضحة بين الاستقرار السياسى ودرجة التشرذم الطائفى والاقليمى والعشائرى داخل نخبة السلطة السياسية: فكلما أظهرت الجماعات المعنيةتباينا عظيماً كانت النتيجة انعدام الاستقرار السياسى·

ان فترة الاستقرار الطويلة نسبياً التى تمتعت بها سوريا منذ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠ يمكن أن تَعزى الى حد كبير لعدم تقويض الانضباط العسكرى والحزبى حينذاك بالشكل الذى كانت الأوضاع عليه فيما سبق، بسبب الانقسام الطائفى والاقليمى والعشائرى، بجانب أنه لم يبق سوى جماعة واحدة من الضباط العلويين، ألا وهى جماعة حافظ الاسد، الذى تقلد زمام السلطة العليا واستطاع أن يفرض ارادته على الآخرين· أن التأثير الهدام الذى يمكن أن يفرضه الشقاق الحزبى على الانضباط العسكرى قد بدا واضحاً من خلال الإنجازات التى حققتها القوات المسلحة السورية: ففى حرب اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ كانت الانجازات أفضل بكثير منها فى يونيو (حزيران) ١٩٦٧ عندما تأثر سلك الضباط وتنظيم حزب البعث بتشكيلات طائفية وإقليمية وعشائرية·

وفى عام ١٩٧٦ تم تقويض مركز حافظ الاسد بصورة خطيرة لأول مرة منذ قيام "حركته التصحيحية" فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠، والسبب الرئيسى فى ذلك يرجع الى إصداره الأوامر للجيش السورى بالتدخل فى الحرب الأهلية اللبنانية· وقد دارت هذه الحرب التى أخذت فى الإشتعال تارة والخمود تارة أخرى منذ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ بين الأحزاب السياسية اليمينية اللبنانية المتكونة أساساً من المسيحيين الموارنة وبين الأحزاب السياسية

اليسارية التى كان معظم اتباعها من الطوائف الإسلامية المتعددة والتى د عمت عسكرياً فى مرحلة لاحقة من قبل المنظمات الفدائية الفلسطينية·

وقد تدخل الأسد فى المعارك اللبنانية بغية الوصول الى وضع يمكن فيه استخدام الوسائل الدستورية والشرعية لتحقيق تسوية سلمية بين الأطراف المتنازعة· بيد أن هذه المحاولة قد باءت بالفشل: فقد تصاعدت حدة المعارك بشكل لم يكن متوقعاً على الإطلاق وتورط السوريون فى البداية فى مواجهة عسكرية عنيفة مع الفدائيين الفلسطينيين وميليشيات اليسار اللبنانية، وهم الحلفاء التقليديون لنظام البعث السورى[٣٤]· وقد كان لهذا الجانب بالذات تأثير مزعج على وضع الاسد داخل البلاد، وارتفعت أصوات المعارضة القوية ضد تدخله فى لبنان، وبعد اكتشاف وإحباط مؤامرات لإسقاط النظام القائم ذكر أن هناك العديد من الاعتقالات قد تمت داخل القوات المسلحة والجهاز المدنى لحزب البعث[٣٥]·

وعقب التدخل العسكرى السوري فى لبنان وقعت سلسلة من الإغتيالات السياسية والهجمات على قادة حزب البعث فى سوريا· ولم يكن واضحاً حينذاك ما إذا كانت تلك الأحداث وليدة معارضة سياسية داخلية ضد التدخل العسكرى السورى فى لبنان مثلاً، أو نتيجة المنافسة بين نظامى البعث الحاكمين فى كل من بغداد وسوريا، أو ما إذا كان حتى المقصود بذلك هو إثارة "الإنقسامات الطائفية"· وعلى أية حال، فمن الملاحظ أن معظم الذين تم اغتيالهم كانوا من العلويين[٣٦]· واتهمت إذاعة دمشق ما أسمته بـ "الزمرة

---

٣٤ فى ١٢ ابريل (نيسان) و ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٧٦ فى الخطابين اللذين بثتهما إذاعة دمشق أوضح الرئيس حافظ الاسد خلفيات قراره بالتدخل فى لبنان· انظر كذلك صابر فلحوط، المسألة الفلسطينية والموقف العربى السورى (دمشق، ١٩٧٧)، ص ٣٠٩ - ٣١٤؛ وغالب كيالى، حافظ الاسد: قائد ورسالة (بيروت، ١٩٧٧)، ص ١٧٩ - ١٨٥ ·

٣٥ قارن الصمود، كما ورد فى
Arab Report & Record, 1-15 April 1976, p. 231
قارن بيروت، ٢٧ مايو (ايار) ١٩٧٦؛ الجمهورية (القاهرة)، ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٧٦؛
Baghdad Observer 11 and 19 May 1976.

٣٦ من أبرز الشخصيات العلوية التى تم اغتيالها: الرائد على حيدر قائد حامية حماة (قتل فى نهاية ١٩٧٦)، الأستاذ محمد الفاضل رئيس جامعة دمشق (قتل فى ٢٢ فبراير (شباط)

الفاشية العشائرية التكريتية" الحاكمة في بغداد بتدبير بعض الاغتيالات[٣٧].

١٩٧٧)؛ العميد عبد الحميد رزوق قائد فيلق الصواريخ بالجيش السورى (قُتل فى ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٧٧)؛ الدكتور على عبد العلى الأستاذ بجامعة حلب (قُتل فى ١ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٧)؛ الدكتور يوسف عيد أحد أقرباء اللواء محمد عيد القائد العسكرى للمنطقة الشمالية (قُتل فى ٦ مارس (آذار) ١٩٧٨)؛ الدكتور ابراهيم نعامة عميد أطباء الأسنان السوريين ونائب رئيس مجلس إدارة جمعية الصداقة السوفييتية السورية (قُتل فى ١٨ مارس (آذار) ١٩٧٨)؛ المقدم أحمد خليل مدير الشرطة بوزارة الداخلية (قُتل فى ١ اغسطس (آب) ١٩٧٨) وكان مُقرباً جداً للرئيس حافظ الاسد. انظر البعث، ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ .
(Le Monde, 23 August 1978).

وقد كان العلى ونعامة صهري الرئيس السورى وينتميان لقرية تجاور قريته. قارن
Le Monde, 1 April 1978,
التى ذكرت أيضاً انه يبدو أن اللواء ناجى جميل رئيس الأمن الوطنى قد تم عزله من منصبه كنائب وزير الدفاع وقائد القوات الجوية السورية، لعدم قيامه بالحيلولة دون وقوع تلك الاغتيالات. (قارن البعث، ٣ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٧ و ٢٨ مارس (آذار) ١٩٧٨ و ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٧٨؛ النهار العربى والدولى، ٨ ابريل (نيسان) ١٩٧٨؛ النهار، ٢٨ مارس ١٩٧٨.
Sunday Times, 16 April 1978;
إذاعة بغداد، ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٧٨). وفى ٦ يوليو (تموز) ١٩٧٧ تم التلميح فى صحيفة تشرين السورية اليومية التابعة للحكومة بأن الاغتيالات ربما كان المقصود بها إثارة "الإنقسامات الطائفية". (قارن
Guardian, 6 July 1977).

٣٧ إذاعة دمشق، ٢٨ مارس (آذار) ١٩٧٧ و ١٣ يوليو (تموز) ١٩٧٧ و ٢ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٧ و ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ . ومن ناحية أخرى، اتهم النظام البعثى العراقى ما أسماه بـ "نظام أسرة الاسد" - وبالذات رفعت الاسد - بأنه كان وراء الإغتيالات. (قارن
Baghdad Observer, 11 July 1977;
إذاعة بغداد، ٢٤ و ٣٠ اغسطس (آب) ١٩٧٨) . وقرب نهاية سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ خمدت الحرب الإعلامية فجأة وقام الرئيس حافظ الاسد فى الفترة من ٢٤ الى ٢٦ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٨ بزيارة مصالحة الى بغداد من أجل زيادة التقارب بين نظامي البعث المتنافسين، والتى تُوجت بمعارضتهما المشتركة للاتفاقات المصرية الاسرائيلية، فيما يتعلق بـ "إطار عمل للسلام فى الشرق الأوسط" و "إطار عمل لتحقيق معاهدة سلام بين مصر واسرائيل" وقعت فى كامب ديفيد بتاريخ ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٨ . وقد اختتمت زيارة الاسد بتوقيع "ميثاق للعمل القومى المشترك بين سوريا والعراق". (البعث، ٢٧ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٨) .
Eberhard Kienle, Ba'th v Ba'th, pp. 135-151.

أما المصادر المعارضة لسوريا فقد أعزت الجهود المبذولة للإطاحة بنظام الاسد، ليس فقط لدوافع سياسية، بل أيضاً للإستياء المزعوم ضد الهيمنة العلوية فى سوريا• فعلى سبيل المثال، فى ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٧٦ ادعت إذاعة القاهرة أن ما سُمي بالانقلاب الفاشل الذى قام به الضباط السوريون فى بداية ذلك العام يمكن نسبته بصورة كبيرة الى ما اسمته بـ "التمرد الذى قام به ضباط الصف والجنود فى حزب البعث ضد قيادة الحزب لفرضها سلطة الطائفة العلوية الدينية على البلاد"[٣٨]• وفى بث آخر فى ٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٦ وصفت إذاعة القاهرة نظام حافظ الاسد فى مصطلح دعائى بأنه "نظام البعث السورى العلوى" وفى مارس (آذار) ١٩٧٨ ذهب الرئيس المصرى أنور السادات - الذى انتُقد بشدة من قِبل سوريا لقيامه بزيارة اسرائيل فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٧ ولبدئه المباحثات مع رئيس الوزراء الاسرائيلى مناحم بيجين - الى حد التصريح بأن نظام البعث فى سوريا كان "أولاً علوياً وثانياً بعثياً وثالثاً سورياً"، بغية التلميح بأن الرئيس الاسد كان لديه نية تأسيس دولة علوية[٣٩]•

وعلى نقيض ما يمكن استخلاصه من كل هذه الدعاية الطائفية فإن المعارضة الأكثر خطورة على نظام حافظ الاسد كان من الممكن أن تأتى أولاً من قِبل الضباط التابعين للطائفة العلوية، ثم من قِبل الآخرين•

وفى عام ١٩٧٧ ساهم تطور آخر لمجرى الأمور فى سوريا فى تدهور مركز الاسد• ففى ١٨ اغسطس (آب) ١٩٧٧ - ربما على أمل استعادة بعض الاعتبار الذى فقده نظامه اثر تدخله فى لبنان - أعلن الاسد تكوين لجنة للتحقيق فى الكسب غير المشروع "للتحقيق فى جرائم الرشوة وبسط النفوذ والإختلاس واستغلال المناصب والمكاسب غير المشروعة"[٤٠]• ويبدو ان ما كان مقصوداً بهذه الحملة ضد الفساد هو تبديد السخط الشعبى ضد سبل

---

٣٨ إذاعة القاهرة، ٢٦ ابريل (نيسان) ١٩٧٦؛ الجمهورية (القاهرة)، ٢٧ ابريل (نيسان) ١٩٧٦ •

٣٩ الرئيس أنور السادات فى مقابلة له مع مجلة اكتوبر، ٢٦ مارس (آذار) ١٩٧٨؛ إذاعة القاهرة، ٢٥ مارس (آذار) ١٩٧٨ • انظر أيضاً الفصل الرابع، حاشية ٤٠ •

٤٠ خطاب الرئيس حافظ الاسد، إذاعة دمشق، ١٨ اغسطس (آب) ١٩٧٧ •

معالجة الحكومة للسياسة الاقتصادية وضد الفساد المتفشى فى البيروقراطية الحكومية والقطاع العام· وحقيقة، كانت الحملة محكوما عليها بالإخفاق منذ البداية، حيث أن بعض الضباط العسكريين من ذوى المناصب العليا - وهم من الحاشية المباشرة للرئيس حافظ الاسد والذين كانوا يشكلون لب جماعته من الضباط (ومعظمهم علويون) - قد وجدوا مذنبين بالتورط فى ممارسات الفساد[٤١]· وتصفية هؤلاء الضباط من الجيش أو اتخاذ اجراءات تأديبية صارمة ضدهم كان من الممكن أن يقوض مركز قوة جماعة الاسد بشكل مباشر، وبالتالى، النظام ككل· لذلك، كان من المُحبذ عدم التعرض بالإساءة لمراكز أبرز الضباط، ونتيجة لهذا، فقد تمت المخاطرة بمصداقية النظام فى تدبير الحملة ضد الفساد، وتعرضت هيبته للضرر مرة أخرى·

ويمكن أن نستنتج أن الفشل الذى مُنيت به الحملة ضد الفساد يعتبر مثالاً آخر للمأزق الذى وجد النظام البعثى السورى نفسه فيه مراراً وتكراراً منذ استيلائه على السلطة فى عام ١٩٦٣ · ويرجع ذلك لبُنية لب نخبة القوى السياسية: أى الحزب السياسى أو إحدى جماعاته التى، رغم اتباعها إيديولوجية معينة لإبعاد الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية، إلا أنها وجدت نفسها مضطرة الى حد ما للرجوع لتلك الولاءات التقليدية عندما تقلدت زمام السلطة، حتى لا تفقد القوة المطلوبة لتحقيق ايديولوجيتها·

وأصبحت المشكلة تدور فى حلقة مفرغة: فمن ناحية نجد أن السلطة كانت ضرورية لتنفيذ التغييرات الاجتماعية الجذرية اللازمة، وما تستتبعه من قمع للولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية، ومن ناحية أخرى نجد أن الاحتفاظ بالسلطة كان يستتبعه الاعتماد على تلك الولاءات، وبالتالى إعاقة قمعها·

---

٤١ وفقاً لبعض التقارير، فإن الرأى العام المحلى قد اعتبر أخا الرئيس المقدم الدكتور رفعت الاسد كأحد حاملى لواء النظام والمستفيدين من معاملات الرشوة والفساد فى سوريا (قارن ·

Guardian, 22 September 1977; Arab Report & Record, 16-30 September 1977, p. 798; Afrique-Asie, 7 February 1977).

وفقاً لـ

Arab Report and Record, 1-15 July 1977, p.559,

فإنه كان من المُعتقد حينذاك أن العلويين قد تقلدوا حوالى ١٨ منصباً من بين الـ ٢٥ منصباً بقيادات الجيش·

الفصل السادس

الشقاق الحزبي الطائفي والإقليمي في نخبة السياسيين السوريين: تحليل احصائي

تحليل إحصائي لمؤسسات السلطة السياسية السورية

في هذا الفصل نعرض بعض نتائج بحث تناول البنية الخاصة بنخبة السلطة السياسية السورية عن طريق تحليل إحصائي للخلفيات الطائفية والإقليمية والاجتماعية الاقتصادية والسياسية لأعضاء مؤسسات السلطة السياسية الهامة.

لقد تم تناول الوزارات السورية فيما بين ١٩٤٢ و ١٩٩٥، بجانب القيادات القطرية السورية لحزب البعث منذ أن تقلد زمام السلطة في ١٩٦٣ (انظر الجداول من ١ إلى ٧)[١].

---

[١] بالنسبة إلى الفترة بعد ١٩٨٠ انظر أيضاً الفصل التاسع من هذا الكتاب والجدولين ٨ و ٩. تكونت سوريا ككيان سياسي بحدودها الحالية في يناير (كانون الثاني) ١٩٤٢. وكانت الوزارة المسئولة حينذاك هي الواحدة والثلاثون منذ انفصال سوريا عن الإمبراطورية العثمانية. لذلك، نجد أن ترقيم الوزارات منذ عام ١٩٤٢ يبدأ برقم ٣١ بجدول ١ و ٤. أما في جدول ٢ فقد تم إدراج وزراء من لواء الاسكندرون (وبالتحديد فايز اسماعيل وأدهم مصطفى وعدنان مصطفى العلويين) ضمن قائمة الوزراء من اللاذقية وذلك لتيسير الأمور. انظر أيضاً

Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 31 - 45, and 200 - 202

من أجل تفاصيل إحصائية حول الحكومات السورية والقيادات القطرية السورية المنفردة. انظر أيضاً:

Alasdair Drysdale, 'The Regional Equalization of Health Care and Education in Syria since the Ba'thi Revolution', International Journal of Middle East Studies, Vol. 13 (1981), pp. 93-111; Alasdair Drysdale, 'The Syrian Political Elite, 1966-1976: A Spatial and Social Analsis', Middle Eastern Studies, Vol. 17 (1981), pp. 3-30; Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria (San Fransisco, 1990), pp. 177-189; and Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, pp. 205-330,

حيث أعد الأخير بحثاً إحصائياً هاماً استقصى فيه مؤشرات السن والاستمرار في المناصب

وأولى البحث اهتماماً خاصاً لأعضاء البعث العسكريين لكونهم أهم حكام سوريا منذ ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ ونظراً للتشابه الكبير بين خلفياتهم والخلفية الخاصة بلب نخبة السلطة السياسية فى ذلك الوقت٠

ونتائج هذا البحث الإحصائى تعكس وتؤكد الاتجاهات والتطورات التى تم تناولها بالتفصيل فى الفصول السابقة٠

وقد لوحظ فى المقدمة أن الفئات الطائفية والإقليمية والعشائرية قد تتداخل إلى حد كبير مع الفئات الاجتماعية الاقتصادية، كما أن التباين بين الريف والمدن قد يتداخل أيضاً مع التباين الطائفى٠ علاوة على ذلك، فإن تداخل الولاءات الطائفية والاقليمية والعشائرية والاجتماعية الاقتصادية قد يتسبب فى تشابك عناصرها بشكل لا يقبل الفصل، فتصبح متممة ومدعمة بعضها البعض٠ وينطبق هذا بالذات على الأقليات المتماسكة، حيث تتطابق الفئات المشمولة إلى أقصى حد٠ لذلك، قد يكون من الخطأ أن نعزو أى تمثيل لطوائف دينية معينة بمؤسسات السلطة إلى وجود ولاءات طائفية، أو أن نعلله

وأنماط التمثيل الإقليمى والطائفى والتعليم والوظائف الخاصة بالنخبة السياسية السورية، مع التركيز على الفترة بين ١٩٥٨ و ١٩٦٦ ٠ ولم يقم ماكنتير بتقسيم الطوائف الدينية على أساس إقليمى كما هو الحال هنا، ففى هذه الدراسة تم تقسيم التمثيل الطائفى على أساس إقليمى بالجداول الإحصائية، وذلك لتحديد مدى التداخل بين التمثيل الإقليمى والطائفى٠ ومن أجل دراسة أخرى حول النخبة السياسية السورية انظر

Michael H. Van Dusen, 'Syria: Downfall of a Traditional Elite', in Frank Tachau (ed.), Political Elites and Political Development in the Middle East (New York, 1975), pp. 114 - 155; Gordon H. Torrey, 'Aspects of the Political Elite in Syria', in George Lenczowski (ed.), Political Elites in the Middle East (Washington, DC, 1975), pp. 151 - 161; Bayly Winder, 'Syrian Deputies and Cabinet Ministers, 1919 - 1959', The Middle East Journal, Vol. 16, No. 4, Autumn 1962, pp. 407 - 429 and Vol. 17, No. 1, Winter 1963, pp. 35 - 54; M. Mohammed Sabet Mahayni, l'Evolution constitutionelle de la Syrie indépendante (Thèse pour le doctorat d'etat, Paris, 1972);

قارن حسن الحكيم، مذكراتى، صفحات من تاريخ سوريا الحديث ١٩٢٠ - ١٩٥٨ (بيروت، ١٩٦٦)، المجلد الثانى، ص ١٤٧ - ٢٨٢؛ جورج فارس، من هو فى سوريا، ١٩٤٩ (دمشق، ١٩٤٩)؛ فارس، من هو فى سوريا، ١٩٥١، دمشق، ١٩٥١؛ فارس، من هم فى العالم العربى، المجلد الأول، سوريا (دمشق، ١٩٥٧)؛

Office de Presse Arabe et de Documentation (OFA), 2e Cabinet Mahmoud Ayoubi (1er Septembre 1974), Structure, Analyse et Biographies (Damascus, 1974); Who's Who in the Arab World, Second Edition, 1967 - 1968, (Bayrut, n.d.); C. Ernest Dawn, 'The Rise of Arabism in Syria', The Middle East Journal, Vol. 16, No. 4, Autumn 1962, pp. 145 - 168.

على هذا الأساس، دون الأخذ فى الاعتبار الخلفيات الإقليمية والعشائرية والاجتماعية الاقتصادية والسياسية التاريخية للأشخاص المعنيين. بالمثل، قد يكون من الخطأ أيضا أن نعزو أساسا أى تمثيل لمجموعات إقليمية معينة بمؤسسات السلطة إلى وجود ولاءات إقليمية.

ثورة تاريخية فى النخبة السياسية السورية (١٩٦٣)

لقد بات واضحاً أن عام ١٩٦٣ كان بمثابة نقطة تحول بالغة الأهمية فى تاريخ سوريا الحديث فيما يتعلق بتمثيل مجموعات طائفية وإقليمية واجتماعية اقتصادية وسياسية معينة.

لقد أدى استيلاء البعثيين على السلطة فى ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ إلى تغيير مفاجىء فى العلاقة بين السنيين وغير السنيين، وأهل الريف والمدن، والطبقات الغنية والفقيرة، والمجموعات السياسية المحافظة والتقدمية. وتمثل هذا التغيير فى البنية الجديدة للنخبة السياسية السورية.

فمن ١٩٤٢ وحتى ١٩٦٣ شغل أبناء المدن السنيون (ومعظمهم دمشقيون، يليهم أهل مدينة حلب المنافسة) وأبناء الطبقة الغنية وأعضاء الأحزاب السياسية المحافظة أعلى وأقوى المناصب. أما أعضاء الأقليات الدينية (وخاصة الأقليات الإسلامية غير السنية) وأبناء المناطق الريفية فقد كان تمثيلهم ضئيلاً جداً بالمؤسسات الهامة، كما عانوا من التفرقة السياسية والاجتماعية الاقتصادية بالمقارنة بفئات السكان الأخرى (انظر جدول ١ و ٤).

وانقلبت العلاقة بين هذه المجموعات انقلاباً جذرياً بعد ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣، كما يتضح فى حقيقة أن أعضاء الطوائف الاسلامية غير السنية (وخاصة العلويون ثم الدروز ثم الاسماعيليون) وأبناء المناطق الريفية الفقيرة (وخاصة من منطقة اللاذقية) تقدموا بشدة وأحرزوا تمثيلاً فائقاً نسبياً بمؤسسات السلطة الهامة (انظر جدول ٢ و ٧). علاوة على ذلك، أصبحت الحياة السياسية السورية بعد ١٩٦٣ تحت سيطرة أشخاص من الطبقة البرجوازية الصغيرة ومن الأحزاب السياسية التقدمية.

ويعطينا سامي الجندي، وهو أحد الأعضاء المؤسسين لحزب البعث وأصبح وزيراً للإعلام في الوزارة التي تشكلت عقب انقلاب ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ مباشرة، وصفاً حياً للتغيير المفاجيء الذي شمل موظفي الوزارات:

بعد ثلاثة أيام من دخولي الوزارة جاء الرفاق يطالبون بعملية تنظيف واسعة ... كان مقياس نجاح الوزير (تحدده) قوائم التسريحات، فالحزبيون وأقرباؤهم وبنو عشائرهم (جاءوا) يطالبون بحقوق النضال والقربى. وبدأت قوافل القرويين منذ ما ظهر الحزب على المسرح تترك القرى من السهول والجبال[٢] إلى دمشق. وطغت القاف[٣] المـُقلقة في شوارعها ومقاهيها وغرف الانتظار في الوزارات، فكان التسريح لزاماً من أجل التعيين[٤].

ويمكن اعتبار ظهور الأقليات الدينية وأهل المناطق الريفية بعد ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ نوعاً من التحرر الوطني.

وأهم أسباب عدم الاستقرار السياسي السوري في القرن العشرين هو ما يسمى بالصراع "التقليدي" داخل النخبة، أي صراع على السلطة بين نخب اجتماعية اقتصادية تنتمي تقريباً لنفس الطبقات، وتحاول إسقاط منافسيها السياسيين، بغية تحقيق مصالحها الشخصية المحدودة. وقد كاد هذا الصراع على السلطة قبل ١٩٦٣ أن يدور كلياً دون إشراك أهل الريف والطبقات

---

٢ أي جبال منطقتي اللاذقية والسويداء: جبال العلويين وجبل الدروز.

٣ إن القاف (ق) أحد حروف اللغة العربية التي تـُنطق في بعض اللهجات السورية الخاصة بأهل الريف، وليس باللهجة السورية الخاصة بأهل المدن، حيث يشيع استخدام "الهمزة" عوضاً عن القاف. لذلك، يسهل التعرف على الأشخاص القادمين من تلك المناطق الريفية. قارن
Mark W. Cowell, A Reference Grammar of Syrian Arabic (Washington, DC, 1964), p. 4.
انظر أيضاً
Bernard Lewin, Notes on Cabali: The Arabic dialect spoken by the Alawis of "Jebel Ansariye" (Göteborg, 1969), p. 8,
الذي يذكر الآتي: "إن العلويين ينطقون بالقاف، أما أهل حماة فقد كانوا موضع سخرية من قبلهم وذلك لإستخدامهم الهمزة «الضعيفة» (بدلاً من القاف القوية)."

٤ سامي الجندي، البعث، ص ١٣٦ - ١٣٧ . انظر أيضاً مطاع الصفدي، حزب البعث، ص ٣٤٠، الذي يؤكد أن الإنتماء الطائفي كان أهم المقاييس للحصول على الترقيات والوظائف الهامة بالمؤسسات الحكومية تحت حكم البعث في سوريا.

الكادحة.

وبعد استيلاء البعث على السلطة في ١٩٦٣، استمر هذا الصراع "التقليدى" بين النخب السياسية المتنافسة ذات الخلفيات الاجتماعية الاقتصادية المتقاربة، وكان الفارق الجوهرى بينه وبين الفترة السابقة لعام ١٩٦٣ هو الاختلاف الكبير بين الخلفيات الاجتماعية الاقتصادية والطائفية والاقليمية للنخب السياسية الجديدة وبين خلفيات السياسيين السابقين، إذ أصبحت السلطة السياسية أساساً فى أيدى أفراد من أهل الريف ومن الطبقة البرجوازية الصغيرة ومن أبناء الأقليات الدينية[٥].

وهذا قد فتح الطريق أمام تغييرات سياسية اجتماعية اقتصادية عنيفة أصبحت تولى اهتماماً رئيسياً لمصالح أهل الريف وأفراد الأقليات الدينية الذين عانوا من التفرقة فيما مضى.

الوزارات السورية والقيادات القطرية

تظهر المقارنة بين الخلفيات الطائفية لأعضاء الوزارات السورية منذ ١٩٤٢ حقيقة أنه فى غضون الوحدة بين مصر وسوريا (١٩٥٨ - ١٩٦١) لم يتقلد أى مسيحى منصباً بوزارات "الإقليم الشمالى" السوري، بينما كان تمثيل السنيين (٩٤،٧٪) أقوى مما كان عليه فى الفترات التى سبقت وتلت الوحدة، كما أن النسبة المئوية للسوريين السنيين كانت أكبر فى الحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة[٦]. ويمكن تعليل ذلك بالتثقيف السنى القوى الذى برز خلال الوحدة بين مصر وسوريا، بسبب الوضع المسيطر للمصريين (ومعظمهم سنيون) ففى الفترة قبل وبعد قيام الجمهورية العربية المتحدة

---

٥ قارن

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, p. 254.

Van Dusen, 'Syria: Downfall of a Traditional Elite', p. 139

وصف النخبة السياسية الجديدة التى تقلدت زمام السلطة بعد ١٩٦٣ بأنها فى الصميم عبارة عن "سوريين من أدنى الخلفيات الاجتماعية السياسية توافرت لهم فرصة إتمام دراستهم الثانوية".

٦

Macintyre, The Arab Ba'th Socialist Party, p. 234, Table 25: 'Representation of Religious Communities in the Government of the United Arab Republic, 1958-1961'.

كان تمثيل المسيحيين (وخاصة الروم الأرثوذكس) على نحو وافٍ فى الوزارات· وبينما عكست الوزارات السورية إلى حد ما خلفيات نخبة السلطة السورية، إلا أن القيادات القطرية لحزب البعث التى تركزت فى أيديها السلطة السياسية بعد مارس (آذار) ١٩٦٣ تعطى صورة أدق للتمثيل المتزايد للطبقات الفقيرة والمناطق الريفية ومنطقة اللاذقية والأقليات الدينية·

وقد وصل هذا التمثيل إلى ذروته فى الوزارات والقيادات القطرية فى الفترة بين فبراير (شباط) ١٩٦٦ ونوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠ · ففى الواقع، لم يكن بالقيادات القطرية فى هذه الفترة أى تمثيل لسكان المدن الكبرى مثل دمشق وحلب· أما على المستوى الإقليمى، فكان معظم أعضاء القيادات القطرية ينتمون إلى ريف اللاذقية (٢٩،٧٪) والمحافظة الجنوبية حوران (٢٠،٣٪) ودير الزور (الجزيرة) (١٥،٦٪) بالشمال الشرقى· ولم يكن الأمر من قبيل المصادفة: فاللواء العلوى صلاح جديد - الذى كان حينئذ فى أوج سلطته - كان مديناً بتألقه داخل تنظيم حزب البعث السورى فى المقام الأول لدعم الجماعة الحزبية من المناطق المذكورة آنفاً[٧]· وقد اظهر العلويون أقوى تمثيل بين الأقليات الدينية بنسبة ٢٣،٤٪·

وفى الفترة بعد نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠ ازدادت نسبة السنيين وأهل المدن مرة أخرى بالوزارات السورية والقيادات القطرية، وذلك على حساب أهل الريف وأعضاء الأقليات الدينية·

كما ازداد بشكل ملحوظ عدد الدمشقيين بين الأعضاء المدنيين السنيين بالقيادات القطرية ليصل إلى متوسط ٢٥٪ فى الفترة ما بين ١٩٧٠ - ١٩٨٠، رغم أن حزب البعث كان يفتقر دائماً لأتباع من أبناء العاصمة السورية· ويمكن تفسير ذلك بأن الرئيس العلوى الفريق حافظ الاسد قد تعاون فى هذه الفترة مع بعض كبار الضباط البعثيين الدمشقيين وحاول - أكثر من البعثيين السابقين الذين كانوا فى السلطة - أن يستميل سكان المدن إلى جانبه· بالإضافة إلى ذلك، اتبع الاسد سياسة اقتصادية وطنية أكثر تحرراً تجاه جزء من البرجوازية السورية· ففى "عهد صلاح جديد" (١٩٦٦ - ١٩٧٠) تم إتباع

---

٧ إن صلاح جديد - كما ورد آنفاً - كان مُدعماً بقوة من قِبل العديد من "القطريين" الذين تمتعوا بتمثيل قوى فى مناطق اللاذقية وحوران ودير الزور· (انظر الفصل الثانى الحاشية رقم ١٧ من هذا الكتاب)

أسلوب صارم تجاه البرجوازية السورية ومن تبقى من كبار ملاك الأراضى، الأمر الذى تلاشى إلى حد ما بعد ١٩٧٠ ·

العسكريون فى القيادات القطرية السورية

وتقدم دراسة الخلفيات الاقليمية والطائفية لأعضاء القيادات القطرية السورية العسكريين بعد ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ دليلاً أقوى على التمثيل المتزايد لأهل الريف والأقليات الدينية عن كلٍ من الوزارات والقيادات القطرية السورية بأكملها فى تلك الفترة·

ولقد شكل الضباط من منطقة اللاذقية أعلى نسبة تمثيل بين الأعضاء العسكريين وصلت إلى ٤٩٪، كما وصلت هذه النسبة ذروتها ٦٣،٢٪ فى "عهد صلاح جديد" (١٩٦٦ - ١٩٧٠)· وبالنظر إلى الأقليات الدينية، فإن تمثيل الضباط العلويين فى الفترة بعد ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ بالقيادات القطرية السورية كان على أشده، حيث وصل فى المتوسط إلى ٣٧،٧٪، يليه الدروز (٩،٤٪) ثم الاسماعيليون (٩،٤٪) (انظر جدول ٦ و ٧)·

ولقد تم تمثيل الضباط السنيين بنسبة ٤٣،٤٪، إلا أن ذلك، كما رأينا، لا يوضح مدى سلطتهم الحقيقية داخل القوات المسلحة· علاوة على ذلك، فإن معظم الضباط الذين نحن بصددهم - بعكس زملائهم المنتمين للأقليات المتماسكة - كانوا ينتمون إلى مناطق مختلفة· هكذا، أصبح من المستحيل تدعيم أو تقوية الولاءات الطائفية عن طريق الروابط الإقليمية المشتركة· ونتيجة لذلك، لم يكنٍ باستطاعة هؤلاء الضباط تشكيل كتلة قوة على أساس إقليمى كتلك التى كونها الضباط من أبناء الأقليات المتماسكة·

وليس هناك وجود للضباط المسيحيين بين الأعضاء العسكريين للقيادات القطرية السورية، رغم أنهم شغلوا فى بعض الأحيان مناصب رفيعة للغاية فى القوات المسلحة السورية· فقد كانت أهميتهم تكمن أساساً فى المجال العسكرى التقنى· أما فى المجال السياسى، فقد استطاعوا أن يلعبوا أدواراً هامة على المستوى الفردى وليس على المستوى الجماعى أبداً، إذ انتمى الضباط المسيحيون - حالهم حال السنيين - إلى مناطق مختلفة·

لقد قدمت الفصول السابقة وصفاً تفصيلياً لما انتهت إليه صراعات السلطة بين العسكريين البعثيين منذ ١٩٦٣ من تصفية أبرز جماعات الضباط السنيين (١٩٦٦)، والدروز (١٩٦٦)، والحورانيين (١٩٦٦ - ١٩٦٨)، والاسماعيليين (١٩٦٨ - ١٩٦٩)، لينتهى الأمر بتفوق بعض جماعات الضباط العلويين· ويمكن تتبع هذه التصفيات من خلال بنية القيادات القطرية السورية·

وبعد ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦ تم إزاحة آخر ضابط سني من حلب (أى أمين الحافظ) وآخر الضباط الدروز (أى سليم حاطوم وحمد عُبيد)· ولم يعد للضباط الحورانيين تمثيل بالقيادة القطرية منذ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٦٨، أو للضباط الاسماعيليين منذ مارس (أذار) ١٩٦٩ · كما لم يبق بعد هذا التاريخ ضباط غير العلويين والسنيين كأعضاء عسكريين، مع تمتع العلويين بالتفوق التام وتمثيلهم لكتل الجيش القوية، بينما لم يكن هذا هو الوضع بالنسبة للضباط السنيين، رغم تفوقهم العددى البسيط على الضباط العلويين بالقيادات القطرية· ويمكن تفسير انتخاب رفعت الاسد عضواً بالقيادة القطرية السورية فى ابريل (نيسان) ١٩٧٥ بأنه انعكاس لإعتماد الرئيس حافظ الاسد إلى حد كبير بعد ١٩٧٠ على ضباط من عائلته الشخصية أو عشيرته أو أبناء المناطق المجاورة لقريته·

الفصل السابع

التحريض الطائفي والمواجهة

"لقد كان اللواء (العلوى) صلاح (جديد)، بعد أن متن قواعده فى الجيش، اذكى من أن يطرح السلاح الطائفى· بل كان يستفيد من الطرح (السنى) المعاكس، ليثبت أنه أصدق حزبية وقومية من الذين يطرحون هذا الشعار· ومع ذلك فلست ادرى أيهما أكبر جريمة: الذى يصنع الطائفية أم الذى يكشفها؟!"

منيف الرزاز، التجربة المرة، ص ١٦٠ ·

التحريض الطائفى : مذبحة حلب

اظهر الفصل الخامس أن سلسلة طويلة من الاغتيالات السياسية والهجمات على القادة السياسيين البعثيين بدأت فى سوريا بعد تدخلها العسكرى في لبنان عام ١٩٧٦ · وقد كان معظم المغتالين من العلويين، ولم يكن واضحا فى البداية من هو وراء الاغتيالات، بيد أنه تبين بعد المصالحة السورية العراقية المؤقتة فى اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٨ أن المسئولية تقع على مجموعات معارضة من المسلمين السنيين المتطرفين الذين امتعضوا - ضمن أمور أخرى - مما اعتبروه طابع النظام السورى العلوى الطائفى القمعى "المعادى للإسلام" و "الكافر"· وقد ادعت مجموعة تطلق على نفسها اسم "المجاهدين" وتتكون فيما يبدو من إخوان مسلمين - وإن لم تكن مطابقة تماما لتنظيم الاخوان المسلمين السورى - مسئوليتها عن الاغتيالات· وقد افصحت هذه الجماعة عن نفسها وعن بواعثها فى مقالة افتتاحية فى نشرتها السرية "النذير" تحت عنوان "المجاهدون: من هم وماذا يريدون؟"·

منذ ثلاث سنوات، وبتاريخ ٨ شباط (فبراير) ١٩٧٦ بالضبط[١]، انطلقت أول رصاصه فى سبيل الله تفتح الباب للجهاد المنظم، الذى بدأ يؤتى ثماره الخيرة فى الأيام

---

١ قارن الاهرام، ١٣ فبراير (شباط) ١٩٧٦، حيث تم ذكر نبأ اغتيال الرائد محمد غـرة، مدير الأمن بحماة·

الأخيرة، ولكن تلك الرصاصة الأولى كانت ثمرة معاناة مريرة طويلة من الظلم والارهاب. كانت سجون سوريا تعج بالمعتقلين المسلمين (السنيين) ... وكانت زبانية القمع والعسف تصول وتجول فى الاحياء الشعبية والمدارس والجامعات، وكانت الحريات العامة والحقوق المدنية تداس بالاقدام ...

على ان المحنة تبلغ أشدها حين يكون الاضطهاد مركزاً على المسلمين (السنيين) وعلى الدين الاسلامى بالذات: من مساجد تهدم، وعلماء يعتقلون، ومناهج تربوية تعطل، ومدارس شرعية تغلق، ومن توجيه إعلامى وتعليمى إلحادى انحلالى يُنشر، ومن تسلط حزبى طائفى متزايد، ومن تحضير نفسى وعسكرى لتهديم الجيش والقوات المسلحة وتسليم البلاد لليهود (أى، اسرائيل) لقمة سائغة، ومن إحلال للمليشيات الحزبية الطائفية (العلوية) محل القوات المسلحة النظامية، ومن نهب لثروات الأمة بالرشى والابتزاز والتجارة المشبوهة والصفقات الريبة والإثراء غير المشروع لحفنة قليلة على حساب الأكثرية المسحوقة.

ان تاريخ سوريا الحديث لم يشهد استبداداً وفساداً فكرياً ولا إدارياً كالذى يشهده اليوم فى ظل نظام حافظ أسد وعصابته المغامرة، لذلك كان لزاماً أن ينبعث من رقاد العدم الأموات، وان تنشط الهمم والنخوات، وان يعلو صوت: "الله أكبر؛ حى على الجهاد": "أُذِنَ للذين يُقاتلون بأنهم ظُلِموا وإن الله على نصرهم لَقدير." (سورة ٢٢ - ٣٩).

فالمجاهدون فتية آمنوا بالله رباً وبالاسلام ديناً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً، وبذلوا نفوسهم فى سبيل الله رخيصة ليفتدوا دينهم وأمتهم مما هى فيه من ظلم وكفر وبغى وعدوان، وليعملوا على رفع كلمة "لا اله الا الله" وتحكيم الشريعة السمحاء رحمة بالناس أجمعين وبالشعب السورى بالذات؛ بعد أن جربوا مختلف السبل ولم يبق الا الجهاد[٢].

ولم يترك المجاهدون مجالاً للشك فى رأيهم فى العلويين فى مقالات أخرى نشروها فى النذير بصفتها "صوت الثورة الاسلامية"، فقد أشاروا إليهم

---

[٢] النذير، العدد ٢، ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩، ص ١٠ انظر أيضاً البعث، ٢٨ يونيو (حزيران) ١٩٧٩؛ وأيضاً

Eric Rouleau, 'Le Mécontentement Populaire Favorise le Renouveau de l'Islam Intégriste', Le Monde, 20 April 1979.

ولدراسة حول الجهاد انظر

Rudolph Peters, Islam and Colonialism. The Doctrine of Jihad in Modern History (The Hague, 1979).

بـ "العدو النصيرى (أى العلوى)" و "الكفرة النصيريين المارقين عن ملة الإسلام"، وأعلنوا "ان المجاهدين يخوضون أشرف المعارك ضد الإلحاد (العلوى) الحاكم فى سوريا" ووصفوا صراعهم ضد النظام على أنه "بين الأغلبية المسلمة (السنية) المكبوتة والأقلية النصيرية الكافرة"[٣]. وفى موقع آخر اتهم المجاهدون العلويين بأنهم "جعلوا من الإسلام عدوهم التقليدى"[٤].

ومن الواضح أن هدف المسلمين السنيين المتطرفين كان استقطاب عداءات المجتمع السورى حول المحور الطائفى، ولم يظهروا تمييزاً فى اختيارهم للهدف: فيبدو أنه كان يكفى أن يكون الضحايا علويين، سواء كانوا بعثيين أم لا[٥].

ومن أسوأ الحوادث تلك التى وقعت فى ١٦ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ فى مدرسة المدفعية بحلب، عندما أُغتيل ما لا يقل عن ٣٢ طالباً عسكرياً وأُصيب ٥٤، وقيل أن معظم الضحايا كانوا من العلويين[٦]، بيد أن وزير الاعلام السورى

---

٣ النذير، العدد ١، ٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩، ص ٣ .

٤ النذير، العدد ٦، ٨ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٩، ص ١ .

٥

David Hirst, 'Campaign of Terror is Leading to War', Guardian, 8 October 1979.

٦

David Hirst, 'Divisive Rulers Threaten to Send Syria along Road to Civil War', Guardian, 26 June 1979;

البعث، ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٩، ١ يوليو (تموز) ١٩٧٩ . قارن النذير، العدد ١٠، ١ فبراير (شباط) ١٩٨٠، ص ١٠ - ١١، حيث زعم أنه أثناء مذبحة حلب كان عدد السنيين من مدرسة المدفعية ٦٠ فقط من بين ٣٢٠ طالباً عسكرياً والبقية علويون. ورغم أن ارتفاع نسبة الطلبة العسكريين العلويين أمر لا يدعو للدهشة، إلا أنه غير محتمل ألا يكون هناك سوى سنيين وعلويين. وبينما أشارت النذير إلى "النسبة المرتفعة" للطلبة العسكريين السنيين بكليات القوات الجوية، إلا أنها علقت أيضاً على الإلتزام التام بإجراءات القبول بها. قارن حقائق عن الطائفة النصيرية فى سوريا، ص ٩؛ الإخوان المسلمون ... يكشفون حقيقة الأوضاع فى سوريا، ص ٦ . وقد وقعت عدة اغتيالات أخرى، منها اغتيال زعيمين علويين بارزين بمدينة اللاذقية فى أغسطس (آب) ١٩٧٩، وهما الشيخ يوسف صارم ونادر حصرى، مما أشعل فتيل التصادمات الطائفية بين العلويين والسنيين، والتى قيل أنه تم إخمادها بعنف من

أحمد اسكندر أحمد نفي ذلك وأعلن ان من بين الضحايا مسيحيين ومسلمين سنيين[٧]. وبالرغم من احتمال صحة أن القتلي والجرحي لم يكونوا جميعا علويين، إلا أنه كان من الهام بمكان أن الرأى العام اعتقد أن الأمر هكذا. ولا شك أن هذا كان هدف القتلة، لأن مثل هذا الإعتقاد كان يشجع الاستقطاب الطائفى وبالتالى كان يزعزع النظام البعثى الذى يسيطر عليه العلويون[٨]. وقد جاء فى كلمات نائب أحد زعماء ما سمي بـ "الإخوان المسلمين" فى سوريا، والذى اجبر بعد اعتقاله على "الإعتراف" فى التلفزيون بدمشق: "كان لا بد لهذه الأعمال أن تؤدى لشق الجبهة الداخلية وزرع الطائفية، مثلما حدث فى لبنان"[٩].

ومن الجوانب المخيفة لمذبحة حلب الجماعية أنها اظهرت تغلغل السنيين النشيطين فى الجيش، والذين بلغت كراهيتهم للسيطرة العلوية حد استعدادهم للقتل. ولم يهدىء من روع النظام حقيقة أن الضابط (السنى) الذى قاد مذبحة حلب كان نفسه عضوا فى حزب البعث[١٠].

قبل القوات المسلحة بقيادة رفعت الأسد. كما قيل أن قوى الأمن المحلية التى كان يسيطر عليها العلويون قد تحيزت للطائفة العلوية، مما صعّد البعد الطائفى للتصادمات. قارن نضال الشعب، ملحق للعدد ٢١٠، منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩.

٧

Financial Times, 28 June 1979.

٨

Hirst, 'Divisive Rulers', 'Campaign of Terror' and 'Heads must Roll if Assad Clean-up Succeeds', Guardian, 26 June, 8 and 9 October 1979.

٩ اذاعة دمشق، ٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩.

١٠

Hirst, 'Divisive Rulers', Guardian, 26 June 1979;

النهار، ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٩؛

'Vague d'Agitation Confessionnelle en Syrie', Le Monde Diplomatique, October 1979;

الإخوان المسلمون ... يكشفون حقيقة الأوضاع فى سوريا، ص ٦؛ حقائق عن الطائفة النصيرية فى سوريا، ص ٩؛ حزب الاتحاد الاشتراكى العربى فى سوريا، القطر السورى يمر بأزمة وطنية خطيرة (نشرة داخلية خاصة بالأعضاء فقط، دمشق، ١٩٧٩).

وقد اتهم وزير الداخلية السورى فى بيان رسمى صدر فى ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ الإخوان المسلمين بالتورط فى الاغتيالات، كما أوحى بوجود علاقة مباشرة بين الإغتيالات والمعارضة الخارجية لرفض سوريا فكرة اتفاقية جزئية مع اسرائيل مماثلة لتلك التى أقبل عليها الرئيس المصرى السادات مع هذه الدولة:

لقد تحرك هؤلاء بعد اتفاقية سيناء (المصرية الاسرائيلية الموقعة فى سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥) مباشرة وتصاعدت أعمالهم الاجرامية بعد زيارة السادات للقدس (فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٧) ثم بعد توقيع اتفاقيات الذل والعار مع العدو الصهيونى. وبدأوا بمسلسل الاغتيالات فى بعض المدن السورية وفى حلب وفى حماة وفى دمشق. وكان من ضحاياهم أبرياء يعملون فى شتى الاعمال الوظيفية وفى مؤسسات الدولة المختلفة.

وكانت آخر جريمة لهم تلك التى حدثت فى مدرسة المدفعية فى حلب. لقد تمكنوا من شراء عنصر من عناصر القوات المسلحة هو النقيب ابراهيم يوسف من مواليد تادف - احدى قرى محافظة حلب. واستخدموا وجوده فى المدرسة ونفوذه فى يوم كان فيه هو الضابط المناوب فى المدرسة. واستطاع مساء يوم السبت الواقع فى السادس عشر من هذا الشهر ان يدخل الى المدرسة عددا من المجرمين من جماعة الاخوان المسلمين ويدعو الطلاب الضباط الى اجتماع عاجل يعقد فى الندوة وعندما هرعوا من مهاجعهم تنفيذا لامره واصبحوا فى قاعة الندوة الطلابية امر اعوانه من المجرمين الذين ادخلهم من خارج المدرسة بفتح النار على الطلاب الشباب العزل فى القاعة المغلقة وذلك بالرشاشات وبالقنابل اليدوية وسقط خلال دقائق معدودات اثنان وثلاثون شهيدا واربعة وخمسون جريحا.

هل يمكن ان نتصور ان هؤلاء الذين قتلوا فتياننا فى ريعان الشباب يتدربون ليذهبوا بعد قليل الى خنادق القتال ويتصدوا للعدوان الاسرائيلى ويستشهدوا برصاص العدو دفاعا عن ارض وطننا الطاهرة وعن كرامة امتنا. هل يمكن ان نتصور ان هؤلاء المجرمين مواطنون فى وطننا؟ هل يمكن ان نتصور ان هؤلاء يرتبطون بهذا الوطن بأضعف الروابط التى يمكن ان تربط اى انسان بوطنه؟ هل يمكن ان نتصور ان عملا كهذا العمل يمكن ان يكون الا خدمة لاسرائيل ولكل أعداء امتنا؟[11].

وفور وقوع مذبحة حلب انطلقت حملة بطول البلاد وعرضها لاستئصال تنظيم الاخوان المسلمين، بدأت باعدام ١٥ عضوا بالتنظيم كانوا بالسجون.

---

١١ اذاعة دمشق، ٢٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٩؛ البعث، ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ .

وقد نص قرار محكمة أمن الدولة العليا فى ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ على "ان الامبريالية والصهيونية حرضتا عملاءهما فى بلادنا على ارتكاب اعمال اجرامية من قتلٍ وتدميرٍ وبذر بذور الفتنة بين أبناء شعبنا، كل ذلك تحت ستار الدين، وهو منهم براء" كما اتهم القرار "السادات والصهيونية" بأنهما "اعتمدا على عصابة الاخوان المسلمين" من أجل "تحقيق هدف السادات فى تسديد ضربة للوحدة الداخلية"[١٢].

الدعاية الاعلامية المضادة للطائفة العلوية

لم تكن الاتهامات السورية بأن الرئيس السادات قد قام بمحاولة تقويض الوحدة السورية الداخلية بدون أساس من الصحة، فمنذ الخلاف المصرى السورى حول توقيع مصر للاتفاقية الثانية لفصل القوات فى سيناء مع اسرائيل فى سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ قام الرئيس السادات -مدعماً بوسائل الإعلام المصرية - بتكريس قدر كبير من الانتباه والدعاية الاعلامية الى ان البعث السورى كان يقع تحت سيطرة العلويين[١٣]. وقد تفوقت مصر فى ذلك على محطات الاذاعة الإقليمية الأخرى، والتى كانت وقتئذ أشد عداءً لسوريا: اذاعة اسرائيل وصوت لبنان غير الشرعى الذى كان يديره حزب الكتائب

١٢ اذاعة دمشق، ٢٧ يونيو (حزيران) ١٩٧٩. تجدر الملاحظة بأن الاخوان المسلمين فى سوريا قد أدانوا بشدة تعاملات الرئيس السادات مع اسرائيل. (قارن
Johannes Reissner, 'Die Andere Ablehnungsfront: Stimmen Radikal-islamischer Kreise zur Friedensinitiative Anwar as-Sadats', Orient, Vol. 21, No. 2, June 1979, pp. 19-41.)
اذاعة القاهرة، ١٠ يوليو (تموز) ١٩٧٩، علقت على الحملة ضد الاخوان المسلمين فى سوريا بالآتى: "لقد حاولت السلطات السورية إلقاء لوم المذبحة على الاخوان المسلمين لصرف الانظار عن الصراع الخفى بين العلويين والسنيين داخل الحزب السورى ... ان اعضاء تنظيم الاخوان المسلمين الذين اعدموا مؤخراً كانوا معتقلين بالسجون السورية منذ ١٩٧٧ ولم يكن لهم أية علاقة بحادثة مدرسة المدفعية". لقد تم اتهام ثلاثة من المعدومين علناً بتنفيذ اغتيالات فيما مضى. من أجل دراسة عن الاخوان المسلمين فى سوريا انظر
Johannes Reissner, Ideologie und Politik der Muslimbrüder Syriens. Von den Wahlen 1947 bis zum Verbot unter Adib ash-Shishakli 1952 (Freiburg, 1980).

١٣ انظر الفصل الخامس. توقفت قليلاً الهجمات الاعلامية بين مصر وسوريا عام ١٩٧٦ عندما تحسنت العلاقات الثنائية مؤقتاً.

اللبنانية المارونية[١٤].

وقد اشار الرئيس السادات فى العديد من خطاباته الى النظام السورى بـ "البعث العلوى"[١٥]. وتمادى فى ١ مايو (ايار) ١٩٧٩ الى أبعد حد فى تهجمه على البعثيين العلويين الحاكمين فى سوريا، مهاجما بعنف الطائفة العلوية ككل، دون أى تمييز بين البعثيين وغير البعثيين:

كنت مستعداً أن أتحدث من أجل الجولان، ولكن لا ... سأترك هؤلاء العلويين القذرين يتحدثون من أجلها. ان هؤلاء الناس فقدوا كل معانى الحياة، ولكن، والله سأتركهم أمام شعبهم فى سوريا ودعهم يحلونها. سنرى ماذا سيحققون. كان بمقدورى ارجاع الجولان لهم ولكننى لست مسئولاً عنها ما دام العلويون فى السلطة ... كلنا نعلم من هم العلويون فى نظر الشعب السورى، سيتعامل معهم الشعب السورى، وبعد ذلك ستكون الأشياء مختلفة. ان موقف سوريا - لا يصلح أن نقول سوريا لأن الشعب السورى لا قوة له فى هذا - ان موقف العلويين معروف ... لقد قال لى (الملك) فيصل (ملك المملكة العربية السعودية) إن حافظ الاسد علوى وبعثى وأحدهما ألعن من الآخر ... كما قال لى فيصل كيف تضع يدك فى يد البعثيين السوريين؟ الاسد علوى وبعثى وأحدهما ألعن من الآخر[١٦].

الى جانب الطائفية التى مارسها أعضاء النظام البعثى، قد تكون كل هذه الدعاية الاعلامية قد ساعدت فى التحريض على المزيد من القلاقل الطائفية والتوترات وإثارة التصادمات الطائفية. لقد كان لاذاعة القاهرة قاعدة عريضة من المستمعين فى العالم العربى، ولو من باب الاهتمام بأخبار التعاملات بين مصر واسرائيل. وقد علقت صحيفة الأخبار القاهرية على مذبحة حلب فى مقالة افتتاحية بعنوان "بحر الدم الذى تعيشه سوريا" تعليقاً ينسجم مع الدعاية الاعلامية المصرية التى تصف حزب البعث الحاكم بالطائفية العلوية:

---

١٤ لم يستغل البعثيون العراقيون فى حملاتهم الاعلامية ضد النظام السورى المسألة الطائفية ولم يذهبوا أبعد من التركيز على الروابط العائلية بين بعض قادة النظام. قارن الفصل الخامس، الحاشية رقم ٣٧ .

١٥ انظر على سبيل المثال مجلة اكتوبر، ٢٦ مارس (آذار) ١٩٧٨؛ الاهرام، ٦ ابريل (نيسان) ١٩٧٩، ١٥ مايو (ايار) ١٩٧٩، ٦ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ .

١٦ اذاعة القاهرة، ١ مايو (ايار) ١٩٧٩ .

اذا جاءت أخبار هذه المذبحة مفاجئة للبعض وأثارت الخوف والذعر، فإنها لم تكن مفاجئة لأولئك الملمين بحقائق الوضع في سوريا وبالأعمال الوحشية التي يرتكبها الحكم البعثي العلوي ضد الشعب السوري. لقد كانت هذه المذبحة حلقة في سلسلة طويلة من الجرائم والاغتيالات وأعمال القمع والإكراه التي يلجأ إليها حزب البعث العلوي لإذلال الشعب السوري وحماية نظامه، ولم يكن هناك بد من أن يثور الشعب السوري ضد مثل هذا الإذلال دفاعاً عن النفس.

وقد قال وزير الداخلية البعثي في بيانه الذي أصدره للدفاع عن نفسه ان المذبحة كانت آخر الجرائم فيما أسماه مسلسل التآمر على سوريا، الذي يُحاك بأكمله خارج البلاد. ومن الطبيعي أن يختلق وزير بعثي مثل هذه الإدعاءات.

لكن الحقيقة، حقيقة المأساة التي يعيشها الشعب السوري، والأحوال والظروف المحيطة بمذابح حلب معروفة لكل الشعب الآن. لقد كان معظم ضحايا المجزرة والبالغ عددهم أكثر من ٥٠ قتيلاً وعشرات الجرحى من العلويين، أي من نفس الفئة التي ينتمي إليها حزب البعث، وحزب البعث يمثل فقط أقلية صغيرة لا تزيد على ١١٪ من الشعب.

ووفقاً لوكالات الأنباء، فقد كان الانتقام من العلويين هو الدافع وراء المذبحة، حيث تعمَّد مرتكبوها استهداف تجمع ضخم للعناصر العلوية في الجيش. وقد وقعت المذبحة منذ عشرة أيام لكنها أُبقيت سراً ليتمكن حماة النظام العلوي من الاستمرار في تقتيل أهوج لغير العلويين أو السنيين، وذكرت وكالات الأنباء ان معظم الذين قُتلوا مؤخراً كانوا من السنيين وأن القتل الانتقامي لمذبحة العلويين في حلب مستمر، ونتيجة لذلك، فإن سوريا مهددة بأن تصبح ضحية للصراع الطائفي ولحرب أهلية داخلية مشابهة للحرب الاهلية اللبنانية[١٧].

وفي محاولة لمجابهة الحملة الاعلامية الطائفية والقلاقل التي أحاطت مذبحة حلب، ولتوسيع التأييد لحملة النظام البعثي ضد الاخوان المسلمين، علق الرئيس حافظ أسد في ٣٠ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ للمرة الأولى بشكل علني على حادث حلب وأسهب في موقف حزب البعث من الدين والسياسة:

ان العروبة تربط بين جميع ابناء هذا البلد، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعتز بالعروبة كما يعتز بالاسلام، والوطن يفقد معناه كوطن اذا لم يعش فيه المواطنون متساوين، وهذه المساواة من صميم الاسلام، ونحن نقود البلد باسم حزب

---

١٧ الأخبار، ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٧٩.

البعث العربي الاشتراكي، وانا اقود بصفتي أمينا عاما للحزب ورئيسا للجمهورية، وليس باسم دين او طائفة، مع أن الاسلام هو دين الاكثرية، وشعارات الوحدة والحرية والاشتراكية يؤمن بها البعثي كما يؤمن بها كل من يؤمن بوطنه ··· ان الذين يأخذون من الدين الصور والمظاهر، ويبتعدون عن جوهره ويجمدون عند هذا الحد، إنما يجعلون من الدين معيقا للتقدم وقد أكدنا منذ بدء الحركة التصحيحية (فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٠) أن الدين محبة وعمل وانجاز، وأن الاساس هو أن تكون هناك قيم واخلاق، وقد عملنا كل ما من شأنه أن يعز الدين ويرسخ قيمه فى النفوس وأكدنا أن الاسلام دين حياة وتقدم· ولكننا الآن بصدد مؤامرة على بلدنا وبصدد عمل اجرامى لم يرتكبه شخص حقود فنقول انها نزوة فردية ونضرب صفحا عنه، وانما ارتكبه تنظيم سياسى اسمه جماعة الاخوان المسلمين، وله سياسة مقررة هى سياسة القتل، وهو يقف هذا حتى ولو كنا ملائكة بل انه يعتبر ثلث الناس غير مسلمين (أى العلويين والدروز والاسماعيليين والمسيحيين)، أى أنهم يريدون احتكار الاسلام لانفسهم مع انه ليس من حق اى حزب ان يحتكر الاسلام او اى دين من الاديان ···

ان هؤلاء استغلوا جو الحرية لإغواء بعض الناشئة وليدفعوهم الى درب الجريمة وليجعلوا منهم أعداء للإسلام، ولا يمكن التساهل مع هذه الجماعة التى ارتكبت أعمال القتل وارتكبت مجزرة من أبشع ما عرف تاريخ العرب والاسلام، ولا يمكن التساهل مع من يفعلون ذلك باسم الاسلام ···

فلا الاغتيالات يمكن أن تقلب النظام، ولا يمكن أن نسمح بأى عمل طائفى، ولكنهم اتخذوا قرارهم فى عام ١٩٧٥ عندما اتضح الخط الفاصل بيننا وبين نظام السادات، فكان قرارهم تطبيقا لاستراتيجية هدفها اثارة الاقتتال الطائفى كما ذكروا فى افاداتهم ··· والذين يثيرون الطائفية لا بد من معاقبتهم وتصفية منظمتهم فى سوريا، لانهم ضد حركة التقدم وضد حركة التاريخ، ولا بد أن يوضع حد نهائى لأعمالهم·

ثم انهى الرئيس الاسد كلمته بحث الشعب على هجر كل تغريض طائفى:

ان الاسلام والمسلمين شىء وهذه الجماعة شىء آخر· ان حزب البعث العربى الاشتراكى حزب قومى اشتراكى لا يفرق بين دين وآخر، وانى كمسلم مؤمن اشجع على الايمان واشجع على مكافحة التزمت والتعصب، فهما يتناقضان مع حقيقة الدين، وانا اعتقد أن المسلم الحقيقى هو أخو المسلم والمسيحى، وأن المسيحى الحقيقى أخو المسيحى والمسلم، وهذا مصدر قوة لنا اذا فهمنا الدين، ولو لم تكن سوريا

دائماً فوق الطائفية لما كانت سوريا موجودة الآن[١٨].

وبشكل عام، بدت الحملات الاعلامية للنظام التى تلت ذلك وحملة النظام لاستئصال الاخوان المسلمين فظة وحادة للغاية، حتى أنها أثارت عداوة الشق الاعظم من الشعب المخلص بدلاً من أن تثير تعاطفهم. فعلى سبيل المثال، أدى وصف الرئيس الاسد للاخوان المسلمين بأنهم "خونة ومرتدين وهراطقة" على ما يبدو إلى تأثير معاكس، حرض بشكل خاص معظم السنيين المسلمين من الشعب على الابتعاد عنه. إن عباراته "اللهم العنهم واسلامهم. لن يضمنا اسلام واحد معهم. انهم قتلة الاسلام والمسلمين. انهم خوان الاسلام والمسلمين"[١٩]. وكان ينطبق هذا أيضاً على أقوال أخيه رفعت وبعض القادة البعثيين الآخرين الذين تلاعبوا بالألفاظ وأطلقوا فى خطاباتهم العامة على الإخوان المسلمين لقب "خوان المسلمين"[٢٠].

وقد ادعى الإخوان المسلمون - ولديهم ما يبرر ذلك - ان حملة النظام الاعلامية ضدهم قد ساعدت على تقوية مركزهم: "ان قرار النظام باتهام الإخوان المسلمين (بالاغتيالات) واسلوبه الشائن فى اتهامهم، بالإضافة الى دعايته الساذجة ضدهم، لا تعنى إلا ترشيحهم لقيادة الشعب السورى لإنقاذه من محنته الكبرى"[٢١].

لقد حدث بعد ذلك فى اوائل ١٩٨٠ اضطرابات مدنية دامية بطول البلاد

---

١٨ اذاعة دمشق، ٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٩؛ البعث، ١ يوليو (تموز) ١٩٧٩ .

١٩ خطاب الرئيس الاسد فى الجلسة الافتتاحية للمؤتمر القطرى السورى السابع لحزب البعث بدمشق، اذاعة دمشق، ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٩ . قارن النذير، العدد ١١، ٢١ فبراير (شباط) ١٩٨٠ . للإطلاع على تعليق المجاهدين على خطاب الاسد فى ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٩ انظر النذير، العدد ٩، ص ٢٦-٢٧، فقد علقوا على وصف الاسد للإخوان المسلمين بأنهم "هراطقة" بالآتى: "ان كلمة "هراطقة" عادة لا يستعملها المسلمون إلا فى وصف النصيريين وأمثالهم من الزنادقة".

٢٠ البعث، ٢٩ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٩ .

٢١ الإخوان المسلمون ... يكشفون حقيقة الأوضاع فى سوريا، ص ٦ . قارن صلاح الدين البيطار، "سؤال الساعة: ما هو البديل؟"، الإحياء العربى، العدد ١٦، ١٩ مايو (ايار) ١٩٨٠ .

وعرضها، و يبدو أنها تمت بتحريض من المتطرفين السنيين، وقد لاقت التأييد لعدة أسباب من قبل عدد كبير من الشعب المحافظ المتدين٠ وقد سارع قادة النظام عندئذ الى القول بأنهم يعتبرون فئة محدودة من جماعة الإخوان المسلمين هى المسئولة عن الاغتيالات واثارة القلاقل، حيث صرح الرئيس الاسد فى ٢٣ مارس (آذار) ١٩٨٠ بالآتى:

اريد ان اوضح امرا يتعلق بحزب الاخوان المسلمين في سوريا٠ الاخوان المسلمون في سوريا ليسوا جميعا مع القتلة٠ بل كثير منهم، القسم الاكبر منهم ضد القتلة ويدين القتل، وهذا القسم يرى انه يجب ان يعمل من أجل الدين ورفع شأن الدين لا من اجل اى هدف آخر٠ هؤلاء ايها الشباب، لا خلاف لنا معهم اطلاقا، بل نحن نشجعهم، نحن نشجع كل امرىء يعمل من أجل الدين ومن أجل تعزيز القيم الدينية٠ ولهؤلاء الحق، بل وعليهم واجب، ان يقترحوا علينا وان يطالبونا بكل ما من شأنه خدمة الدين ورفع شأن الدين٠ ونحن لن نقصر، بل لن نسمح لاحد بأن يسبقنا فى هذا المجال٠ ونحن نشجع من يعمل من أجل الدين، ونحارب من يستغل الدين لأهداف غير دينية ونحارب الرجعيين الذين يحاولون ان يستغلوا المتدينين فى بلادنا لمصالحهم وأغراضهم السياسية القذرة[٢٢]٠

وفى ابتعاد واضح عن العلمانية التى درج عليها البعث، والتى تفصل بين الدين والسياسة فصلا تاما، استهل الرئيس الاسد في هذه الفترة بعض خطاباته بعبارات دينية مثل "الله أكبر"، بل واستشهد بآيات من القرآن ليؤكد بعض حججه[٢٣]٠ وفى بعض المناسبات اعتبر الرئيس انه من الضرورى التصريح علنا بأنه مسلم، وذلك على ما يبدو لأن معظم السكان السنيين كانوا يعتقدون ان العلويين ليسوا مسلمين، ولهذا السبب وحده كان لديهم شك كبير فى شرعية حكم الاسد[٢٤]٠

---

٢٢ اذاعة دمشق، ٢٣ مارس (آذار) ١٩٨٠ ٠ قارن المقابلة مع الرئيس الاسد فى الرأى العام الكويتية والتى أذاعتها اذاعة دمشق، ٩ مارس (آذار) ١٩٨٠ ٠

٢٣ اذاعة دمشق، ١٧ و ٢٣ و ٢٩ مارس (آذار) ١٩٨٠ ؛البعث، ١٨ مارس (آذار) ١٩٨٠ ٠

٢٤ خطاب الرئيس الاسد، اذاعة دمشق، ٨ مارس (آذار) ١٩٨٠ ٠ قارن النذير، العدد ٢، ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩، ص ٢٣-٢٥؛ العدد ٣، ٧ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٩، ص ٣؛
R. Stephen Humphreys, 'Islam and Political Values in Saudi Arabia, Egypt and Syria', The Middle East Journal, Vol. 33, No. 1, Winter 1979, pp. 15-18; Michael C. Hudson, Arab Politics. The Search for Legitimacy (New Haven and London, 1977), pp. 251-67, 395, 397.

وقد يكون حقاً أن الرئيس الاسد وأبرز رفاقه العلويين البعثيين قد اعتبروا انفسهم فوق الطائفية من حيث المبدأ. وحتى لو افترضنا نظرياً ان القادة البعثيين ذوى الأصل العلوى لم يكن لديهم ميول طائفية ولم يتحيزوا عمداً أثناء الصراع على السلطة على أسس عشائرية أو اقليمية، مثلما حدث فى المراحل الأولى من ثورة ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣، فما كان لهذا كله أن يمنع مرؤوسيهم ومؤيديهم وعملائهم العلويين من التمسك بالدوافع الطائفية فى تأييدهم لقادتهم. فهؤلاء كانوا سينظرون الى قادتهم ليس كرؤساء بطون أو افخاذ من نفس العشيرة أو المنطقة فحسب، بل أيضاً - ولا سيما أثناء الأزمات التى لعبت فيها التوترات الطائفية دوراً هاماً - كرفاق علويين يقودون هذا الشق من الطائفة العلوية الذى ينتمون اليه ويمثلونه ويحمون المصالح العلوية اذا لزم الأمر.

علاوة على ذلك، يبدو أن العديد من العلويين الذين لم يكن لديهم دوافع ايديولوجية قد "اتخذوا البعثية أداة للتسلط"[٢٥]، ليستفيدوا من النظام الذى يمثله عدد كبير جداً من أبناء طائفتهم وعشيرتهم وأقاربهم، وإن كان فى كثير من الأحيان لأسباب مختلفة تماماً.

تهديدات الحرب الأهلية الطائفية

رغم عدم صحة القول بان "الطائفة العلوية" كانت تحكم سوريا أثناء تلك الفترة (أو أى فترة سابقة)، ولم يمنع الكثير من غير العلويين (وحتى بعض العلويين) من وصف النظام بمثل هذه العبارات[٢٦]. وهذا هو بالضبط ما حاول

٢٥

Hirst, 'Campaign of Terror', Guardian, 8 October 1979.

٢٦ قارن نشرة داخلية أصدرتها اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السورى (أى، جماعة رياض الترك المعارضة للنظام) فى أوائل يونيو (حزيران) ١٩٧٩، والتى أعطت التحليل التالى للوضع: "لأننا وطنيون، فإننا نتألم لأن رايات الطائفية ترتفع فى بلادنا، وهو ما فشلت (حتى) فرنسا فى تحقيقه ... ويبدو أن أساليب النظام الطائفية تشكل أعظم خطر على البلاد، ولكننا عند معالجتها يجب أن نفرق بينها وبين وضع الطائفة العلوية، لأن تلك الطائفة لا تحكم البلاد،

أن يشجعه المتطرفون السنيون المعارضون للنظام البعثى السورى، والذين كانوا وراء اغتيال العلويين• فقد حاولوا بالتحريض المتعمد للاستقطاب الطائفى أن يصوروا النظام على أنه طائفى بحت، وذلك لكسب تأييد واسع من الأغلبية غير العلوية من المواطنين ضد النظام البعثى الذى يسيطر عليه العلويون• وهكذا، حاولوا فرض مواجهة طائفية مباشرة بين الأقلية العلوية والأغلبية السنية، معتبرين أنه باستطاعتهم أن ينالوا تأييدهم على أساس تفوقهم العددى• بيد أننا إذا أخذنا فى الإعتبار أن عدد العلويين السوريين كان يقارب المليون وأن العديد منهم كانوا يحتلون مراكز سلطة حساسة بالجيش والشرطة وقوى الأمن، فمن المتوقع أن تكون مثل هذه المواجهة الطائفية دموية وعنيفة للغاية وغير مضمونة النتائج• ولا شك أن الكثير من العلويين - بمن فيهم العديد ممن عارضوا النظام منذ البداية - كانوا سيشعرون بالتهديد من قِبل الأغلبية السنية وبالتالى - وبغض النظر عن صدق هذا الشعور أو عدم صدقه - كانوا سيشعرون بضرورة التماسك معاً من أجل الحفاظ على كيانهم، خوفاً من التفرقة السياسية والاجتماعية الاقتصادية على أسس طائفية، مثلما كان الوضع قبل التحرر الوطنى السريع للعلويين والأقليات الأخرى الذى أعقب الاستيلاء البعثى على السلطة فى ١٩٦٣ •

وبالرغم من هذه الاحتمالات الخطيرة والدموية، إلا أن المتطرفين السنيين بدوا على استعداد لدفع البلاد إلى حرب أهلية على الطريقة اللبنانية، إذا ما بدت هذه الوسيلة هى الوحيدة لإسقاط نظام الاسد• وبهذا المعنى فى نفوسهم كانت استراتيجيتهم المعلنة فى أوائل ١٩٨٠ هى تصعيد أعمال العنف ضد النظام فى محاولة لإجبار قادة النظام على توريط الجيش النظامى فى قتال ضد الشعب، بحجة أن الجيش "معظمه من السنيين، وبالتالى يمكن إضعاف

مثلها مثل الطائفة السنية التى لم تحكم البلاد فى الماضى• إن من يحكم البلاد هم طبقات ومجموعات إجتماعية وأسر• أما الطوائف الدينية فهى تضم الفقراء والعمال وغيرهم من الشرفاء، وهم يشكلون الأغلبية، كما تضم الأغنياء وأولئك الذين يستغلون مناصبهم فى النظام أو مواقعهم فى مجال الانتاج، وهم يشكلون الأقلية• إن الأغنياء والمنتفعين من النظام فى بلادنا، رغم اختلافاتهم، إلا أن هناك مصلحة مشتركة بينهم• وهكذا، يجب على الفقراء والعمال والمكبوتين أن يتحدوا من أجل مصالحهم، بغض النظر عن طوائفهم الدينية• إن أساليب النظام (الطائفية) - عمداً أو بغير عمد - قد أدت بشكل عام إلى إضرام روح الطائفية والتوتر الطائفى• فإذا لم تتخذ التدابير لمنع هذا الخطر، قد يؤدى ذلك إلى المواجهة بين طائفة دينية وأخرى •••".

ولاءه للنظام إذا ما تعرض للقدر الكافي من الضغوط"[٢٧]٠

ولكن ضباط وجنود وحدات الجيش الأكثر حساسية واستراتيجية كانوا من العلويين، وقد فضل النظام بكل واقعية أن لا يعهد لغير هذه الوحدات بمهمة معالجة الاضطرابات الشعبية٠

إن نجاح المخططات لإنهاء السيطرة العلوية بات بعيد المنال، طالما لم يتمكن المتطرفون السنيون وحلفاؤهم المؤقتون من السنيين الأقل تطرفا وغير العلويين من السيطرة على كميات كبيرة من الأسلحة وعلى وحدات الجيش ذات الأهمية الاستراتيجية٠ وفي ظل هذه الظروف، وخلافا لما قد يُستنتج من الدعاية الطائفية، فإن المعارضة الأكثر خطراً على نظام حافظ الاسد جاءت في المقام الأول من الضباط العلويين الذين كانوا جزءاً من الحلقة الداخلية للنظام البعثي، ثم جاءت في المقام الثاني من مصادر أخرى٠ ويبدو أن العلويين "المطلعين على خبايا النظام، هم وحدهم الذين كانوا قادرين على التحكم في موارد التنظيم ومصادر المعلومات من أجل القيام بانقلاب حاسم"[٢٨]، سواء بمساعدة ضباط من طوائف أخرى أو بدون مساعدتهم٠

ومن سخرية الأقدار ان الجماعات التي سيطر عليها العلويون داخل الجيش وداخل حزب البعث كانت مدينة جزئيا بمراكزها القوية لحملات

٢٧

The Economist, 22 March 1980.

قارن النذير، العدد ٤، ٢٢ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٩، ص ٣ ٠

٢٨

Hirst, 'Divisive Rulers', Guardian, 26 June 1979.

قارن

Paul Maler, 'La Société Syrienne contre son État', Le Monde Diplomatique, April 1980,

الذي يذكر انه طبقاً لما قاله عضوان باللجنة المركزية بحزب البعث في سوريا في مقابلة معهما، "إن الحملات الاثنتي عشر القمعية التي واجهتها الحركة (حركة ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٦٦، أي، البعثيون المؤيدون للواء العلوي السجين صلاح جديد) منذ ١٩٧٠ هي أعظم برهان على أنهم يشكلون أكبر خطر على النظام"٠ وكما فسرنا بعاليه فإن سلطة صلاح جديد فيما مضى كانت ترتكز أساساً على ضباط بعثيين من الطائفة العلوية٠

التصفية داخل الجيش ضد الجماعات البعثية التى كانت تجرى على أسس طائفية و/أو اقليمية، وأيضاً لمجموعات المعارضة الأخرى، كالمتطرفين السنيين الذين استفزهم تمثيل العلويين القوى غير المتوازن داخل مؤسسات السلطة والذين أدت معارضتهم إلى تقوية الاتجاه الذى عارضوه[٢٩].

وبعد مذبحة حلب تخوف العديد من الناس من أن تكون الحرب الأهلية الطائفية وشيكة، إذا لم تحدث اصلاحات جذرية للقضاء على السمة الطائفية والاستبدادية للنظام. وبأخذ هذا فى الإعتبار فقد صدرت عدة بيانات عن مجموعات سياسية يسارية مختلفة معارضة للنظام. فعلى سبيل المثال، أصدرت جماعة الدكتور جمال الاتاسى لحزب الاتحاد الاشتراكى العربى فى سوريا النشرة الداخلية التالية:

> ان هذه أزمة تمزق وطنى وانقسام، يتهدد باضرام نار الصراع الطائفى والحرب الأهلية ... هذا المسلسل الرهيب والذى ما زال يمتد ويتسع، لا يقدم مشاهد من الصراع بين جماعات ارهابية يحركها التعصب وبين سلطة استبدادية تشد اليها عصبية معينة (أى، علوية) وتغذى بالمقابل التعصب (فحسب)، بل هى التعبير الصارخ عن أزمة وطنية فعلية تتهدد الوجود الوطنى لهذا القطر وتدفع على طريق الصدام الطائفى الدموى أى، على طريق قبرصة أو لبننة سوريا، أى، على طريق الانقسام الوطنى الذى ساق اليه الصراع الطائفى فى لبنان، وتحقيق حلم الاستعمار الصهيونى فى تفجر المشرق العربى بصراعاته الداخلية بدءاً من لبنان مروراً بسوريا وانتهاء بالعراق.
>
> ولكن وأيا ما ذهبت التعليلات والدعايات الرسمية فى الانقاص من خطورة هذه الظواهر، أو فى الاكتفاء بربطها بعوامل خارجية وقوى معادية وتآمرية، من امبريالية وصهيونية ورجعية وساداتية وشمعونية وحدادية، فان هذا لا يغطى على الدور الذى لعبه نظام الحكم القائم من حيث نهجه وتكوينه فى اذكاء هذه الظواهر كرد فعل وفى تغذية هذه الانقسامات، وهو يحمل المسؤولية الكاملة عما آلت اليه الأوضاع، بل وعن الانقسام الوطنى وعن هذه الظواهر الارهابية بالذات.

واستمرت النشرة الحزبية فى تحذير معارضى النظام الذى يسيطر عليه العلويون من أن يلوموا الطائفة العلوية ككل على الوضع القائم، لأنهم بهذا

---

٢٩ قارن منيف الرزاز، التجربة المرة (بيروت، ١٩٦٧)، ص ١٦٠، المذكورة فى مستهل هذا الفصل.

يساعدون على تقوية موقف المعارضة السنية المحافظة والمتطرفة، كما يشجعون على الصراع الطائفى:

اننا نربأ بأنفسنا وبكل وطنى، أن نسمى هذا النظام (مع كل ما أقامه فى تركيبه وتكوينه من تفرقة وتمييز فج) بنظام طائفة بحد ذاتها (أى، العلويين)، وأن "نجيّر" مسئولية سياسات الفئة الحاكمة واجراءاتها لحساب تلك الطائفة (العلوية)، ولو أن تلك الفئة المسيطرة تحاول استغلال الطائفة وشدها بالعصبية والتعصب اليها أو بالخوف والتخويف من عصبية الآخرين (أى، غير العلويين) وردود فعلهم تجاهها، ويقدم نفسه اليها وكأنه حاميها، وكأنه مصدر منافعها ومصالحها، عن طريق مكاسب وامتيازات يقدمها لهذا الفرد منها أو ذاك ولتلك الأسرة (العلوية) أو غيرها، وليعبىء بعد ذلك العديد من أفرادها فى أجهزة سلطته وقواها القمعية والمخابراتية• ولكن الطائفة (العلوية) تبقى فى غالبيتها وبكل ما فيها من فلاحين وعمال ومعلمين وفئات اجتماعية مختلفة، مسحوقة مثل غيرها وأكثر، باستبداد النظام واضطهاده واستغلاله، وهى فى تطلعها الوطنى والقومى، تنشد الاندماج الوطنى لا التمايز والانقسام ومصالحها العامة ترتبط ارتباطا جذريا بالمصلحة العامة لجميع الوطنيين ولجماهير امتنا كلها[٣٠].

لذلك، وعلى الرغم من أن "الطائفة العلوية" لم تكن هى التى تحكم سوريا، إلا أنه من الصواب أن نتحدث عن الحكم البعثى الذى يسيطر عليه العلويون• فعمليا، اقتصرت المشاركة الفعالة فى هذا النظام على جزء محدود من الطائفة العلوية تربطه أواصر اقليمية وعشائرية• وقد استطاع العديد من العلويين الآخرين أن يستفيدوا من ذلك نتيجة لدرجات متفاوتة من المحسوبية الطائفية التى مارسها العلويون المنتمون للنظام الحاكم، معززين بذلك السمة

---

٣٠ حزب الاتحاد الاشتراكى العربى فى سوريا، القطر السورى يمر بأزمة وطنية خطرة (نشرة داخلية خاصة بالأعضاء فقط، دمشق ١٩٧٩)• كلمة "حدادية" فى هذا الاقتباس تشير الى حركة الرائد اللبنانى سعد حداد الذى أعلن فى ١٩٧٩، وتحت ظل الحماية الاسرائيلية، عن "جمهورية لبنان الحرة" فى منطقة بجنوب لبنان محاذية لاسرائيل• وكان حداد قد هرب من الجيش اللبنانى أثناء الحرب الأهلية فى لبنان وتولى تطبيق القانون فى هذه المناطق بجنوب لبنان بوضعها تحت سيطرته• قارن
Nikolaos van Dam, 'Israel and Arab National Integration: Pluralism versus Arabism', Asian Affairs, Vol. 10 (Old Series Vol. 66), Part 2, June 1979, pp. 144-50.

الطائفية العلوية للنظام[٣١].

الطائفية والفساد وغياب الانضباط الحزبي

ان التمثيل العلوي القوي في مؤسسات السلطة السورية لا يمكن ان يكون في حد ذاته السبب في عدم الاستقرار الذي عاناه النظام السوري في النصف الثاني من السبعينات، فقد بدأت سيطرة البعثيين العلويين منذ استيلاء البعث على السلطة في ١٩٦٣، ثم تعززت هذه السيطرة بعد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ عندما احتكرت جماعة الاسد السلطة، التي سيطر عليها العلويون، مما حقق في البداية فترة طويلة نسبياً من الاستقرار.

لذلك، يجب ألا نحدد الأسباب الأكثر عمقاً لعدم الاستقرار الذي ألمّ بالنظام السوري في الخلفية الطائفية للنخبة الحاكمة فقط، وإنما في مزيج من عوامل مختلفة مثل الفساد والصعوبات الاقتصادية والأساليب القمعية وغير الديمقراطية وغياب الانضباط الحزبي والممارسات الطائفية التي طفت الى السطح، خاصة في الفترة التي تلت التدخل العسكري السوري في الحرب الاهلية اللبنانية[٣٢]. ونتيجة لذلك، أصبح من الممكن توجيه السخط الشعبي والتوترات الاجتماعية الاقتصادية وإثارتها عبر قنوات طائفية، مثلما بدا واضحاً في الاضطرابات المدنية العنيفة والدموية بطول البلاد وعرضها في ربيع ١٩٨٠.

---

٣١ يصل ديفيد هيرست الى حد التعبير بأن "البلاد لا يحكمها البعثيون بأي حال، بل العلويون ... فنظرياً يديرون البلاد من خلال الحزب، ولكن عملياً يديرونها من خلال تضامنهم السري داخل الحزب والمؤسسات الهامة الأخرى ... فخلف الواجهة نجد أن صلة القرابة بالرئيس العلوي الاسد هي أعظم الصفات لتقلد السلطة، وذلك عن طريق الأواصر العائلية أو الطائفية أو العشائرية".

(Guardian, 26 June 1979)

٣٢ قارن البيان الصحفي لحمود الشوفي، الممثل الدائم للجمهورية العربية السورية بالأمم المتحدة، معلناً استقالته من منصبه في ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٩.

وفى سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ بدأت حملة ثانية ضد الفساد بهدف تحسين المناخ السياسى والاجتماعى الاقتصادى المتدهور فى البلاد، إلا أن العوائق البنيوية التى عرقلت التنفيذ الجذرى للحملة الأولى ضد الفساد فى ١٩٧٧ كانت لا تزال قائمة، وبدت احتمالات نجاح إجراءات الإصلاح الشاملة مظلمة طالما بقى التنظيم الحزبى للنظام ضعيفا[٣٣]٠

وفى ١٩٨٠ كان تنظيم حزب البعث لا يزال يعانى من نقاط الضعف العديدة التى تكبدها منذ أن جاء الى السلطة فى ١٩٦٣، وبالرغم من انقضاء ١٧ عاماً على الجماعات البعثية المختلفة فى الحكم، إلا أنها لم تنجح فى التخلص من نقاط الضعف هذه٠ وهذا ما بدا واضحاً فى التقرير التنظيمى المقدم للمؤتمر القطرى السابع لحزب البعث والمنعقد فى دمشق من ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٩ الى ٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠، حيث يلخص هذا التقرير ما أسماه بأكبر الصعوبات التى أعاقت النشاطات التنظيمية للحزب:

١- قلة الخبرة والسوية العلمية عند بعض الرفاق فى القيادات الحزبية، وعدم توفر الانسجام فيما بينها أحيانا٠
٢- ضعف التربية العقائدية فى الجهاز الحزبى[٣٤] وبروز ظاهرة العزوف عن التثقيف

٣٣ قارن حمود الشوفى الذى أعلن فى بيانه الصحفى فى ٢٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٩: "فى ظل غياب الممارسات الديمقراطية الحقيقية تفشت ممارسات الفساد والابتزاز والرشوة دون كبح٠ إن حملة الاسد التى تم الإعلان عنها أخيراً والتى حظيت بالكثير من الدعاية من أجل القضاء على الفساد فى حكومته قد توقفت فور أن بدأت فى توريط أصدقاء شخصيين وأقرباء فى مناصب حكومية وعسكرية منتقاة من قبله"٠ للإطلاع على ظهور برجوازية جديدة "بيروقراطية" أو "برجوازية الدولة" تحت ظل النظام البعثى السورى، انظر
Elizabeth Longueness, 'Bourgeoisie, Petite-Bourgeoisie et Couches Moyennes en Syrie', Peuples Méditerranéens, No. 4, July - September 1978, pp. 21-42.

٣٤ ان ضعف حزب البعث فى سوريا من وجهة النظر الايديولوجية بدا واضحاً من وصف التقرير التنظيمى لأهم الصعوبات التى واجهته فى توصيل أفكار الحزب لجهاز الحزب: " ندرة المواد التعليمية التى تصف أفكار الحزب بدقة؛ وصعوبة تدريب القائمين بعملية التعليم؛ وقلة المصادر التى تتناول الأفكار الاشتراكية القومية"٠ (المناضل، العدد ١٢٩، يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠، ص ٩٥-٩٦)٠ وفى الواقع، هناك العديد من المصادر التى تتناول الأفكار

الذاتي ونمو الميل الاستهلاكي لدى الجيل·
٣- عدم توخى الدقة فى الاختيار عند تعيين القيادات المتسلسلة، وعدم معرفة القيادة بالمرشحين من قيادات الفروع معرفة مباشرة·
٤- ضعف سوية الجهاز المتفرغ فى مؤسسات الحزب القيادية (أى، الجهاز الذى اعفى اعضائه من أى واجبات أخرى، ويتوقع منهم تكريس أنفسهم بشكل كامل للعمل الحزبى)·
٥- ظواهر (مهمة أخرى) أبرزها: اللامبالاة، وضعف الشعور بالمسؤولية، وضعف الحماس للحزب والتعصب له، والانتهاز، والفهم الخاطىء لممارسة الديمقراطية، ونمو بعض أمراض المجتمع الموروثة (أى، الطائفية والاقليمية والعشائرية)[٣٥]·

وفى غضون المؤتمر القطرى السابع تم اتخاذ قرار بتشكيل لجنة مركزية من ٧٥ عضواً "تمارس صلاحيات المؤتمر القطرى بين فترتى انعقاده ··· وتشرف على تنفيذ قرارات القيادة وخططها فى مجال الدولة والعمل الحزبى"[٣٦]· وليس من المدهش بمكان - وبتوافق مع التحليل الاحصائى لمؤسسات السلطة السورية الواردة بالفصل السادس - أن يتمتع الضباط العلويون بتمثيل قوى ضمن الأعضاء العسكريين المنتخبين فى اللجنة المركزية· ومن بين هؤلاء، الرئيس حافظ الاسد وأبرز أنصاره العلويين، بمن فيهم شقيقه رفعت الاسد، والعماد على أصلان (نائب رئيس هيئة الأركان)، والعماد على دوبا (مدير المخابرات العسكرية)، واللواء على حيدر (قائد القوات الخاصة) واللواء على الصالح (قائد قوات الدفاع الجوى) واللواء ابراهيم صافى (قائد الفرقة الثالثة) واللواء شفيق فياض (قائد الفرقة الأولى ومن أقرباء الرئيس) واللواء عدنان بدر الحسن واللواء فؤاد عبسى (مدير المخابرات المدنية)[٣٧]·

الاشتراكية العربية القومية، إلا أن معظم الكتّاب كانوا ينتمون لتنظيم حزب البعث المنافس الحاكم بالعراق، وهؤلاء تم إبعادهم أو فروا من سوريا· لذلك، لم تتوافر كتبهم فى سوريا بشكل عام·

٣٥ المناضل، العدد ١٢٩، يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠، ص ٩٥ ·

٣٦ المصدر السابق، ص ١٥٨؛ النهار العربى والدولى، ١٤-٢٠ يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠

٣٧ المناضل، العدد ١٢٩، يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠، ص ١٢٨-١٢٩؛ البعث، ٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠ · وفى المؤتمر القطرى السابع الذى حضره ٥١٨ عضواً عاملاً، قام ١٦٠ منهم بتمثيل القوات المسلحة، أى، أكثر من ٣٠٪ من عدد وفود الأعضاء العاملين· وقد ضموا جميل

وقد اختارت اللجنة المركزية من بين اعضائها قيادة قطرية جديدة تألفت من ٢١ عضواً، وبالطبع كان الرئيس حافظ الاسد وشقيقه رفعت الاسد من بين الذين اعيد انتخابهم[٣٨]. ومن وجهة نظر احصائية نجد أن تشكيل القيادة القطرية يتمشى مع القيادات الثلاث السابقة منذ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٠ كما ورد بالفصل السادس: حيث اظهرت جميعها تمثيلاً قويا نسبيا لمنطقة اللاذقية وللعلويين[٣٩].

الاسد، شقيق الرئيس الأسد، وضباطاً علويين بارزين آخرين أمثال عبد الغنى ابراهيم وعلى حسين ومصطفى شربا وحكمت ابراهيم وعدنان ابراهيم الأسد ابن عم الرئيس ومحمد الخولى (نائب قائد القوات الجوية ومدير المخابرات الجوية) ومعين ناصيف (نائب مدير المخابرات المسئول عن الأمن وصهر رفعت الأسد). (المناضل، العدد ١٢٩، يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠، ص ٣٨-٢٦) . وطبقاً للتقرير التنظيمي المقدم للمؤتمر القطرى السابع فإن عدد الأعضاء العاملين المدنيين بجهاز الحزب السورى وقت المؤتمر قد وصل الى ٤٥٣٨١ ، بينما وصل عدد أعضاء الحزب فى نهاية ١٩٧٨ (بما فيهم الفئات الأخرى غير الأعضاء العاملين) الى ٢٣٧٥٠١ (المناضل، العدد ١٢٩، يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠، ص ١١، ٩٤).

٣٨ كانت القيادة القطرية السورية الجديدة التى تم انتخابها فى ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ تضم أربعة عشر سنياً (بينهم ثلاثة عسكريين)، وأربعة علويين (بينهم عسكريان اثنان)، ومسيحيين اثنين، ودرزياً واحداً . قارن
Maler, La Société Syrienne', Le Monde Diplomatique, April 1980.

٣٩ انظر الجداول ٥ و ٦ والفصل السادس. للمرة الأولى منذ فبراير (شباط) ١٩٦٦ تم اختيار ضابطين (سنيين) من منطقة حلب بالقيادة القطرية الجديدة، وهما اللواء حكمت الشهابى الذى حل محل اللواء يوسف شكور كرئيس للأركان فى أغسطس (آب) ١٩٧٤ واللواء ناصر الدين ناصر الذى عين وزيراً للداخلية بوزارة الدكتور عبد الرؤوف الكسم التى تشكلت فى ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ . أما الوزارات من رقم ٩٦ الى ١٠٣ (١٩٧٦-١٩٩٥) التابعة لرؤساء الوزراء (السنيين الدمشقيين) عبد الرحمن الخليفاوى (١٩٧٦-١٩٧٨) ومحمد على الحلبى (١٩٧٨-١٩٨٠) والدكتور عبد الرؤوف الكسم (١٩٨٠-١٩٨٧) ورئيس الوزراء محمود الزعبى (١٩٨٧-١٩٩٥) (سنى من درعا) فلم يتم ادراجها بالجدول ٢ . فمن وجهة النظر الطائفية نجد أن تشكيلها يكاد يطابق الوزارات الأخرى فى حقبة الاسد، أما من وجهة النظر الإقليمية فقد ارتفع بشدة عدد الدمشقيين (إلى حوالى ٣٥٪) داخل وزارتي محمود الزعبي. قارن
Office Arabe de Presse et de Documentation, Le 1er Cabinet de M. El-Halabi, Structure et Biographies (Damascus, 1978); Le 1er Cabinet de M. Abdel Raouf Al-Kassem, Structure et Biographies (Damascus, 1980); Le Deuxième Cabinet de M. Mahmoud al-Zou'bi du 29 Juin 1992 (Damascus, 1992).

وفى ختام المؤتمر القطرى السابع أعلن الرئيس الاسد بعض الخطوط العريضة للاصلاحات الجذرية التى هدفت لمساعدة النظام والبلاد على تحسين الموقف الحرج الذى وجدوا انفسهم فيه[٤٠]. بيد أن النظام واجه فى المراحل الأولى لمحاولته تنفيذ برنامجه الاصلاحى معارضة وشغبا بطول البلاد وعرضها على نطاق اوسع مما كان عليه منذ ١٩٦٣ .

وأكد فشل النظام فى تنفيذ الاصلاحات الضرورية لإعادة الاستقرار السياسى والاجتماعى الاقتصادى - بجانب عجزه عن محو سمة الطائفية - مرة أخرى الوضع المتناقض الذى وجد نفسه فيه مرارا وتكرارا منذ استيلائه على السلطة فى ١٩٦٣[٤١] . لقد اصبح النظام البعثى الذى كان يسيطر عليه العلويون اسير حلقة مفرغة لا مفر منها على ما يبدو.

الفشل البنيوى فى كبح الطائفية

يبدو أن الاعتماد على الروابط الاقليمية والعشائرية في دول مثل سوريا شرط أساسى للاحتفاظ بالسلطة. ونظريا، ليس بالضرورة أن تؤدى الاقليمية والعشائرية الى ظهور الطائفية، حتى وإن كان هناك تداخل قوى بين الفئات الثلاث، كما هو الوضع مع الأقليات الدينية المتماسكة كالعلويين والإسماعيليين والدروز[٤٢].

---

٤٠ اذاعة دمشق، ٦ يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠ . تم تقديم برنامج تفصيلى فى البيان الحكومى لرئيس الوزراء الدكتور عبد الرؤوف الكسم فى ١٨ فبراير (شباط) ١٩٨٠ . (اذاعة دمشق، ١٨ فبراير (شباط) ١٩٨٠).

٤١ انظر الفصل الخامس.

٤٢ لمناقشة العلاقة (المتشابهة فى العديد من الجوانب) بين الفئات الطائفية والاقليمية والاجتماعية الاقتصادية فى العراق، انظر
Hanna Batatu, The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq. A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists and Free Officers (Princeton, 1978), and Peter Sluglett and Marion Farouk-Sluglett, 'Some Reflections on the Sunni/Shi'i Question in Iraq', British Society for Middle Eastern Studies Bulletin, Vol. 5, No. 2, 1978, pp. 79-87.

وفى ظل ظروف مواتية يمكن كبح الطائفية والعمل على تلاشيها تدريجياً على الرغم من الجهود المبذولة من قبل المجموعات المُبعدة عن السلطة لتشجيع الطائفية لصالح أهدافها السياسية الشخصية. وقد كان من الممكن فى حالة النظام البعثى السورى الوصول الى كبح الطائفية لو أن الانضباط الحزبى كان مستمراً ولو لم يكن هناك فساد ولو أن دائرة النخبة الحاكمة بالحزب اتسعت تدريجياً، كل ذلك بجانب الاصلاحات الاجتماعية الاقتصادية والديمقراطية والتطور التعليمى[٤٣].

ورغم أن التمثيل العلوى القوى فى النخبة الحاكمة فى البداية كاد ألا يكون مرتبطاً بالطائفية وإنما كان مرتبطاً بالاقليمية والعشائرية، كما بدا الأمر فى المراحل الأولى من ثورة ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣، إلا أن ذلك لم يمنع السنيين وغيرهم من المعارضة غير العلوية من اعتباره علوياً أو نظاماً طائفياً تهيمن عليه الأقلية العلوية. وبالمثل لم يكن من الممكن منع السنيين وغير العلويين المعارضين للنظام البعثى ذى النزعة العلمانية من استغلال موضوع الطائفية لأهدافهم السياسية الشخصية من أجل تقويض مركز النظام. وفى الحالة الأخيرة، خلقت الأفكار السياسية حقائق خاصة بها وعاشت الطائفية حياتها، بغض النظر عما اذا كانت الفئة السياسية المسيطرة قد استمدت قواها بالفعل من التضامن الطائفى أم لا.

ولو أن نخبة البعثيين كانت مكوّنة - نظرياً - من سنيين تربطهم أواصر اقليمية وعشائرية - على سبيل المثال حمويين أو حورانيين سنيين مرتبطين عشائرياً - وبذلك يكون النظام قد حصل على بُعد آخر وهو "حكم الأقلية" (ولكن فى هذه الحالة يعتبر حكماً سنياً عشائرياً إقليميا)، لكانت قضية الطائفية أصعب استغلالاً، لأن السنيين يعتبرون "اكثرية" بشكل عام. ولكن الطائفية عند العلويين كانت أسهل استغلالاً لدى أقوى أعضاء النخبة البعثية على أساس أنهم كانوا ينتمون بدرجة كبيرة إلى طائفة دينية عانت تقليدياً من تفرقة فى المعاملة، أى العلويين، الذين رفض معظم المسلمين السنيين

---

٤٣ قارن
Nikolaos van Dam, 'Middle Eastern Political Clichés: "Takriti" and "Sunni rule" in Iraq; "Alawi rule" in Syria. A Critical Appraisal', Orient, Vol. 21, No. 1, January 1980, pp. 42-57.

الاعتراف بأنهم طائفة اسلامية[٤٤]٠

ومن جهة أخرى كان من الصعب أن نتوقع من العلويين الذين عانوا من ازدراء السنيين طويلا أن يبقوا موضوعيين تماما ويمتنعوا عن الممارسات الطائفية التى كانوا هم ضحاياها بعد أن حصلوا على السلطة أو بعد أن أصبح لهم مدافعون أقوياء فى داخل النظام٠ وكان من الطبيعى فى هذه الحالة أن يلعب الشعور الانتقامى عند العلويين دورا تم تعزيزه فى الفترة بعد ١٩٧٦، نتيجة التحريض الطائفى واغتيالات العلويين من قبل المتطرفين المسلمين السنيين الذين اعتبروا انفسهم بدورهم مدفعوين للشروع فى الاغتيالات بسبب النظام القمعى وغير الديمقراطى الفاسد، والذى بدا لهم متسما بالطابع الطائفى العلوى "الكافر"٠ وقد عبر عن ذلك أحد الذين قدموا للمحاكمة فى دمشق فى سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ بالآتى: "إن الاغتيالات هى اللغة الوحيدة الممكنة للتفاهم مع الدولة"[٤٥]٠ وكل هذا أدى إلى سلسلة من الأفعال وردود الأفعال الطائفية التى أصبح من الصعب التمييز بينها[٤٦]٠

---

٤٤ قارن
R. Stephen Humphreys, 'Islam and Political Values in Saudi Arabia, Egypt and Syria', The Middle East Journal, Vol. 33, No. 1, Winter 1979, p. 17,
الذى يعلق أن "فى سوريا حكومة مشكوكا فى شرعيتها، مهما اتبعت من سياسات ناجحة أو فاشلة٠ وتستمر الأغلبية السنية من الشعب فى الشعور بالإزدراء العميق تجاه حكومة البعثيين ذات الميول العلمانية والتى يسيطر عليها رجال ذوو خلفية نصيرية٠ و(كما رأينا) يسهل تعبئة مثل هذا الإزدراء بسهولة"٠

٤٥ النذير، العدد ١٠، ١ فبراير (شباط) ١٩٨٠، ص ١٢ ٠ قارن النذير، العدد ٩، ٨ يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠، ص ١٤-١٧ ٠

٤٦ انظر الإحياء العربى، العدد ١٦، ١٩ مايو (ايار) ١٩٨٠، حول الأعمال الانتقامية من قبل أعضاء القوات الخاصة بقيادة على حيدر ضد سكان حلب وحماة٠ فعقب القلاقل الدامية فى مارس (آذار) وابريل (نيسان) ١٩٨٠ تم حصار المدينتين وتمشيطهما بالتعاون بين وحدات القوات الخاصة وسرايا الدفاع التابعة لرفعت الاسد، بحثا عن المتطرفين المسلمين السنيين المسئولين عن الاغتيالات السابقة وكل من تعاطف معهم٠ وقد سقط العديد من القتلى والجرحى خلال هذه العمليات٠ كما أن مصادر الإخوان المسلمين المعارضة تذكر بالتفصيل العديد من المواجهات الدامية خلال النصف الأول من ١٩٨٠، بما فى ذلك ما وصف بـ "مجزرة جسر الشغور (١٠ مارس (آذار) ١٩٨٠)، أول مجازر حماة (٥-١٢ ابريل (نيسان) ١٩٨٠)، وثانى مجازر حماة (٢١ مايو (أيار) ١٩٨٠)"٠ تدمر، المجزرة المستمرة (دار النذير، الطبعة

ان الظروف المواتية التى يمكن فى ظلها كبح الطائفية، ومن ثم القضاء عليها، لم تتحقق خلال وجود حزب البعث فى السلطة فى سوريا، فبالرغم من أكثر من ثلاثين عاما من الحكم البعثى العلمانى الذى يسيطر عليه أعضاء أقلية طائفية، إلا أن سوريا لا تزال في منتصف التسعينات تبدو بشكل متناقض ومأساوى أبعد ما تكون منذ استقلالها عن التصور البعثى المثالى لمجتمع علمانى يتساوى فيه العرب أجمعين، بغض النظر عن دينهم[٤٧]٠

الثالثة، ١٩٨٤)، ص ١٦ - ٢٧؛ حماة، مأساة العصر (منشورات التحالف الوطنى لتحرير سوريا، ١٩٨٤)، ص ١٩ - ٢١)٠ انظر أيضا:
Middle East Watch, Syria Unmasked: The suppression of human rights by the Asad regime (London, 1991), chapter 2 "The Great Repression, 1976 to 1982", pp. 8 - 21.

٤٧ قارن حبيب عيسى، السقوط الأخير للإقليميين فى الوطن العربى (بيروت، ١٩٧٩)؛ رائق النقرى، الصوت الحيوى، الحوار الأول (باريس، ٢٣ يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠)٠

الفصل الثامن

المواجهة الطائفية : القضاء على الإخوان المسلمين

لم يهتز النظام السورى سوى مرة واحدة منذ أوائل السبعينات من قبل أعدائه داخل البلاد: ذلك عندما بلغت المواجهة الدامية مع مجاهدى الإخوان المسلمين السوريين ذروتها بالعصيان الواسع الذى وقع فى حماة فى فبراير (شباط) ١٩٨٢ واستطاعت القوات المسلحة السورية أن تقمعه دمويا ٠

تسليح البعثيين المدنيين

من أجل مواجهة الأنشطة المخربة وهجمات مجاهدى الإخوان المسلمين السوريين بصورة أفضل بدأت القيادة القطرية عقب المؤتمر القطرى السابع يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠ فى تسليح وتدريب الآلاف من أعضاء حزب البعث وأنصاره فى مختلف فروع الحزب بطول البلاد وعرضها، وقد لعب التنظيم العسكري لحزب البعث دورا حاسما أثناء عملية التدريب[١] ٠ ومنذ ذلك الحين فصاعدا لم تشترك القوات المسلحة وحدها فى سحق أية معارضة مسلحة، بل أيضا جهاز الحزب المدنى بعد تزويده بالسلاح٠ ونتيجة لذلك، أصبح العنف وما يقابله من عنف أكثر انتشارا من ذى قبل٠ وقد كان المؤتمر القطرى السابع شاهدا على اعتلاء رفعت الأسد مكانة تضاهى مكانة الرئيس الأسد فى الدولة٠ وقد ذكر باتريك سيل ان أساليب القبضة الحديدية التى مارسها ربما تكون قد انقذت النظام، إلا أنها غيرت من سماته٠ فتصميم السلطات على مواجهة بطش العدو بالمثل، أو حتى بأكثر من ذلك، جعلها تلجأ بشكل أكبر للوحدات العسكرية المزودة بالأسلحة الثقيلة من أجل اقتلاع حرب العصابات بالمدن٠ أما التحديث الحقيقى فكان فى تسليح أعضاء الحزب وأنصاره[٢] ٠

---

١ التقرير التنظيمى ١٩٨٥، ص ٢١-٢٢ ٠

٢

Patrick Seale, Asad: The Struggle for the Middle East, p. 327.

مذبحة تدمر (١٩٨٠)

لقد أدت التحريضات الطائفية لمجاهدى الإخوان المسلمين الواردة بالفصل السابع إلى تطور الأمور بشكل خطير، عندما قاموا فى ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٨٠ بمحاولة فاشلة لاغتيال الرئيس حافظ الأسد بدمشق والتى نجا منها بأعجوبة· وقد اجتاحت الطائفة العلوية موجة من الغضب واقسم رفعت، شقيق حافظ الأسد، أن ينتقم· وفى اليوم التالى صدرت الأوامر لوحدتين من سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد من قِبل الرائد معين ناصيف، نائب رفعت الأسد وصهره (العلوى)، بالتوجه بالهليكوبتر إلى تدمر وقتل جميع أعضاء الإخوان المسلمين المسجونين هناك· وقبل الإقلاع قام الرائد معين ناصيف بإطلاع رجاله على العملية، قائلاً إنه لا بد من الإنتقام مما حدث:

> إن الإخوان المسلمين قد قتلوا ضباطاً ومشايخ وأطباء (علويين) وأخيراً حاولوا قتل الرئيس حافظ الأسد· لذلك نود الآن أن نعهد إليكم بأول مهمة قتالية[٣]·

وفى هذا اليوم تم اغتيال حوالى ٥٥٠ سجيناً من الإخوان المسلمين فى زنزاناتهم بصورة وحشية رمياً بالرصاص، وقد تعالت صرخاتهم بين نداء "الله أكبر" وبين استغاثة· ورغم أن النظام حاول أن يحيط العملية بجو من السرية، إلا أن التفاصيل ظهرت فيما بعد، وخاصة بعد إلقاء القبض على متورطين فى هذه العملية بالأردن وقد أدليا باعترافات مفصلة تم إذاعتها بالتلفزيون الأردنى· وكان قد تم ارسال الأسيرين السوريين للأردن كعضوين فى فريق انتقامى ومعهما تعليمات بقتل رئيس الوزراء الأردنى مضر بدران المتهم من قِبل السوريين بمساندة الإخوان المسلمين فى التسليح والتدريب[٤]·

---

٣ الرأى، عمان، ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٨١ · فى غضون اسبوعين من محاولة اغتيال الرئيس حافظ الأسد أصدر المجلس الوطنى السورى فى ٧ يوليو (تموز) ١٩٨٠ قانونه رقم (٤٩)، الذى يقضى باعتبار عضوية الإخوان المسلمين جريمة عظمى·
Middle East Watch, Syria Unmasked: The Suppression of Human Rights by the Asad Regime, London, 1991, pp. 16, 35, 61.

٤ لسرد مفصل عن مذبحة تدمر انظر: تدمر، المجزرة المستمرة، دار النذير، الطبعة الثالثة، ١٩٨٤ · وتشير هذه النشرة إلى أن جميع المشتركين فى المذبحة كانوا من العلويين، وهذا لا يدعو للدهشة، حيث أن سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد كادت أن تكون من العلويين فقط· وقد تم نشر اعترافات عيسى ابراهيم فياض واكرم بيشانى، المقبوض عليهما، فى جريدة الرأى (عمان)، ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٨١ · والنص الوارد بجريدة الرأى يختلف بعض

وكرد فعل اندفعت وسائل الإعلام الرسمية الأردنية بعنف ضد سوريا، مركزة هجومها على السمة العلوية للنظام فى هجومها الدعائى:

عندما اكتشف الشعب العربى فى سوريا حقيقة النظام الفئوى الطائفى المتسلط عليه وزيف الشرعية التى تستتر بها باستغلاله المبادىء والشعارات القومية وعندما بدأ النظام السورى القائم على تحكم فئة من الطائفة العلوية بمواجهة المعارضة الشعبية المتفاقمة ضده داخل سوريا، لجأ فى سعيه من أجل البقاء إلى سياسة البطش والقمع والإرهاب فى الداخل والخارج وقد عمل على تصفية كل من ارتفع صوته بالاشارة إلى حقيقة هذا النظام، فاغتال صلاح الدين البيطار فى باريس ومن قبله كمال جنبلاط وسليم اللوزى وكثيرين غيرهم فى لبنان وخارجها.

ومارس داخل سوريا أبشع الأساليب لاستئصال معارضيه وتصفيتهم بالقتل الجماعى تارة والإغتيالات الفردية تارة أخرى لا فرق عنده بين رجل وامرأة و شاب ومسن ولم تسلم من حقده الأسود الطائفة العلوية نفسها إذ عمل على تصفية بعض قادتها ممن خالفوه الرأى وفى مقدمتهم اللواء محمد عمران الذى اغتالوه فى لبنان[٥].

الجبهة الإسلامية في سوريا

لم تمنع التدابير القمعية التى اتخذها النظام السورى ضد مجاهدى الإخوان المسلمين من استمرارهم فى معارضتهم. فعلى النقيض، ومع نهاية عام ١٩٨٠، تكون تحالف نبين العديد من الجماعات السنية الدينية المعارضة، سيطر عليه أساسا الإخوان المسلمون واطلق عليه "الجبهة الإسلامية فى سوريا". وفى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٠ أصدرت الجبهة بيانا سياسيا تحت عنوان "بيان الثورة الإسلامية فى سوريا ومنهاجها"، موقعا عليه من

الشىء عما نُشر بتدمر، المجزرة المستمرة.

٥

Jordan Times, 26-27 February 1981,

الرأى، ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٨١ . لقد اُغتيل صلاح الدين البيطار أحد مؤسسى حزب البعث فى باريس فى ٢١ يوليو (تموز) ١٩٨٠ عقب نشر عدة مقالات انتقادية بجريدته المعارضة، الإحياء العربى (وهو الاسم الأصلى لحزب البعث قبل تأسيسه رسمياً عام ١٩٤٧). انظر على سبيل المثال مقالات البيطار "سوريا مريضة مريضة وتعيش محنة ومأساة" وأيضاً "سؤال الساعة: ما هو البديل ؟"، وقد تم نشرهما فى الإحياء العربى فى مايو (ايار) ١٩٨٠، العدد ١٥ و ١٦ .

قبل قادتها سعيد الحوى وعلى البيانونى وعدنان سعد الدين التابعين للإخوان المسلمين[٦] .

واحتوى البيان السياسى العام على نداء خاص للعلويين "من أجل مراجعة حساباتهم" والعودة إلى "التعقل قبل فوات الأوان"، كما تم الإفصاح فى نفس الوقت عن أن الأمور قد وصلت إلى مرحلة اللاعودة فيما يتعلق بنظام البعث السورى ذاته، وانه لن تكون هناك هدنة إلا بانهياره وذهابه إلى غير رجعة:

---

[٦] بيان الثورة الإسلامية فى سوريا ومنهاجها، دمشق، ٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٠ .
من أجل وصف متحيز وتاريخ الحركة الإسلامية المتطرفة المعارضة فى سوريا، وترجمة للبيان الرسمى المذكور آنفا ، انظر
Umar F. Abd-Allah, The Islamic Struggle in Syria, Berkeley, 1983.
وانظر أيضاً استعراضى لهذا الكتاب فى
Middle East Studies Association Bulletin, Vol. 18, No. 1, 1984, pp. 57-60.
ولمزيد من التفاصيل عن المعارضة الإسلامية انظر أيضاً
Raymond A. Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party and Peasant (Oxford, 1990), Chapter 9: "Political Islam: Sectarian Conflict and Urban Opposition under the Ba'th", pp. 276-300; Thomas Mayer, "The Islamic Opposition in Syria, 1961-1982", Orient, Vol. 24, No. 4, December 1983, pp. 589-609; Hans Günther Lobmeyer, Islamismus und sozialer Konflikt in Syrien, Berlin, 1990 (Ethnizität und Gesellschaft, Occasional Papers, no. 26); Olivier Carré and Gérard Michaud, Les Frères musulmans: Égypte et Syrie (1928-1982), Paris, 1983; Itzchak Weismann, "Sa'id Hawwa: The Making of a Radical Muslim Thinker", Middle Eastern Studies, Vol. 29, No. 4, October 1993, pp. 601-623.
وحول العلاقة بين المعارضة الإسلامية السورية والنظام البعثى المنافس فى بغداد انظر
Eberhard Kienle, Ba'th v Ba'th: The Conflict between Syria and Iraq 1968-1989, London 1990, pp. 155-163.
ويلاحظ Hans Günther Lobmeyer أن "الدور الحالى والسابق للمعارضة العلمانية غالباً ما كان يتم التغاضى عنه، رغم مساهمتها بشكل كبير فى وشاكة الإحاطة بنظام الأسد فى نهاية السبعينات وبداية الثمانينات ... لقد نشطت المعارضة العلمانية قبل الإسلاميين بزمان وعانت من الاضطهاد فى وقت كان النظام فيه غافلاً تماماً عن الإخوان المسلمين." انظر
H.G. Lobmeyer، 'الديمقراطية هى الحل؟
The Syrian Opposition at the End of the Asad Era', in: Eberhard Kienle (ed.), Contemporary Syria, London, 1994, p. 84.
قارن تمام البرازى، ملفات المعارضة السورية، القاهرة، ١٩٩٤ .

إهابة بأبناء الطائفة العلوية

إننا نأمل من أبناء الطائفة العلوية التي ينتمي إليها هذا البلاء المسلط، حافظ أسد وشقيقه العاجن السفاح أن تسهم بصورة إيجابية في منع المأساة أن تبلغ نهايتها.

كما نهيب بالعناصر الواعية في الطائفة أن تراجع حساباتها، معلنين بغير مواربة ولا خداع أنه يسرنا أن تنفُضَ عن نفسها وصاية العناصر الفاسدة التي قادتها إلى هذا المأزق الدقيق، فما زال في الوقت متسع، وصدور شعبنا تتسع لأوبة الآيبين.

إننا مؤمنون إيماناً راسخاً أنه ليس من المحتم أن تحل المشاكل بالعنف، بل الوضع الطبيعي أن يجرى حل هذه المشاكل بالحوار البنَّاء، ولكن ما العمل اذا كان الطرف الآخر يصر على تجاهل الآخرين، ويرفض الحوار معهم إلا بلغة القوة؟!

بناءً على هذا، وإيماناً منا بأن النظام القائم بلغ مرحلة اللاعودة، وأصبحت المراجعة الجذرية بالنسبة إليه مستحيلة، فإننا لن نهادن، ولن نلقي السلاح، وسنمضي في طريقنا غير عابئين بالعقبات والأخطار، حتى ينهار هذا النظام الغشوم، ويذهب الى غير رجعة[٧].

وطبقاً للبيان السياسي العام كانت "الحقوق المدنية والقانونية لجميع الأقليات العرقية والدينية مصونة، وحرياتهم الشخصية مكفولة" (ص ١٨، الفقرة ١١)، إلا أن الإخوان المسلمين اعتبروا العلويين "كفاراً" و"مشركين"، أي أنه ليس هناك مساواة لمثل هذه الأقليات في دولتهم الإسلامية التي يتطلعون إليها. أما بالنسبة للقوات المسلحة فطبقاً للبيان السياسي العام كان لا بد من تخليصها مما أطلقوا عليه "تركيبها الطائفي" (ص ٤٣ - ٤٤)، أي أن العلويين وغيرهم من أعضاء الأقليات كان عليهم أن يتخلوا عن مراكزهم القيادية ليحل محلهم السنيون. وبالطبع قوبلت مثل هذه الاقتراحات بالإزدراء من قِبل العلويين وأعضاء الأقليات الدينية الأخرى، بعثيين كانوا أم لا، وأيضاً العلويين المعارضين للنظام. ومن واقع استمرار عملية قتل العلويين دون تمييز من قِبل مجاهدي الإخوان المسلمين يمكن استنتاج أن "الحوار البنَّاء"

---

٧ بيان الثورة الإسلامية في سوريا ومنهاجها، ص ١١-١٢ .

المـُقترح لم يكن أمراً جاداً[٨]· ومن ناحية أخرى بدت الإقتراحات الواردة بالبيان السياسى العام جذابة للغاية بالنسبة لبعض المعارضين السنيين نظراً لشعورهم بالكبت تحت وطأة النظام البعثى الذى يسوده العلويون ونظراً لتطلعهم لتحسين مراكزهم عن طريق الجبهة الإسلامية فى سوريا، سواء كان ذلك إيماناً منهم بمبادئها، أو لاستخدامها فقط كاداة للإطاحة بالنظام·

وفى الفترة التى تلت تكوين التحالف الإسلامى تزايدت أعمال العنف ونجحت الجبهة الإسلامية فى نقل معركتها الإرهابية إلى دمشق عن طريق قذف المؤسسات الحكومية بالمتفجرات، مثل مكتب رئيس الوزراء (أغسطس (آب) ١٩٨١) ومقر القوات الجوية (سبتمبر (أيلول) ١٩٨١) ومركز خبراء روسى (أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨١) ومجمع مخابرات بحى الأزبكية (٢٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨١)، مما أدى إلى إصابة مئات المارة· وفى ٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨١ عندما اغتال إرهابيون مسلمون الرئيس المصرى السادات فى القاهرة تم توزيع منشورات فى دمشق تهدد الرئيس حافظ الأسد بنفس المصير[٩]·

الدعاية الدينية السنية ضد العلويين

كما ورد بالفصول السابقة فإن مروجين سنيين ادعوا أن سياسات نظام البعث السورى الذى يسيطر عليه العلويون تخضع للخلفية الطائفية لرؤسائها· وفى حين أنه من منتصف الستينات وحتى نهاية السبعينات كثيراً ما كان يتم التركيز على التداخل المزعوم بين السلوك السياسى والخلفية الطائفية العلوية فى كتابات السنيين الجدلية، إلا أن هذه الفكرة أصبحت بديهية بالنسبة للكـُتـَّاب شيئاً فشيئاً، حتى أن بعضهم بدء يركز مع بداية الثمانينات على صياغة الحجج الدينية البحتة، بحيث أصبح النقاش يدور أساساً حول ما إذا كان العلويون مسلمين أم لا· وفى سياق المناظرات الدينية عند الإشارة إلى "العلويين" و"النصيريين" كان يـُفضل استخدام تعبير "النصيريين" (وهو

---

٨ فى ١٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٠ اغتال مجاهدو الإخوان المسلمين الدكتور يوسف صائغ بعيادته فى دمشق، لأنه على زعمهم الطبيب الشخصى للرئيس حافظ الأسد· انظر مصطفى طلاس، مرآة حياتى، ص ٦٢٧، الحاشية ١ ·

٩ Seale, Asad, p.331.

مشتق من اسم محمد بن نصير الذى وصف بأنه مؤسس طائفة من غلاة الشيعة فى القرن التاسع فى العراق امتدت فيما بعد لسوريا) من قبل هؤلاء الذين يودون التلميح بأن العلويين غير مسلمين، واستخدام تعبير "العلويين" (وهو مشتق من اسم على بن أبى طالب، صهر النبى محمد) من قبل هؤلاء الذين يعتبرون العلويين مسلمين (فى هذه الحالة الشيعة الجعفريون)· وكان يقصد بمثل هذه الكتابات المعادية للعلويين الإعداد لحركة دينية واسعة النطاق يقوم بها السنيون المسلمون، أكثر منها الحث على مناقشات دينية بحتة، وذلك بغرض الإطاحة بنظام الحكم البعثى الذى يسيطر عليه العلويون عن طريق القوة، بحيث يصبح استخدام القوة "مشروعا" استنادا على الأطروحة السنية المتطرفة المعادية للعلويين والمأخوذة عن الفقيه الحنبلى ابن تيمية فى القرن الرابع عشر، والتى تسمح بتصفية وقتل العلويين[١٠]·

وقلما استخدم نظام البعث السورى الحجج الدينية فى الرد على الدعاية المعادية للعلويين والكتابات الجدلية، ويرجع هذا لسببين رئيسيين: أولهما أنه نظرا لأن البعث كان يعتبر نفسه تنظيما قوميا عربيا علمانيا فكان يرفض بوجه عام الدخول فى أى جدل دينى؛ وثانيهما أن ردود الفعل الرسمية للجدل الطائفى والدعاية المعادية للعلويين بنفس الصيغة "الدينية" كانت ستتسبب فى خلق انطباع يؤكد الإدعاء بأن النظام واقع تحت سيطرة العلويين، كما أنه قد يوقظ الجدل والعداء الطائفى· ورغم كل هذا فقد اعيد طبع العديد من المنشورات التى كانت تُعتبر فى صالح التاريخ العلوى وتداولتها المكتبات

---

[١٠] انظر على سبيل المثال حقائق عن الطائفة النصيرية فى سوريا، غير معلوم المكان والتاريخ؛ تقى شرف الدين، النصيرية: دراسة تحليلية، بيروت ١٩٨٣؛ أعداد كثيرة من النذير، دمشق؛ قحطان عبد الرحمن الدورى وآخرون، النصيرية حركة هدمية، بغداد، ١٩٨٦، تحتوى على أوراق مُقدمة فى ندوة تحت هذا الاسم فى بغداد فى ١٩٨٥ تحت رعاية وزير التعليم العالى والبحث العلمى العراقى بغرض تقويض نظام البعث المعادى فى دمشق، رغم أن بغداد لم تكن تلجأ فى العادة للدعاية الطائفية كسلاح؛ الحسينى عبدالله، الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، القاهرة، ١٩٨٠؛

Gregor Voss, "Alawiya oder Nusairiya?" - Schiitische Machtelite und Sunnitische Opposition in der Syrischen Arabischen Republik, Dissertation, Hamburg 1987; H. Halm, "Nusayriyya", in: The Encyclopaedia of Islam (New Edition), Vol. VIII, Leiden, 1993, pp. 145-148; and Antoine Audo, Zaki al-Arsouzi: Un Arabe Face A La Modernité, Bayrut, 1988, pp. 138-142.

السورية[١١].

وبوجه عام لم تتناول هذه الكتب باستفاضة نوع الدعاية المعادية للعلويين والتى انعكست في الكتابات الجدلية المنشورة فى اواخر السبعينات واوائل الثمانينات، بيد أن أول استثناء لهذه القاعدة هو الدراسة التى نشرها المحامي العلوى السوري من اللاذقية هاشم عثمان في بيروت عام ١٩٨٠ تحت عنوان "العلويون بين الأسطورة والحقيقة". وقد وصف هذا الكتاب بأنه "رد فعل غير رسمي" للهجمات الطائفية من قبل المعارضة السنية المتطرفة[١٢]. ورغم أن هاشم عثمان لا يشير مباشرة للعديد من المنشورات المعادية للعلويين والتى ظهرت فى هذه الفترة، إلا أنه يتطرق إلى المناظرات التى تطرحها المعارضة الأصولية الإسلامية السورية، كما أنه يسعى لتفنيدها ودحضها. وقد بدا كتاب هاشم عثمان فى تلك الأونة فريداً من نوعه، حيث لم تكن قد نُشرت كتابات مماثلة تؤيد العلويين وتحمل طابع تبريرى.

ولم تُنشر دراسة رسمية حول عقيدة وواقع العلويين إلا فيما بعد، حيث تم تداول الموضوع على نطاق واسع من قبل أحد المشايخ العلويين من ذوى النفوذ، ألا وهو الشيخ عبد الرحمن الخيِّر الذى ناقش علانية هؤلاء الذين

---

١١ من بينها منير الشريف، المسلمون العلويون، من هم وأين هم؟ دمشق، ١٩٦١، الطبعة الثالثة؛ محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين، بيروت، ١٩٦٦ و ١٩٧٩، وقد قام بكتابة المقدمة الشيخ العلوى الشهير عبد الرحمن الخير. انظر أيضاً مصطفى الشكعه، إسلام بلا مذاهب، القاهرة (الطبعة الثامنة) ١٩٩١، ص ٣٢١-٣٧٣؛ جورج جبور، صافيتا ومحيطها فى القرن التاسع عشر، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٠-٣٣، والذى يجادل أن العرب بمن فيهم المؤرخون السوريون بوسعهم عمل الكثير من أجل تحسين "صورة سوريا كدولة الوحدة الوطنية"، وأيضاً بالنسبة للقرن التاسع عشر، كما أن هذه الروح "كانت أوثق مما نظن، أو بالاحرى مما رسمته كتابات الأجانب"؛ وللإطلاع على مسح موسع وسرد للآراء المتداولة حول العلويين السوريين وسلوكهم وبواعثهم السياسية المُدركة انظر

Daniel Pipes, Greater Syria: The History of an Ambition, Oxford 1990, pp. 158-188; Martin Kramer, "Syria's Alawis and Shi'ism", in: Martin Kramer (ed.), Shi'ism, Resistance and Revolution, Boulder Colorado, 1987, pp. 237-254,

وذلك حول موضوع ما إذا كان يمكن اعتبار العلويين شيعيين أم لا.

١٢

Voss, "Alawiya oder Nusairiya?", p. 62.

انظر أيضاً استعراضى لدراسة فوس فى

Die Welt des Islams, XXIX (1989), pp. 207-209.

ادعوا ان العلويين غير مسلمين فى كتابه "عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين "العلويين"" :

كنت ولا أزال طيلة هذه المدة المديدة، وأثناء لقاءاتي مع الكثيرين من رجالات المسلمين وغير المسلمين، كنت ولا أزال أصطدم مع الأسف الشديد بالفكرة الخاطئة المتكونة لديهم من مطالعة الكتب الصفراء الظالمة، التى ألفت فى عصور التناحر المذهبى والتعصب الأعمى لأقوال الرجال المتخاصمين، ومن تناقل محتوياتها من الاتهامات الظالمة بالتسليم دون مناقشة، حتى وكأنها تنزيل من رب العالمين، ومن التندر بتضخيم تلك المفتريات وتوشيتها بألوان من خيال القصّاصين والمستغلّين، ومن الاختلاط بالجهلة من أميين وأنصاف متعلمين من المسلمين (العلويين)، وأخذ أقوالهم وأعمالهم حججاً مزعومة على صدق الاتهامات التى تتضمنها تلك الكتب الصفراء الظالمة، ومن التحدث مع بعض ناشئتهم من طلبة المدارس الأغرار، ومع بعض الوصوليين منهم ••• الذين احتلت لديهم المبادىء الحزبية المستوردة مكان العقيدة الدينية التي ورثوها بتقليد الجهلة لا بالتعلّم من علماء أجلاء•

طيلة هذه المدة المديدة كنت ولا أزال أصطدم بهذه الفكرة الخاطئة المتكونة مما سبق بيانه مجتمعاً كله أو بعضه والجازمة بأن (العلويين) هم غير مسلمين، وأنهم لا يعرفون الإسلام ولا يدينون بوجوب العمل بأحكامه الشرعية، وأنهم ••• وأنهم ••• إلى آخر المعزوفة الظالمة التي يتصيّد بتلحينها أعداء الأمة الداخليون من مفرقيها ومستغلّيها وجلاديها تعاوناً مع العدو الخارجي (الاستعمار) الطامع بالاستيلاء على موارد وطننا الوافرة، باعتماده على الأعداء الداخليين المتآمرين معه لتمزيق وحدتنا الحياتية التى يحتمها الوطن واللغة والتاريخ والدين•••

وفى جميع هذه المناسبات الآنفة الذكر كنت ولا أزال اضطر إلى القيام بمجادلات، ومناظرات، ومراسلات، لأدفع بالتى هى أحسن اتهامات ظالمة، ولأثبت بالحجة والبرهان أن (العلويين)، هم مسلمون جعفريو المذهب، وأن فيهم أعلاماً يعلّمونهم معارفهم وعباداتهم ومعاملاتهم الإسلامية معتمدين فى ذلك أمهات الكتب الفقهية الجعفرية التى يعتمدها المسلمون الإماميون (الاثناعشريون) سواء بسواء•••

لهذا رأيت من واجبى (الدينى - الوطنى - الاجتماعى) نحو إخوانى فى الإيمان والإسلام والعروبة الشاملة، والإنسانية الأكثر شمولاً واتساعاً، أن أنشر هذه الرسالة الموجزة آملاً أن يتخذ منها المخلصون رداً قاطعاً على الشائعات المغرضة التى يستأنف ترويجها ضدنا فى هذه السنوات الأخيرة الصهاينة والمستعمرون

والملحدون والمستغلون[١٣].

معركة حماة (١٩٨٢)

ظلت المواجهات الطائفية بين مجاهدى الإخوان المسلمين ونظام البعث المسيطَر عليه من قِبل العلويين مشتعلة لتصل إلى ذروتها فى حماة فى فبراير (شباط) ١٩٨٢ فى أدمى مكاشفة شهدها تاريخ سوريا الحديث. لقد كانت مدينة حماة بمثابة حصن تقليدى للقوات الأصولية الإسلامية، حيث قام مجاهدو الإخوان المسلمين بتحصين أنفسهم داخل شبكة واسعة من المخابيء المزودة بالسلاح. ووفقاً لتقرير تفصيلى فى ٤٠٠ صفحة بعنوان "حماة، مأساة العصر" نشره الإخوان المسلمون فيما بعد، فإن النظام السورى كان يخطط لتمشيط مدينة حماة، ضاحية ضاحية، باتباع أسلوب كان قد سبق تطبيقه فى العديد من المدن السورية مثل حلب وحمص وحماة نفسها، قامت فيه السلطات بمحاصرة مناطق بأكملها والقيام باعتقالات جماعية مع قتل العديد من الأفراد فى هذه الأثناء. والفرق فى حماة فى فبراير (شباط) ١٩٨٢ هو أن المواجهة بين النظام وقوات المعارضة الأصولية الإسلامية انقلبت إلى مواجهة مسلحة وثورة شملت مدينة بأسرها وكل سكانها، واستمرت المعارك

---

١٣ الشيخ عبد الرحمن الخيِّر، عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين "العلويين"، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢، ص ١٥-١٨ . (تم الانتهاء من نص الكتاب عام ١٩٧٢ وظل على شكل مخطوط لمدة حوالى عشرين عاماً حتى قام ابن المؤلف، هانى الخير، بنشر الطبعة الأولى فى دمشق عام ١٩٩١ بعد وفاة والده . انظر: من تراث الشيخ عبد الرحمن الخيِّر: نقد وتقريظ كتاب العلويين، دمشق، ١٩٩٢، ص ٧). وفى مراجع كتاب عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين "العلويين" تحتل دراسة هاشم عثمان، العلويون بين الأسطورة والحقيقة، الصدارة فى المنشورات المذكورة بعد الدراسات الأولى للشيخ الخيِّر نفسه. ومن هنا يمكن استنتاج أن الدوائر العلوية الدينية الرسمية اعتبرت دراسة هاشم عثمان عملاً جاداً .
انظر أيضاً : من تراث الشيخ عبد الرحمن الخيِّر: رسالة تبحث فى مسائل مهمة حول المذهب الجعفرى: (العلوى)، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤ .

لقد كان نشر كتاب رسمى حول العقيدة العلوية على غرار كتاب الشيخ الخيِّر امراً غير عادى منذ ثلاثين عاماً مضى. ففى أثناء مناقشة دارت عام ١٩٦٣ بين سامى الجندى، وزير الإعلام آنذاك، ورئيس الأركان العلوى القوى اللواء صلاح جديد، اقترح الأول أن يقوم العلويون بنشر كتب عقيدتهم السرية كحل للعمل على الحد من الأفكار الخاطئة المتداولة حول العلويين فى سوريا، وبالتالى حل مشكلة الطائفية. ورد عليه جديد بالقول: "لو فعلنا لسحقنا المشايخ" (العلويون). انظر سامى الجندى، البعث، ص ١٤٤ -١٤٥ .

مشتعلة فى حماة على مدى شهر تقريباً (من ٢ إلى ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٨٢)، حيث اتسمت بأقصى وسائل العنف وسفك الدماء والتخريب، وهو ما لم تشهده سوريا من قبل، وتراوحت تقديرات عدد القتلى بين ٥٠٠٠ و٢٥٠٠٠، معظمهم ضحايا من سكان حماة نفسها· وبالنظر إلى التقديرات العليا نجد أن حوالى ١٠٪ من مجموع السكان البالغ حوالى ٢٠٠،٠٠٠ نسمة قد قـُتل، فقد تم قذف ودك أحياء بالكامل كانت تكتظ بالسكان، بما فيها الجوامع والأسواق وشبكات الطرق[١٤]·

ووفقاً لتقرير الإخوان المسلمين، فإن النظام السورى كان قد تأهب

---

١٤ المكتب الإعلامى للإخوان المسلمين، "حماة، مأساة العصر"، قام بنشره التحالف الوطنى لتحرير سوريا، غير مذكور المكان والتاريخ· والسرد الآتى يستند أساساً على هذا التقرير، بجانب "مجزرة حماة" (القاهرة، غير معلوم التاريخ)،

Patrick Seale, Asad, pp. 332 - 334,

وبيانات رسمية صادرة عن السلطات السورية· انظر أيضاً

Thomas Friedman, From Beirut to Jerusalem, London, 1989, chapter 4: "Hama Rules", pp. 76 - 105; David Roberts, The Ba'th and the Creation of Modern Syria, London, 1987, p. 128; Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria, pp. 291 - 300;

محمود صادق، حوار حول سوريا، ص ٣٧ - ٣٩؛

Fred H. Lawson, "Social Bases for the Hamah Revolt", Merip Reports, November/December 1982, pp. 24 - 28; & Hanna Batatu, "Syria's Muslim Brethern", Merip Reports, November/December 1982, pp. 12 - 23.

وفقاً لما جاء فى "مجزرة حماة"، ص ٢٠ - ٢٣، فإن سكان حماة قد عانوا من شتى أشكال القمع فى سنوات ما قبل ١٩٨٢؛ وفى "نيسان (ابريل)، ربيع الدم (١٩٨١)" كما اطلقت عليه الدراسة، فإن فرق الموت التابعة لسرايا الدفاع قامت بإعدام أكثر من ٢٠٠ شخص، بما فى ذلك عائلات بأسرها فى ضواحٍ مختلفة من حماة· ويبدو حسب تقرير "مجزرة حماة" أن كشوفات القتلى ضمت بعض الأعضاء العاملين بحزب البعث الذين كما روى أهالى هؤلاء "··· فقد اظهروا جميعهم البطاقات الحزبية للجنود الذين كانوا يرتكبون المذبحة ··· لكنها لم تشفع لهم ··· وكانوا فى عداد الضحايا المرمية فى الشوارع"· وخلال نقاش حاد جرى بناء على طلب فرع الحزب الحموى مع وفد حزبى رفيع المستوى تم إيفاده من دمشق، طلب أعضاء الحزب الحمويون تفسيرا لقيام سرايا الدفاع التى يسيطر عليها العلويون بقتل الحمويين المعارضين للنظام بجانب أعضاء الحزب المدنيين: هل كانوا يعتزمون قتل الحمويين علنا؟ إلا أنه يبدو أن الوفد القادم من دمشق قد رفض إعطاء تفسير مُرضٍ، وقد تم التبليغ عن إعتقال كل الأعضاء الحمويين الذين أبدوا الإعتراضات خلال الإجتماع وأعربوا عن شكوكهم فى نوايا النظام· انظر أيضا:

Middle East Watch, Syria Unmasked, pp. 17 - 18.

للمعركة عن طريق تركيز صفوة العسكريين العلويين حول المدينة، وذلك من أجل شن هجوم مسلح واسع المدى فيما بعد ضد قوات المعارضة (السنية)٠ وقد شملت قوات النظام وحدات من سرايا دفاع رفعت الأسد بقيادة المقدم العلوى على ديب فى حماة، بجانب وحدات من كلٍ من القوات الخاصة التابعة للواء العلوى على حيدر، واللواء (٤٧) المدرع بقيادة العقيد العلوى نديم عباس (والتى كانت تشكل جزءاً من الفرقة المدرعة الثالثة بقيادة اللواء العلوى شفيق فياض)، واللواء (٢١) الميكانيكى المدرع بقيادة العقيد العلوى فؤاد اسماعيل، ووحدات المخابرات العسكرية بقيادة العقيد العلوى يحيى زيدان، وأيضاً الكتائب الحزبية المسلحة التابعة للبعث٠ وتراوحت تقديرات القوات المشتركة على جانب النظام السورى بين ١٢٠٠٠ و ٢٥٠٠٠[١٥]٠ لقد اندلعت معركة حماة فى ٢ فبراير (شباط) ١٩٨٢ عندما قامت قوات النظام أثناء عملياتها لتمشيط المدينة بمحاصرة جماعة من مجاهدى الإخوان المسلمين، وبالتالى قررت الجماعة شن هجوم مضاد شامل[١٦]٠

وفى حين أن الإخوان المسلمين قد ادعوا فيما بعد أنه قد تم تحريضهم للقيام بهذه المواجهة الشاملة وأنهم كانوا فى حالة دفاع عن النفس، إلا أنهم فى مناسبات سابقة - بما فى ذلك "بيان الثورة الإسلامية" الذى نشروه قبل ذلك بأكثر من عام - أعلنوا انه "لن نهادن ولن نلقى السلاح، وسنمضى فى طريقنا ٠٠٠ حتى ينهار هذا النظام"٠ وعندما شن مجاهدو الإخوان المسلمين هجومهم المضاد أعلنوا عن ثورة إسلامية واسعة النطاق ضد نظام البعث وذلك من خلال الدعوة للجهاد عن طريق مكبرات الصوت فى مساجد حماة٠ لقد اقتحموا المنازل وقتلوا ٧٠ من المسؤولين والقادة الحزبيين على وجه التقريب، كما هاجموا أقسام الشرطة ونهبوا السلاح فى محاولة للاستيلاء على السلطة فى المدينة التى أعلنوا فى اليوم التالى انها قد "تحررت"٠ وخلال اليوم الأول قام مجاهدو الإخوان المسلمين بمحاصرة منزل محمد حربا، محافظ حماة، ومنازل قادة فى الأمن والجيش والحزب أمثال أحمد الأسعد، الأمين المحلى للحزب والذين استطاعوا أن يصمدوا حتى نجحت قوات الأمن

---

١٥ حماة، مأساة العصر، ص ١٤٩، فيها يُقدر العدد بحوالى ٢٥٠٠٠، أما روبرت فسك، أول المراسلين الأجانب الذين زاروا حماة أثناء المعارك، فيقدر العدد بحوالى ١٢٠٠٠ ٠
The Times, 19 February 1982.

١٦ حماة، مأساة العصر، ص ٢٥ - ٣٢، ٥١ - ٥٧، ٦٥، ١٤٣ - ١٦٠ ٠

فى اختراق المدينة والوصول إليهم· ورغم أن نظام البعث قد جابه العديد من التمردات السابقة في مدن كدمشق وحلب وحمص وحماة نفسها، إلا أن عصياناً مدنياً كاملاً بهذه الأبعاد أبداً لم يحدث طوال الحكم البعثى فى سوريا[١٧]· وقد وصف باتريك سيل هذا الوضع الحرج بالآتى:

لقد مرت دمشق بلحظة من الذعر عندما ثارت حماة، فقد تزعزع النظام ذاته· وبعد قتال دام خمس سنوات طويلة فشل النظام فى إخماد شبكة سرية قامت باغتيال صفوة الطبقة العلوية المحترفة ووصمت رئاسة الأسد بعدم الشرعية· لقد محا الخوف والكراهية ونهر الدماء المسفوكة أى فكرة لهدنة، فقد كانت حماة بمثابة المعركة الفاصلة التى لا بد لأحد أطرافها أن يفوز ويحدد بشكل أو بآخر مصير هذه الدولة· لقد أدرك كل عامل حزبى ومظلي مبعوث إلى حماة أنه لا بد فى هذه المرة من اقتلاع النضالية الإسلامية من المدينة، مهما كان الثمن· وقد يسهل تفسير الوحشية التى تم بها معاقبة هذه المدينة فى ضوء اعتبار أن هذا هو الفصل الأخير فى معركة طويلة ومستمرة، وقد رقدت خلف هذا الصراع طبقات وطبقات من العداء بين الإسلام والبعث، بين السنيين والعلويين، بين المدينة والريف[١٨]·

لقد تم اختبار الولاءات فى حزب البعث والقوات المسلحة ومؤسسات الأمن الأخرى المتورطة فى المواجهة المسلحة إلى أقصى الحدود· وكما حدث فى مناسبات سابقة، حاول مجاهدو الإخوان المسلمين إثارة استقطاب طائفى بين العلويين والسنيين داخل القوات المسلحة بغية جذب السنيين لجانبهم، نظراً لكونهم الأغلبية فى الجيش النظامى، إلا أن صفوة العسكريين المتورطين فى المواجهة كانوا أساساً من العلويين· وباستثناء بعض الأحداث الفردية استطاعت قوات النظام أن تصمد وتحافظ على الإنضباط بشكل عام داخل القوات المسلحة النظامية· ووفقاً للإخوان المسلمين فإن جميع العسكريين من أصل حموي قد تم طردهم من الوحدات الهامة مثل اللواء (٢١) الميكانيكى المدرع واللواء (٤٧) المدرع، وذلك قبيل هجومهم على مدينة حماة فى فبراير

---

١٧ Seale, Asad, p. 332.

١٨ Seale, Asad, pp. 332 - 333.

(شباط) ١٩٨٢ [١٩]. وقد وصف التقرير التنظيمي لحزب البعث لعام ١٩٨٥ عملية الحفاظ على التضامن والتماسك داخل صفوف القوات المسلحة وكأنه لم تحدث أية أحداث خطيرة تمس الإنضباط على الإطلاق:

وهذا كله ظهر جلياً في الدور البطولي لهؤلاء الرفاق عند التصدي لعصابة الاخوان المسلمين المجرمة العميلة واقتلاع جذورها وتخليص الوطن من جرائمها وآثامها دون أن تظهر أية مخالفة أو أي مظاهر تردد في تنفيذ التعليمات أو أية شاذة داخل صفوفه رغم وجود نسبة لا بأس بها من مرتبات هذه القوات غير منتسبة للحزب، فشكل ذلك صفحة ناصعة في تاريخ قواتنا المسلحة أظهرت تماسكها ووحدتها الداخلية [٢٠].

بيد أن البيان السابق لا يعني أن قوات النظام لم ترتكب أعمالاً وحشية واسعة النطاق خلال استيلائها على المدينة، حيث تم استخدام الدبابات والمدفعية الثقيلة وقاذفات الصواريخ والهليكوبتر. وفي الواقع، كان هناك تقاعس عن الأوامر العسكرية في أحيان مختلفة.

ورغم أن تقرير الإخوان المسلمين حول أحداث حماة لا يذكر أي انشقاق طائفي حاد بين صفوف العسكريين البعثيين في ذلك الوقت، إلا أنه يسرد عدة أحداث قامت فيها قوات النظام على زعمهم بقتل بعثيين سنيين من مدينة حماة فقط لإنتمائهم لها، بغض النظر عن كونهم من مؤيدي النظام أو من مُخبريه [٢١].

وطبقاً لتحليل الإخوان المسلمين للعمليات العسكرية ضد حماة، فإن القيادة العسكرية السورية قد اتخذت تدابير وقائية دقيقة لمنع وقوع عصيان جماعي داخل الجيش ضد النظام، وذلك عن طريق الحفاظ على توازن طائفي معين في الوحدات الهامة المحيطة بالمدينة. وفي جميع الحالات بقيت سرايا الدفاع العلوية أساساً والتابعة لرفعت الأسد عل مقربة حتى تتمكن من التدخل

---

١٩ حماة، مأساة العصر، ص ٥٦-٥٧، ٦٥-٦٦، ١٤٣-١٦٠.

٢٠ التقرير التنظيمي ١٩٨٥، ص ٣٧١-٣٧٢.

٢١ حماة، مأساة العصر، ص ٧٣-٧٤، ٩٢، ٩٤، ١٥١، ٢٧٩-٢٨٤؛ قارن مجزرة حماة، ص ٢٠ - ٢٣.

السريع إذا لزم الأمر· وطبقاً أيضاً لتحليل الإخوان المسلمين، فإن النسبة بين العلويين والسنيين داخل الوحدات المسلحة المتنقلة المحيطة بحماة كانت تحكمها عوامل سياسية استراتيجية· وهكذا، نجد أن جنود اللواء (٤٧) المدرع تصل نسبتهم افتراضاً إلى ٧٠٪ من غير العلويين و٣٠٪ من العلويين المخلصين للنظام، أما النسبة بين ضباطه فهى على عكس ذلك: ٧٠٪ من العلويين و٣٠٪ من غير العلويين· كما نجد أن اللواء (٢١) الميكانيكى المدرع الذى يضم افتراضاً نسبة من الضباط العلويين تفوق ٨٠٪، فإن النسبة بين جنوده كانت تقدر بحوالى نفس نسبة اللواء (٤٧): أى، ٧٠٪ من غير العلويين و٣٠٪ من العلويين· لقد قدر الإخوان المسلمون العنصر العلوى فى القوات الخاصة التابعة للواء على حيدر بنسبة ٤٥٪ بين الجنود و٩٥٪ بين الضباط· أما نسبة العلويين بين سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد فكان من المفترض أنها الأعلى: حيث تم تقدير الجنود والضباط فيها بحوالى ٩٠٪ من مجموع القوات· وطبقاً لتحليل الإخوان المسلمين، فإن المقصود بالتمثيل العلوى القوى هو تحاشى احتمالات أى عصيان عسكرى واسع النطاق:

> إن هذا التوزيع بهذه النسب، يشير إلى خوف السلطة من حصول أعمال تمرد تقوم بها بعض التشكيلات والقطعات والوحدات، حيث تصبح إمكانية التمرد الجماعى استناداً إلى النسب المذكورة أمراً متعذراً · فالتمرد الجماعى يقوده مجموعة من الضباط المتفاهمين والمنسجمين فى أسلوب التفكير، والمتجانسين فى الأرضية الإجتماعية، وهذا ما تم ضربه تماماً · ولما كانت السلطة تخاف، حتى من عناصر الطائفة غير الموالين لعائلة أسد، اختلف التوزيع العشائرى فى الوحدات الخاصة وسرايا الدفاع، وقد اختير عناصر سرايا الدفاع من عائلة أسد وأقربائها والموالين لها حصراً، بحيث باتوا يشكلون أكثر من ثمانين بالمائة من حجم السرايا كلها· هذه السلسلة من النسب، والتى يدخل ضمنها ضباط أمن، وصف ضباط أمن، وأفراد أمن سريون قد جعلت من المتعذر القيام بتمرد جماعى، وإن حصل فإن سرايا الدفاع جاهزة لإحباط هذا التمرد فى الوقت المناسب، بحكم كونها مشاركة فى عملية الحصار، وبحكم قربها من مسرح العمليات فى المدينة ···[٢٢]

---

٢٢ حماة، مأساة العصر، ص ١٥٠-١٥١ · انظر ايضاً
Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', The Middle East Journal, Vol. 35, Summer 1981, p. 332,
الذى يقترح أنه من المحتمل جداً أن تكون أعداد هائلة من ضباط الصف وجنود سرايا الدفاع وسرايا الصراع منتمية لعشيرة الرئيس حافظ الأسد ذاتها، أى المتاورة· "لقد تم اختيار أعضاء هذه الوحدات بحرص بالغ، ومن المستبعد أن يكون الاختيار قد تم بعيداً عن أقارب

ويبدو أن الوضع داخل صفوف المدنيين فى حزب البعث قد اختلف تماما: فقد كان التماسك والتضامن أقل بكثير مما هو عليه في الجيش، وهذا ما يمكن استنتاجه من أن أكثر من نصف (٥٢٪) الأعضاء الأنصار الذين تم فصلهم عام ١٩٨٢ من جهاز الحزب السورى كانوا من فرع حماة[٢٣].

وبعد المواجهة التى وقعت فى حماة وسحق معاقل الإخوان المسلمين هناك، أصبح واضحاً أن معارضة النظام قد نالت ضربة قوية. وبعد قمع ثورة حماة بوقت قليل تم تأسيس "التحالف الوطنى لتحرير سوريا"، والذى تكون من عدد من الجماعات المعارضة، بما فى ذلك الإخوان المسلمون وبعثيون سوريون موالون لنظام البعث ببغداد[٢٤]. وقد ظل هذا التحالف الذى تغير اسمه عام ١٩٩٠ ليصبح "الجبهة الوطنية لإنقاذ سوريا" ضعيفاً عاجزاً[٢٥].

وفى مارس (آذار) ١٩٨٢، خلال الذكرى الأولى لثورة الثامن من آذار وبعد مواجهة حماة، قام الرئيس حافظ الأسد فى خطاب له بقذف الإخوان المسلمين الذين تم سحقهم:

أيها الإخوة المواطنون : الإخوان المسلمون مصيرهم كما قال الله تعالى : (إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون) وقال: (يوم هم على النار يفتنون) (ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون) صدق الله العظيم...

إنهم مجرمون بحق الدين والدنيا، بحق الشعب، بحق الله، أين هم من الإسلام؟

حافظ الأسد، ويُقال إن العديد منهم من قرية القرداحة وهى مسقط رأسه ... إلا أن الأسد بالطبع لا يعتمد كلية على عشيرته."

٢٣ التقرير التنظيمى ١٩٨٥، ص ٣٧، جدول ٣ .

٢٤ أذاعت إذاعة بغداد في ٢٢ مارس (آذار) ١٩٨٢ ميثاق التحالف الوطنى لتحرير سوريا. وقد انضم حمود الشوفي، أمين عام القيادة القطرية السورية الأسبق (١٩٦٣) إلى التحالف الوطنى فى مارس (آذار) ١٩٨٢ .

٢٥ إذاعة بغداد، ٢٢ مارس (آذار) ١٩٨٢؛
Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria, pp. 297-299; Eberhard Kienle, Ba'th vs Ba'th, pp. 160-161; Thomas Mayer, "The Islamic Opposition in Syria, 1961-1982", Orient, Vol. 24, No. 4, December 1983, pp. 604-609.

أين هم من القرآن؟ أين هم من قول الله؟ إن الله تعالى قال فى كتابه الكريم: (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض، فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً) فهل قتلوا نفساً بنفس؟ أو من أجل فساد فى الأرض؟ ...

لن نسمح لهم على الإطلاق بتدمير إسلامنا، لن نسمح لهم إطلاقاً بتشويه قيمنا، لن نسمح لهم أبداً بتشويه تراثنا، الإسلام هو إسلام النضال العنيد ضد كل أشكال الامبريالية، الإسلام هو كفاح لا يعرف التردد ضد الرجعية، ضد الاستعمار، هو وقوف ثابت ومستقر ونضال دائب وعنيد إلى جانب كل المظلومين وكل الكادحين فى أمتنا، وفى كل مكان على وجه الأرض...

ليمت أعداؤنا، ليمت أعداء الله، ليمت أعداء الشعب، ليمت الاخوان المفسدون، الذين باعوا أنفسهم بالدولار والدينار، ولتعيشوا أنتم وليعش هذا الشعب...

الإسلام دين يدعو إلى المحبة والتسامح وتقدم الشعوب وعدالتها، وكل الذين ينادون بالإسلام أو يفهمون الإسلام على حقيقته سيلتقون معنا وسنلتقى معهم، وسيجدون منا كل الدعم.

نحن فقط ضد بعض الجماعات التى ترفع شعار الإسلام وتحاول تفسيره بما ليس فيه، بل بما يتناقض معه تناقضاً جذرياً ، والتى تصور الإسلام على أنه عائق ضد تقدم الحياة وضد العدالة وضد تيار الحياة البشرية الصاعد، وهكذا نفهم الأمر، لذلك لا نجد مشكلة بالنسبة إلينا، ونحن نلتقى وندعم المسلمين الحقيقيين، ونقف ضد من يحاول تشويه الإسلام[٢٦].

إن سحق معاقل الإخوان المسلمين لم يكن يعنى بالضرورة أن العلاقات بين الطوائف قد هدأت، فبرغم تسديد ضربة قوية للمعارضة الإسلامية الأصولية، إلا أن التوترات الطائفية بين السنيين والعلويين كانت على أشدها. ومن المحتمل أن يكون القمع الجماعى الذى وقع فى حماة قد زرع بذور الصراع والانتقام المستقبلى[٢٧].

---

٢٦ إذاعة دمشق، ٧ مارس (آذار) ١٩٨٢؛ مصطفى طلاس (المحرر)، كذلك قال الأسد (الطبعة السادسة المزيدة)، دمشق ١٩٩٣، ص ٣١١-٣١٢ .

٢٧

Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria, p. 297.

انظر أيضاً:

Thomas Friedman, From Beirut to Jerusalem, pp. 100-101,

الذى يطرح بشىء من الإدراك المؤخَّر الحَجج بأن مجزرة حماة يمكن اعتبارها ضمن أمورٍ أخرى "رد فعل طبيعياً لسياسي (أى، الرئيس حافظ الأسد) فى دولة وطنية حديثة نسبياً، يسعى للتطوير والتحديث، ويحاول ضرب عناصر متراجعة - فى هذه الحالة الأصوليون الإسلاميون - تبغى تقويض كل ما حققه نحو بناء سوريا لتصبح جمهورية علمانية مواكبة للقرن العشرين. لذلك، لو أن أحداً حاول إجراء اقتراع موضوعي فى سوريا بعد مجزرة حماة، فإن أسلوب الأسد فى معالجة العصيان كان محتملاً أن يحظى بتأييد قوى، حتى بين العديد من المسلمين السنيين. وربما قالوا "إن شهراً واحداً من حماة أفضل من أربعة عشر سنة من الحرب الأهلية، كما هو الحال فى لبنان"".

الفصل التاسع

نخبة السلطة فى عهد الرئيس حافظ الأسد

على مدى الخمسة والعشرين عاماً، منذ أن تولى حافظ الأسد السلطة - واقعياً عام ١٩٦٨/١٩٦٩ ورسمياً عام ١٩٧٠ - لم يحدث سوى تغير طفيف فى بنية السلطة داخل النظام السورى· فمعظم الضباط العلويين البارزين الذين ذكروا آنفاً كقادة فى مراكز رئيسية بالقوات المسلحة والأمن والمخابرات فى أوائل السبعينات ومنتصفها ظلوا يتقلدون نفس مراكزهم، او مراكز مشابهة، بعد مرور عشرين أو خمسة وعشرين عاماً· وهذا يعنى أن النظام يتسم بدرجة عالية من الاستمرارية، كما يعنى أن أهم أنصار الأسد ظلوا مخلصين له، بحيث لم يشعر الرئيس على مدى أكثر من عشرين عاماً بالحاجة إلى إجراء تغيرات جذرية داخل جهاز السلطة· إن تسلط فكرة الولاء على الأسد أتت بنتائجها على المدى القصير والطويل، حيث لم يكن هناك حاجة لإجراء تصفيات جوهرية فى القوات المسلحة السورية منذ عام ١٩٧٠، باستثناء إبعاد شقيقه رفعت، والذى سنتناوله فيما بعد· إن رغبة الرئيس حافظ الأسد فى الاستمرارية، ونفوره الشديد من تغيير الوجوه المحيطة به، إنطويا أيضاً على الوضع الشاذ الذى نجد فيه معظم قادة الجيش، حالهم حال الرئيس، قد وصلوا فى منتصف التسعينات إلى السن - حوالى سن الستين - التى كان لا بد لهم فيها أن يكونوا قد تقاعدوا منذ زمن لو أن الظروف كانت عادية[١]·

---

١ حول تسلط فكرة الولاء على الأسد انظر

Patrick Seale, Asad, p.149.

ويمكن ملاحظة أن الحكام المستبدين فى العالم العربى الذين صمموا على الولاء التام ظلوا فى السلطة فترات أطول عن غيرهم ممن لم يفعلوا هذا·

ولد الرئيس حافظ الأسد فى ٦ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٠ · ويكاد ألا يكون هناك تفاصيل حول الضباط التابعين "للحرس القديم" الذى كان يضم أعلى الرتب، بيد أنه لا بد من الإشارة إلى أن بعضاً من هؤلاء الضباط من ذوى الرتب العليا كانوا قد تقاعدوا ليقوم الرئيس الأسد باستدعائهم للخدمة فى مراحل لاحقة، وذلك على ما يبدو لثقته الكبيرة فيهم، حيث كان يفضلهم فى ذلك الوقت عن خلفائهم الأصغر سناً·

الأخوة الأسد

والمرة الوحيدة منذ أوائل السبعينات التى تخلخل فيها النظام داخلياً كانت فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٣، عندما اشتد المرض بالرئيس حافظ الأسد وبدت مسألة الخلافة أمراً خطيراً[٢]. وقد اعتمدت تماماً بنية السلطة التى شيدها الرئيس الأسد عليه شخصياً والآن بدت وكأنها تنهار بدونه. لقد أصدر الأسد وهو على فراش المرض أوامره بتشكيل لجنة سداسية منوط بها إدارة الأمور اليومية ومكونة من: وزير الخارجية عبد الحليم خدام، الأمين العام المساعد للقيادة القومية لحزب البعث عبد الله الأحمر، وزير الدفاع مصطفى طلاس، رئيس الأركان حكمت الشهابى، رئيس الوزراء عبد الرؤوف الكسم، وزهير مشارقة الأمين العام المساعد للقيادة القطرية لحزب البعث (جميعهم سنيون). وقد بدا اختيار هؤلاء الرجال فى حد ذاته أمراً طبيعياً، فبعد الرئيس كان ترتيبهم رسمياً ضمن أعلى الأعضاء بالقيادة القطرية لحزب البعث، كما كانوا يحتلون أعلى المناصب، سواء داخل جهاز حزب البعث أو الحكومة أو القوات المسلحة[٣]. بيد أن الأمر غير الطبيعى هو عدم تعيين رفعت الأسد - والذى كان أيضاً ترتيبه ضمن أعلى عشرة مراكز بالحزب - فى اللجنة السداسية التوجيهية، رغم أن رفعت الأسد كان أقوى أعضاء القيادة القطرية بدون منازع بعد الرئيس نفسه، وكان يتمتع بقاعدة رائعة داخل القوات المسلحة المكونة من سرايا دفاعه ذات الأسلحة الثقيلة والبالغ عددها ٥٥،٠٠٠ وربما كانت هذه السرايا نظرياً تتبع رئيس الأركان أو وزير الدفاع. أما عملياً فالأمر لم يكن هكذا، فقد كانت هذه السرايا تتصرف كتشكيلات

---

٢ السرد التالى حول الاسد واخوته يعتمد إلى حد بعيد على
Patrick Seale, Asad, Chapter 24, "The Brothers' War", pp. 421 - 440.
وتقدم دراسة سيل أكثر التحليلات إبداعاً وتفصيلاً، وتستند إلى مقابلات موسعة مع الأشخاص المعنيين، بمن فيهم الرئيس حافظ الأسد ذاته. انظر أيضاً:
Alasdair Drysdale, "The Succession Question in Syria", The Middle East Journal, vol. 39, no. 2 (1985), pp. 246 - 262;
ومحمود صادق، حوار حول سوريا، ص ٢١٦ - ٢٢٢ .

٣ جاء القرار الرسمى للرئيس فى ذلك الحين مطابقاً للصورة التى رسمها لشخصه فيما بعد أثناء إحدى المقابلات مع باتريك سيل، عندما علق قائلاً: "لقد كنت دائماً رجل مؤسسات". انظر
Patrick Seale, "Asad: Between Institutions and Autocracy", in: Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds.), Syria: Society, Culture and Policy, New York, 1991, p. 98.

مستقلة· وقد يكون لهذا السبب، بجانب تصرفات رفعت التى تتسم بالتهور وعدم الحنكة والفساد، أن تقاعس الرئيس عن اختياره عضواً فى اللجنة السداسية·

ومن المحتمل أن الرئيس الأسد، بالنظر إلى أخلاق رفعت، لم يكن يرغب فى أن يخلفه شقيقه فى الحكم· لذلك، بدا من الأفضل عدم إدراجه ضمن اللجنة السداسية· وعلاوة على ذلك، لم يتم أيضاً إدراج اللواءات العلويين البارزين الآخرين، بغض النظر عن أن استمرار النظام بدون حافظ الأسد كان يعتمد بالضرورة عليهم وعلى رفعت·

وخوفاً من احتضار الرئيس، شعر أقوى اللواءات العلويين بالقلق تجاه التغيرات التى قد تجلبها وفاته، فاتجهوا - حسب دراسة سيل - لرفعت كى يقودهم باعتباره البديل الأفضل فى ظل هذه الظروف الطارئة[٤]· ويبدو أن اللواءات العلويين كانوا غير راضيين عن اللجنة السداسية التى عينها الرئيس الأسد، واعتبروا أعضاءها صوريين فقط لا غير· وبتحريض من اللواءات العلويين، وفى غياب الرئيس حافظ الأسد، انعقد اجتماع كامل للقيادة القطرية السورية وتقرر خلاله أن تحل القيادة محل لجنة الأسد السداسية· وهكذا، عاد رفعت الأسد رسمياً إلى قلب الأحداث· وفى هذه الأثناء بدأ الرئيس فى استرداد صحته بشكل غير متوقع، واستاء كثيراً من تصرف اللواءات العلويين الذين حادوا عن الطاعة الواجبة· وقد أخطأ رفعت فى تفسير إلتفاف اللواءات العلويين حوله على أنه إلتزام تام بقيادته· وعلى هذا الأساس أخذ يستعد لتقلد زمام الحكم بعد شقيقه فى حالة وفاته· بيد أنه مع استرداد الرئيس لصحته لم يقم اللواءات العلويون بإسقاط تأييدهم لرفعت فحسب، بل بدءوا يعتبرونه مصدر تهديد لهم· وكان من بين اللواءات العلويين الذين إلتفوا فى البداية حول رفعت قائدا الفرق العسكرية شفيق فياض وابراهيم صافى، ونائب رئيس الأركان العماد على أصلان، وقائد قوات الدفاع الجوى العميد على الصالح· والآن بدأ كل هؤلاء التحرك ضد رفعت، ومع بداية عام ١٩٨٤ شرعوا

---

٤ طبقاً لرواية أخرى، فإن اللواءات العلويين، بمن فيهم على دوبا وعلى حيدر وابراهيم صافى وشفيق فياض، أيدوا رفعت ظاهرياً ولكنهم فى الواقع كانوا يستعدون لمنعه من تقلد زمام الحكم وخلافة شقيقه كرئيس· انظر: محمود صادق، حوار حول سوريا، ص ٢١٨ - ٢١٩ ·

فى التخطيط لكبحه· وبعد اكتمال شفاء الرئيس حافظ الأسد أدلي بتعليماته للعماد على دوبا رئيس شعبة المخابرات العسكرية بوضع رفعت وأهم أنصاره تحت المراقبة، بينما أمر على حيدر قائد القوات الخاصة وأيضاً شفيق فياض بإحضار وحداتهم العسكرية إلى دمشق لتكون بمثابة الثقل الموازن لسرايا الدفاع التابعة لرفعت· وعقد الرئيس العزم على الحد من سلطة رفعت، الذى بدوره حاول وسط انزعاجه الشديد أن يحمى ما تبقى له من سلطة·

وفى نهاية فبراير (شباط) ١٩٨٤، جابهت وحدات مدججة بالسلاح من سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد القوات الخاصة التابعة لعلى حيدر والحرس الجمهورى تحت قيادة عدنان مخلوف، من جانب آخر، فى مواقع استراتيجية بقلب العاصمة· وبدت سوريا وكأنها على حافة حمام دم· واجتمعت القيادة القطرية فى جلسة طارئة للبحث عن مخرج من تلك الأزمة الداخلية، ووافقت أخيراً على أن يكون الحل هو ما نص عليه القرار الجمهورى الصادر فى ١١ مارس (آذار) ١٩٨٤ بتعيين ثلاثة نواب للرئيس: أولاً عبد الحليم خدام، ثانياً رفعت الأسد، ثالثاً زهير مشارقة· إلا أن ترقية رفعت الأسد نائباً للرئيس كانت فى الواقع إنزالاً لدرجته، حيث أصبحت مهامه غير محددة وتم نزع قيادة سرايا الدفاع منه بمقتضى قرار جمهورى آخر· ورفض رفعت الإذعان للوضع الجديد وقرر فى ٣٠ مارس (آذار) ١٩٨٤ أن يصدر تعليماته لسرايا الدفاع التى كانت لا تزال بالفعل تحت سيطرته بالتوجه بالقوة إلى دمشق والإستيلاء على السلطة· وقد تم نشر سريع لدبابات اللواء المدرع التابع لشفيق فياض وجنود الصدام بالقوات الخاصة التابعة لعلى حيدر لمنع انقلاب رفعت· ولم يكن من الممكن تجنب مواجهة دامية وإرغام رفعت على التخلى عن موقفه إلا بالتدخل الشخصى للرئيس الأسد[5]· وأخيراً فى ٢٨ مايو (ايار) ١٩٨٤ تم نفى سبعين ضابطاً كبيراً بالطائرة بعيداً عن سوريا حتى تهدأ الأمور، وكان من بينهم رفعت الاسد وعلى حيدر وشفيق فياض· ولم يكن يعلم أى منهم متى سيعود، فالأمر كان يتوقف تماماً على الرئيس· وفى الواقع، تم استدعاؤهم جميعاً، باستثناء رفعت، على وجه السرعة لمباشرة مهامهم· وفى هذه الأثناء تم

---

[5] نزل الرئيس الأسد بشخصه إلى الشوارع دون حرس أو موكب وتوجه بالسيارة لمواقع شقيقه الحصينة وأمر الضباط المسئولين بالعودة إلى ثكناتهم· ولم يكن معه سوى نجله الأكبر باسل·

(Seale, Asad, p. 433).

تقليص حجم سرايا الدفاع التابعة لرفعت وإعادة توزيع أفرادها المتبقيين على العديد من الوحدات، بما في ذلك الحرس الجمهوري والقوات الخاصة، وتم إلقاء القبض على بعض أعضائها.

وخلال فترة تواجده القوى داخل القوات المسلحة قام رفعت ببناء شبكة من المنظمات البديلة التى ترسخت داخل حزب البعث، إلا أنها ظلت مستقلة عنه في نفس الوقت، مثل رابطة خريجي الدراسات العليا[٦] وضمت هذه الرابطة آلاف الأشخاص من حاملى الدرجات العلمية فى جميع أنحاء سوريا، وشكلت نوعاً من المنابر المناظرة المناهضة للمؤسسات خارج حزب البعث. وفى أعقاب الأزمة تم اتخاذ التدابير لتفكيك شبكات القوة البديلة التابعة لرفعت الأسد، وصدرت الأوامر لأعضاء حزب البعث بترك الرابطة التى تم حلها فيما بعد.

وانتهى الصراع الطويل بين حافظ ورفعت فى المؤتمر القطرى الثامن لحزب البعث الذى انعقد فى دمشق من الخامس وحتى العشرين من يناير (كانون الثانى) ١٩٨٥ . فقد تم إعادة انتخاب رفعت رسمياً فى القيادة القطرية السورية، إلا أنه فى واقع الأمر ظل معزولاً وسرعان ما غادر البلاد عائداً لأوروبا، ليبقى فى المنفى حتى عاد إلى سوريا عام ١٩٩٢ لتشييع جنازة والدته ناعسة البالغة من العمر ٨٢ عاماً . ولدى عودته إلى سوريا كان رفعت لا يزال يحتفظ رسمياً بمنصبه كنائب للرئيس، إلا أنه لم يكن يقوم بأكثر من استقبال سفراء أجانب جُدد بين الحين والآخر فى زيارات بروتوكولية. وكان يتم استبعاده من المناسبات والاحتفالات الرسمية الهامة التى كان يحضرها نائبا الرئيس الآخران، خدام ومشارقة، كما لم يظهر فى الصحف التى كانت تغطى اجتماعات القيادة القطرية السورية التى هو عضو

---

٦ تم نشر نظام عمل رابطة خريجي الدراسات العليا فى مجلتها الدورية "الفرسان"، دمشق، مايو (ايار) ١٩٨٣، ص ٣٧ - ٣٩ . وكان لقب رفعت الرسمى حينذاك: "الرفيق الدكتور رفعت الأسد، عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى، وقائد سرايا الدفاع، ورئيس رابطة خريجى الدراسات العليا".

فيها بصفة رسمية[٧].

وفى عام ١٩٩٥ كشف العماد مصطفى طلاس، وزير الدفاع السورى، عن تفاصيل فى مذكراته لم تكن لتنشر لولا وقوع رفعت الأسد فى المحظور مع أخيه الرئيس حافظ الأسد. فيروى مصطفى طلاس كيف أنه وجد لدى تعيينه رئيساً للجنة الفاحصة لمدرسة المدرعات فى ابريل (نيسان) ١٩٦٥ أن قيادة المدرسة (ومديرها المقدم عزت جديد، العلوى) قد أعطت رفعت الأسد، شقيق اللواء حافظ الأسد، الذى كان وقتذاك قائد القوى الجوية والدفاع الجوى، "الأول على الدورة" وأعطت ابن أخ طلاس "الثانى على الدورة". وعندما شك طلاس فى صحة هذه النتائج قرر أن يصحح الأوضاع ويكون "دقيقاً كحد السيف فى وضع العلامات". وهكذا تراجع رفعت الأسد إلى المرتبة الحادية والثلاثين من أصل تعداد الدورة وهو سبعة وثلاثون، بينما تراجع ابن أخ طلاس إلى المرتبة الخامسة عشرة. ولم ينتقد حافظ الأسد حينذاك إنزال درجة أخيه الأصغر، بل وافق لإعتباره ذلك على وجه حق[٨].

وفى أعقاب الصراع بين رفعت وحافظ سُلب أيضاً جميل الأسد، شقيق الرئيس الأصغر الآخر، من سلطته. فبناء على أوامر الرئيس تم حل "جمعية على مرتضى" العلوية فى ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٣ التى كان قد أسسها جميل الأسد فى ١٩٨١، حيث كان أيضاً عضواً بمجلس الشعب السورى. وكانت جمعية المرتضى بمثابة تجمع سياسى وراء واجهة دينية، قامت بتعبئة جزء من المجتمع العلوى عن طريق قنوات طائفية بحتة تختلف عن حزب

---

٧ انظر مثلاً الثورة وتشرين، ٧ مايو (ايار) ١٩٩٤؛
Robert Fisk, "Assad keeps brother in the cold", The Independent, 22 October 1992.
طبقاً لتحليل محمود صادق، حوار حول سوريا، ص ٢٢٠ - ٢٢١، فإن بنية السلطة الداخلية للنظام السورى تغيرت جوهرياً لدى تفكيك سرايا الدفاع ونفى رفعت الأسد. فقد أصبح بالتالى من الصعب على الرئيس الأسد أن يحرض سرايا الدفاع وغيرها من الوحدات المختارة الواحدة ضد الأخرى. بيد أنه عملياً لم تظهر فروقات حادة داخل صفوف الضباط السوريين فى السنوات التى تلت استبعاد رفعت عام ١٩٨٤ . بيد أن هذا لم يكن يعنى عدم امكانية ضرب صفوة الوحدات المتبقية أيضاً الواحدة ضد الأخرى.

٨ انظر مصطفى طلاس، مرآة حياتى، العقد الثانى - ١٩٥٨-١٩٦٨، دمشق، ١٩٩٥، ص ٥٨٣، ٥٨٦، ٨٩٣، ٨٩٤ .

البعث، بل وتناقضه أحياناً[٩].

نخبة السلطة العسكرية البعثية

وبقيت الخلفيات الطائفية والإقليمية لأعضاء القيادة القطرية السورية واللجنة المركزية لحزب البعث الذين نُصبوا خلال المؤتمر القطرى الثامن المنعقد فى دمشق فى يناير (كانون الثانى) ١٩٨٥ - والذين لا يزالون فى الحكم فى منتصف التسعينات - على ما هى عليه، بمعنى وجود تمثيل قوى للغاية للضباط العلويين والشخصيات البارزة من منطقة اللاذقية على وجه الخصوص. وقام الرئيس حافظ الأسد شخصياً بتعيين اللجنة المركزية الجديدة والتى ارتفع عدد أعضائها من ٧٥ إلى ٩٠، ونصف هذا العدد (معظمهم مدنيون) لم يكن عضواً فى اللجنة المركزية السابقة. وكما هو متوقع احتفظ معظم الأعضاء العسكريين بمقاعدهم.

لقد مثل أعضاء اللجنة المركزية العسكريون النخبة العسكرية بحزب البعث، وكانوا أبرز مؤيدى الرئيس الأسد، حيث تقلدوا أعلى المناصب العسكرية والوحدات ومؤسسات السلطة. ومن بين أشهر الأعضاء العسكريين الثمانى عشر باللجنة المركزية كان هناك على الأقل اثنا عشر علوياً[١٠].

---

٩ طبقاً لمحمود صادق، حوار حول سوريا، ص ٧٩، حاولت جمعية المرتضى تغيير عقيدة أو ما أسماه "علونة" - البدو والمزارعين من الجزيرة والمناطق الصحراوية وشبه الجدباء من حمص وحماة بحجة أن سكان هذه المناطق كانوا فى الأصل علويين واضطروا تحت ضغط السلطات العثمانية أن يصبحوا سنيين. وأحياناً ما كان يتم تسليح أعضاء جمعية المرتضى عن طريق سرايا الدفاع التابعة لرفعت الأسد، مما أدى لظهور عصابات مسلحة فى العديد مز المدن السورية، وما تبع ذلك من قلقلة للأمن والاستقرار الداخلى. وقد تحمل النظام لبعض الوقت أنواعاً مختلفة من الأنشطة غير المشروعة المتسمة بالعنف التى كان يقوم بها جميل الأسد وباقى الأفراد الأصغر سناً من أسرة الأسد الموسعة، بمن فيهم فواز نجل جميل، خاصة فى منطقتى اللاذقية وطرطوس. وقد تم كبح هذه الأنشطة فيما بعد ولو جزئياً والتى كانت تقوض من سلطة حزب البعث وتسىء لسمعة النظام.

١٠ لقد ورد أسماء الأعضاء العسكريين باللجنة المركزية الذين تم اختيارهم عام ١٩٨٥ على حدة كمجموعة بالقائمة المنشورة فى المناضل، العدد ١٨٠ - ١٨١، فبراير (شباط) ١٩٨٥، والتى ضمت بجانب الرئيس الفريق حافظ الأسد، القائد الأعلى للجيش والقوات المسلحة: ١- العماد مصطفى طلاس (وزير الدفاع ونائب القائد العام، سنى)، ٢- العماد حكمت الشهابى

وكان العديد من الضباط العلويين المذكورين والمنتمين للدائرة الداخلية للنظام ينتمون لنفس العشيرة، أو كانت تربطهم صلة قرابة·

وقد اسس الرئيس الأسد مبدأ أن يكون كل من وزير الدفاع ورئيس

(رئيس هيئة الأركان، سنى)، ٣- اللواء ابراهيم صافى (قائد الفرقة الثالثة، علوى؛ ومنذ ١٩٩٤ قائد القوات المسلحة السورية فى لبنان)، ٤- اللواء شفيق فياض (قائد الفرقة الأولى، علوى)، ٥- اللواء صبحى حداد (قائد القوى الجوية، مسيحى؛ تقاعد فيما بعد)، ٦- اللواء عدنان سليمان حسن (والذى يسمى أيضاً عدنان بدر الحسن)(قائد الفرقة التاسعة أصلاً ومدير الأمن السياسى فيما بعد). ٧- العماد على أصلان (نائب رئيس هيئة الأركان، علوى)، ٨- اللواء على الصالح (قائد قوات الدفاع الجوي، علوى)، ٩- العماد على (عيسى) دوبا (نائب رئيس هيئة الأركان ورئيس شعبة المخابرات العسكرية، علوى)، ١٠- اللواء على حيدر (قائد القوات الخاصة، علوى؛ اُقيل فى أغسطس (آب) ١٩٩٤، وعُين اللواء العلوى على حبيب بدلاً منه)، ١١- اللواء فؤاد عبسى (رئيس المخابرات المدنية، علوى؛ توفى فيما بعد)، ١٢- اللواء مصطفى طيارة (قائد القوى البحرية، سنى)، ١٣- العماد حسن تركمانى (نائب رئيس هيئة الأركان، سنى)، ١٤- اللواء على ملاحفجى (قائد القوى الجوية والدفاع الجوى، علوى؛ تقاعد فى ١٩٩٤)، ١٥- اللواء محمد الخولى (نائب قائد القوى الجوية ورئيس مخابرات القوى الجوية، علوى؛ عُين قائداً للقوى الجوية فى ١٩٩٤)، ١٦- اللواء محمد ابراهيم العلى (قائد الجيش الشعبى، علوى)· وقد كان رفعت الأسد شقيق الرئيس عضواً باللجنة المركزية أيضاً، مثله مثل جميع أعضاء القيادة القطرية الجديدة الآخرين، إلا أنه لم يعد يتقلد منصباً عسكرياً، عدا كونه رسمياً نائب الرئيس لشئون الأمن الوطنى· وقد مُنح رفعت هذا اللقب بمقتضى قرار جمهورى فى العاشر من نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٨٤، ولكن هذا لم يعن أى سلطة حقيقية· (المناضل، العدد ١٨١ - ١٨٠، يناير (كانون الثانى) - فبراير (شباط) ١٩٨٥، ص ١٢٤ - ١٢٢؛ المناضل، العدد ١٢٩، يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠، ص ١٢٧ - ١٣٣)· ومن أهم أنصار حافظ الأسد العسكريين الآخرين: اللواء محمد ناصيف، نائب رئيس المخابرات المدنية والمسئول عن أمن دمشق، علوى؛ واللواء عدنان مخلوف، قريب زوجة الأسد، قائد الحرس الجمهورى القوى وعدده ١٠،٠٠٠؛ واللواء عدنان ابراهيم الأسد، قريب الرئيس المسئول عن سرايا الصراع، علوى؛ واللواء حكمت ابراهيم، مدير إدارة شؤون الضباط، علوى·

ولتفاصيل حول شخصيات بعض أنصار الأسد المقربين انظر محمد ابراهيم العلى، الفجرية (المرابى "٥")، دمشق، ١٩٩٥، ص ٢٧٥ - ٢٩٤ ؛

Alasdair Drysdale & Raymond A. Hinnebusch, Syria and the Middle East Peace Process, p. 28; Patrick Seale, Asad, pp. 428 - 432; and Hanna Batatu, "Syria's Muslim Brethren", Merip Reports, November/December 1982, p. 20.

ولتفاصيل حول التركيب الطائفى للقيادة القطرية السورية التى تم انتخابها فى يناير (كانون الثانى) ١٩٨٥، انظر

David Roberts, The Ba'th and the Creation of Modern Syria, pp. 165 - 166.

فايز الناصر، مسيحى من حوران، وصفه روبرتس بالخطأ بأنه سنى·

الأركان عضواً بالقيادة القطرية، بينما يكون كبار القادة العسكريين أعضاء باللجنة المركزية، بجانب كونهم أعضاء بلجنة الحزب العسكرية وتقلدهم وظائف حزبية رئيسية أخرى بالقوات المسلحة كأمناء فروع وقطاعات الحزب العسكرية[١١]· ونتيجة لهذا التدبير أصبحت بنية السلطة الحقيقية داخل القوات المسلحة وتنظيم الحزب العسكرى منعكسة بوضوح فى تكوين مؤسسات حزب البعث العليا الرسمية أكثر مما كان الوضع عليه أثناء وجود اللجنة العسكرية البعثية السرية على سبيل المثال·

جهاز حزب البعث المدنى: تحليل إحصائى

يؤكد تحليل الإحصائيات الواردة بالتقرير التنظيمى (١٩٨٥) النتائج الخاصة بالفترات السابقة والتى تشير إلى أن عضوية حزب البعث كانت أقل انتشاراً فى المدن الكبرى كدمشق وحلب وأكثر انتشاراً فى المناطق الريفية· وتؤكد جلياً مقارنة التوزيع الجغرافى لأعضاء الحزب العاملين لجميع السكان المحليين بكل منطقة التمثيل القوى لحزب البعث أثناء الثمانينات كما كان من قبل فى منطقة اللاذقية (العلوية أساساً) والمناطق الريفية الجنوبية·

وكما ذكر من قبل، ولأسباب عملية، قد تم معاملة منطقتى اللاذقية وطرطوس فى هذه الدراسة كمنطقة واحدة، بيد أنه إذا ما تناولناهما على حدة - كما هو الحال اليوم - نستنتج الآتى من تحليل التقرير التنظيمى (انظر الجدول ٨):

لدى إجراء مقارنة بين سكان مناطق معينة وعدد الأعضاء العاملين المحليين نستنتج أن حزب البعث فى طرطوس كان إحصائياً "ممثلاً أكثر من المتوسط" بدرجة ٢٠١٪ (أى، هناك ضعف عدد أعضاء الحزب المتوقع وجودهم على أساس التعداد المحلى لو أن حزب البعث كان موزعاً بالتساوى على جميع سكان سوريا)، وفى اللاذقية بنسبة ١٤٦٪ · ويمكن تفسير النسبة المنخفضة فى اللاذقية بالنظر إلى ارتفاع عدد سكانها المدنيين (ومعظمهم سنيون) (٤١،٨٪ مدنيون فى اللاذقية مقابل فقط ٢٠،٢٪ فى طرطوس)· ولدى اعتبار اللاذقية وطرطوس سوياً يكون التمثيل أكثر من المتوسط بنسبة ١٧٠،٥٪ ·

---

١١ هانى خليل، حافظ الأسد، الدولة الديمقراطية الشعبية، دمشق، ١٩٩٢، ص ٤٤٠ ·

وفي مدينتي دمشق وحلب نجد أن أعضاء حزب البعث العاملين كانوا "ممثلين أقل من المتوسط" نسبياً بحوالى ٧١٪ و٤١٪ على التوالى، مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه النسبة مُحسَّنة، حيث أن العديد من البعثيين الريفيين الذين هاجروا لمثل هذه المدن الكبيرة نُقلت عضويتهم لفروعهم الحزبية الجديدة (المدنية أساسا)· ومن بين المناطق الريفية الأخرى نجد أن المناطق الجنوبية فقط هى التى كانت أيضاً ممثلة جلياً أكثر من المتوسط: فرع الحزب بالسويداء (الدرزى أساسا) كان ممثلاً أكثر من المتوسط بنسبة مرتفعة بشكل خاص ٢٠٢٪، بينما درعا (حوران) (السنى أساساً) كان ممثلاً أكثر من المتوسط بنسبة ١٣١٪، وفرع القنيطرة (الجولان) الريفى أساساً كان ممثلاً أكثر من المتوسط بنسبة ١٨٦٪ · ومن الممكن أن يكون السبب وراء هذا التمثيل العالى هو الاحتلال الاسرائيلى للجولان والذى ربما يكون قد حرض السكان - الذين أصبح الكثير منهم لاجئين بعد حرب ١٩٦٧ - على أن يكونوا أنشط سياسياً · وعلاوة على ذلك، كان يتم التعامل مع فرع القنيطرة كوحدة مستقلة، بغض النظر عن أن معظم أعضائه كانوا مضطرين للإقامة بعيداً عن بلدتهم، ولم يتم تحويل عضويتهم لفروع المناطق التى ارتحلوا إليها[١٢]·

---

[١٢] انظر الجدولين ٨ و ٩ المقتبسين عن التقرير التنظيمى ١٩٨٥ · ويعطى العمود الرابع والسادس والأخير من الجدول ٩ نسبة العضوية الكلية والسكان، وقد تم إضافة ذلك للأصل من أجل المزيد من التوضيح· حزب البعث الاشتراكى العربى، القطر العربى السورى، القيادة القطرية، تقرير المؤتمر القطرى الثامن ومقرراته، المنعقد فى دمشق فى الفترة الواقعة بين ١٩٨٥/١/٥ و١٩٨٥/١/٢٠:التقرير التنظيمى (دمشق ١٩٨٥)، والمشار إليه فيما بعد بالتقرير التنظيمى ١٩٨٥، ص ٥٦ ، ٥٧؛ الجمهورية العربية السورية، مكتب رئاسة مجلس الوزراء، المكتب المركزى للاحصاء، المجموعة الإحصائية ١٩٩٢، ص ٥٢ ، ٦١ ·
عند حساب نسبة أعضاء الحزب العاملين فى كل فرع من فروع الحزب نجد أن الأعضاء بفروع الحزب من قوى الأمن وجامعات دمشق وحلب واللاذقية ("جامعة تشرين") الواردين بالجدول ٨ قد تم استبعادهم، حيث أنهم لا يشكلون مؤشراً واضحاً عن الخلفية الإقليمية للأعضاء· وقد تم إسقاط الأرقام الخاصة بالجنس، حيث أنها تقع خارج نطاق هذه الدراسة· وفى الجدول ٩ المقتبس عن التقرير التنظيمى ١٩٨٥ نجد أن أعضاء الحزب من جامعات دمشق وحلب واللاذقية قد تم إضافتهم لفروع الحزب المحلية، وبذلك حصلت كل من دمشق وحلب على نسبة أعلى بشكل جوهرى من العضوية الكلية، تفوق ما كان يجب أن تكون عليه لو أن الأساس كان عدد الأعضاء الأصليين· انظر أيضاً
Raymond Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria, pp. 177 - 189,
من أجل تحليل للتركيب الإجتماعى لعضوية حزب البعث استناداً للتقرير التنظيمى ١٩٨٥ · وبعد تقلد حافظ الأسد زمام الحكم فى ١٩٧٠، أصبحت عضوية جهاز الحزب - طبقا لمصطفى

ولا بد من ملاحظة أن التمثيل القوى للدروز والمناطق الريفية الجنوبية بوجه عام لم يكن معكوساً بأى حال من الأحوال فى الرتب الأعلى للتنظيم العسكرى الجبار لحزب البعث المسيطر عليه من قبل العلويين.

وعند مقارنة أعداد العضوية كنسبة سكان كل منطقة المؤهلين لأن يصبحوا أعضاء (أى، ١٤ عاماً فأكثر) (انظر الجدول ٩) تظهر لنا صورة مشابهة. فبينما متوسط العضوية فى جميع أنحاء الدولة يصل إلى ٨،٣٦٪ من مجموع السكان، إلا أن فروع اللاذقية (١٤،٩١٪) وطرطوس (١٤،٨٥٪) والسويداء (١٦،٥٣٪) والقنيطرة (١٤،١٢٪) تظهر تمثيلاً أكثر من المتوسط بشكل لافت للنظر. وإذا أخذنا معاً فرعى اللاذقية وطرطوس العلويين أساساً من حيث الأعداد المطلقة (١٩،١٥٪) نجدهما يشكلان الجزء الأكبر من تنظيم الحزب الكلى (انظر الجدول ٩).

ويذكر التقرير التنظيمى لعام ١٩٨٥ انه فى الفترة السابقة للمؤتمر القطرى السابع (المنعقد فى يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠) كان جهاز الحزب مغموراً بالآف الأعضاء الجدد الذين تمتعوا بلقب "نصير" دون مراعاة قواعد ومعايير القبول الموضوعية. ونتيجة لذلك، تضخم الحزب إلى حد أنه لم يعد قادراً على استيعاب الأعضاء الجدد - مما جعلهم عبئاً على قيادة الحزب.

وبعد ذلك، فى الفترة ما بين ١٩٨٠ و ١٩٨٤، تقرر فصل حوالى ١٣٣،٥٨٠ عضواً "نصيراً" من الحزب، أى أنه تم تصفية حوالى ثلث جهاز الحزب بالكامل فيما يتعلق بالأنصار. وخلال الفترة ذاتها تم تصفية ٣٢٤٢ من الأعضاء العاملين، وهى نسبة تصفية أقل كثيراً وتتعدى بالكاد ٤٪[١٣].

طلاس - مفتوحة لجميع السوريين، بمن فيهم غير العرب كالأكراد (المُعَرَّبين) والشراكسة والأرمن. (مصطفى طلاس، مرآة حياتي، ص ٣٢٤، الحاشية رقم ١). بيد أن عدد الأعضاء من غير العرب داخل حزب عربي قومي كحزب البعث كان محتوماً أن يبقى صغيراً.
وحول التكوين الطائفى لسكان الجولان قبل الاحتلال الاسرائيلى انظر: أديب سليمان باغ، الجولان: دراسة فى الجغرافية الإقليمية، دمشق ١٩٨٤، ص ٢٥٧ - ٢٩٢، الذى يعطى تقديرات تقريبية: السنيون ٨٠٪، الدروز ١٠٪، العلويون ٤٪، والمسيحيون ٥٪ .

١٣ التقرير التنظيمى ١٩٨٥، ص ٣٦، ٣٧، ٥٧ .

وتم وصف الوضع فى التقرير التنظيمى (١٩٨٥) كالآتى:

برزت **ظاهرة التسيب فى صفوف الانصار** قبل المؤتمر القطرى السابع، من خلال اتباع سياسة التوسع فى التنسيب بتغليب الكم على حساب النوع، مما نتج عنه تنسيب الآلاف من المواطنين دون مراعاة معايير التنسيب المقررة فى النظام الداخلى، وهذا بالتالى أدى الى تضخم جهاز الانصار بشكل فاق قدرات المؤسسات الحزبية على الاستيعاب والقيادة وحسن الاشراف، بسبب قلة وضيق المقرات الحزبية، وقلة الاطر القيادية المؤهلة مسبقا لهذه الغاية، والافتقار لمستلزمات العمل الحزبى الذى يتطلبه هذا التضخم، مما أدى الى الاهمال والانقطاعات وبروز ظاهرة التسيب تدريجيا، وهذا الامر رتب عبئا ثقيلا على القيادات الحزبية اللاحقة وأربكها، مما اضطرها لاتخاذ قرارات الفصل الجماعية، وفصلت بالآلاف وهكذا "المقدمات الخاطئة أدت بالضرورة الحتمية الى هذه النتائج" حيث بلغ عدد الرفاق الانصار المفصولين خلال هذه الدورة ١٣٣،٥٨٠ (مئة وثلاثة وثلاثون الفا وخمسمئة وثمانون) نصيرا·

وقد قيل فى هذا الموضوع ان التنسيب الحاصل فى بعض الفروع كان وهميا، وحقيقة الامر بعد التدقيق والتحقيق فيه تبين أن التنسيب لم يكن وهميا بل كيفيا عشوائيا، بهدف بلوغ الارقام المقررة فى الخطط والتبارى فيمن ينسب أكثر· وان المنتسبين موجودون على أرض الواقع أحياء يرزقون، لكن وجودهم فى الحزب ليس أكثر من حبر على ورق·

وبالرغم من دراسة هذه الظاهرة، اقتصرت المعالجة على الفصل بأعداد كبيرة، وبقيت الظاهرة بحاجة الى الكثير من الاهتمام لمعالجتها بأساليب متعددة آخرها الفصل[١٤]·

وطبقاً للاحصائيات المنشورة فى التقرير التنظيمى (١٩٨٥) فان حوالى ٣٩،٥٪ من ١٣٣،٥٨٠ عضواً نصيراً جديداً كان قد تم فصلهم خلال العامين الأولين (١٩٨٠ - ١٩٨١) عقب المؤتمر القطرى السابع· وبينما تم تنفيذ تدابير الفصل خلال هذه الفترة بالتساوى تقريباً على معظم المناطق السورية، إلا أن الفصل فى منطقة اللاذقية كان فوق المتوسط بشكل واضح· ودل هذا على أن تطبيق الاجراءات هناك كان أكثر تسيباً منه فى مناطق أخرى· ومن بين جميع الأعضاء "الأنصار" المفصولين فى ١٩٨٢ (١٤،٥٨٤) نجد أن أكثر من نصف هذا العدد (٥٢٪) من فرع الحزب بحماة· وهذا لا يدعو للدهشة، حيث أنه فى عام ١٩٨٢ وضعت العلاقات الاجتماعية فى حماة تحت أدق

---

١٤ التقرير التنظيمى ١٩٨٥، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ ·

الاختبارات لدى اندلاع المواجهات الدامية فى فبراير (شباط) من هذا العام بالعاصمة الإقليمية بين الإخوان المسلمين والقوات المسلحة السورية التى حاصرت المدينة حينذاك· فعندما حاول الإخوان المسلمون تحقيق استقطاب طائفى داخل القوات المسلحة السورية ونظام البعث، ظهر عدم ولاء وعدم ثقة العديد من الأعضاء المدنيين الأنصار الذين كان قد تم تعيينهم فيما سبق على أساس عشوائى· لذلك، كان لا بد من فصل أعداد كبيرة[١٥]·

وسبب آخر لضرورة فصل العديد من الأعضاء "الأنصار" وغيرهم كان ظاهرة الانتهازية التى تفشت داخل الحزب خلال منتصف الثمانينات بسبب نجاح الكثير فى أن يصبحوا جزءاً من النظام، وذلك بغرض تحقيق مكاسب مادية وغيرها من الامتيازات الموجودة· ويبدو أن الحملات السابقة ضد الفساد باءت بالفشل· وقد وصف التقرير التنظيمى (١٩٨٥) الوضع كالآتى:

ظاهرة الانتهازية

عندما تغلب الكم على النوع - كما أسلفنا - تسرب الى صفوف الحزب انتهازيون وشكلوا ظاهرة خطيرة، فهؤلاء لا ينقطعون عن الاجتماعات، ولا يتخلفون فى دفع الاشتراكات، ويظهرون الطاعة والولاء والتزام، وهم كالزئبق الرجراج، لا رأى لهم فى أمر، صوابا كان ام خطأ، شغلهم الشاغل الوصول الى مواقع القيادة والمسؤولية، لتحقيق المكاسب المادية والمعنوية، وجنى الثمار على حساب المناضلين وسمعة الحزب فى آن واحد، معتقدين ان وجود الحزب وجود مؤقت، وانه زائل بعد حين، ولهذا يغتنمون الفرص للاثراء غير المشروع، بامتلاك المساكن، واقتناء النفائس وحيازة المزارع والاتجار بالعقارات وممارسة السمسرة والتهريب وتسخير آليات الحزب والدولة لأغراضهم الشخصية الخاصة، ضاربين عرض الحائط بقيم الحزب النضالية الثورية· ومعالجة هذه الظاهرة المدمرة مسؤولية مؤتمركم هذا والقيادات المختلفة مستقبلا، اذ يتوجب حجب الامتيازات بأنواعها عن هؤلاء ومحاسبتهم، واعطاء المهام فى القيادة والمسؤولية للرفاق المناضلين وفق معايير النضال الثابتة[١٦]·

---

١٥ التقرير التنظيمى ١٩٨٥، ص ٣٧ · فى هذا التقرير، ص ٣٧١ - ٣٧٢ هناك زعم بأن القوات المسلحة تأثرت بالكاد من المواجهات مع الإخوان المسلمين· انظر الفصل الثامن·

١٦ التقرير التنظيمى ١٩٨٥، ص ٣٣٣ ·

وقد وصلت عضوية الحزب فى اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٥ إلى ٥٣٧،٨٦٤ عضوا، من بينهم ١٠٢،٣٩٢ عضوا عاملا و٤٣٥،٤٧٢ "نصيرا". وهذا يعنى أنه فى الفترة ما بين ١٩٧٨ و١٩٨٥ ارتفع عدد أعضاء الحزب المدنيين إلى أكثر من الضعف، على الرغم من التصفيات العديدة المذكورة بعاليه[١٧]. وكان امتياز حضور مؤتمرات حزب البعث القطرية يُمنح فقط للأعضاء العاملين الذين امتدت عضويتهم لعشر سنوات على الأقل، بجانب أعضاء القيادة القطرية واللجنة المركزية وممثلى شُعب الحزب وبعض القطاعات الأخرى[١٨]. بيد أن صرامة هذه القواعد لم تستبعد الإمكانيات الأخرى البديلة للإضطلاع بدور فعال داخل حزب البعث والنظام.

ويمكن استنتاج أن جهاز الحزب المدنى كان يعكس بنية السلطة داخل جهاز الحزب العسكرى وليس العكس. وكما كان الحال داخل صفوف الجيش، فإن تمثيل الريفيين كان قويا بين البعثيين المدنيين، وخاصة من اللاذقية. بيد أنه على عكس ذلك، لم ينعكس التمثيل القوى بين المدنيين فى المناطق الريفية الجنوبية - بما فى ذلك منطقة السويداء التى يسودها الدروز - داخل جهاز حزب البعث العسكرى. لقد قام البعثيون المدنيون بدور مؤيد ومكمل للحكام العسكريين الذين تمتعوا بسلطة مطلقة، ولولا تأييدهم لأصبح المدنيون مسلوبى السلطة. إن تصفية ٣٠٪ من الأعضاء المدنيين من الحزب فى غضون فترة وجيزة نسبيا دون حدوث ردود فعل خطيرة على الاستقرار الداخلى للنظام إنما هو مؤشر واضح لوضع البعثيين المدنيين الثانوى بالنسبة للبعثيين العسكريين: فلم يكن البعثيون المدنيون يتمتعون بأى سلطة بديلة. وقد جادل ريموند هينيبوش بأنه "مهما ضعف المركز إلا أنه مرتبط بالمجتمع عن طريق شبكة كثيفة من التركيبات التى أقامت أسسا متينة فى القرى". ومع ذلك، فإن الجهاز العسكرى يقوم بدور محورى فى قيادة الدولة السورية، وبدونه تفقد شبكات حزب البعث الجماهيرية/الريفية قواعد سلطتها[١٩].

١٧ قارن المناضل، العدد ١٢٩، يناير (كانون الثانى) ١٩٨٠، ص ١١، ٩٤.
انظر الحاشية رقم ٣٧ من الفصل السابع.

١٨ التقرير التنظيمى ١٩٨٥، ص ٣٥١.

١٩
Raymond A. Hinnebusch, Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party and Peasant, pp. 155, 162, 301 - 324.

مسألة الخلافة

أبناء الأسد

في أوائل التسعينات كان الكثير من السوريين يعتقدون أن باسل الأسد، النجل الأكبر للرئيس الأسد، كان يجهز لخلافة والده، رغم أن الأمر لم يكن قد ذكر أو حتى تأكد بصورة رسمية أبدا ٠ وفي ١٩٩٠ تمت الاشارة للرئيس الأسد للمرة الأولى علناً بأبي باسل، البالغ من العمر آنذاك ٢٨ عاماً ٠ وقد كان يشار إلى حافظ الأسد من قبل بأبي سليمان، رغم أنه لم يكن له ولد بهذا الاسم٠ فقد أصبح باسل هو الساعد الأيمن للرئيس، وكان موضع ثقة، كما عُرف عنه أنه من الشخصيات البارزة القليلة التى لم يلطخها الفساد٠ فقد كان يُعهد إلى باسل بمهام خاصة، على سبيل المثال فى مجال مكافحة الفساد والتهريب والتدخل فى تسوية الضغائن التي كانت تمتد لتشمل بعض أفراد عائلة الأسد ذاتها٠ وكان باسل الأسد عضواً بالحرس الجمهوري ورئيس أمن الرئاسة وعُهد إليه بقيادة لواء مدرع (واعتبر لواؤه جزءاً من النخبة فى القوات المسلحة) وهو برتبة رائد فقط٠ ونظراً للصفات الرائعة التى اتسم بها من أمانة وولاء وجد ونشاط، واستعداده الدائم لمساعدة الآخرين، أصبح باسل بمثابة رمز الوطنية والمثل الأعلى للجيل الجديد فى سوريا، حتى أن الكثيرين من شباب سوريا بدأوا يتمثلون أسلوبه وحتى مظهره ولحيته القصيرة٠ ولكن فى ٢١ يناير (كانون الثانى) ١٩٩٤ لقى باسل حتفه اثر حادث سيارة عن عمر يناهز ٣٢ عاماً ، حيث تلاشت بشكل مفاجىء جميع التطلعات نحو إمكانية أن يخلف باسل والده[٢٠]٠

ورغم أن أحداً من أنجال الأسد الآخرين لم يُظهر ما تمتع به باسل من صفات، إلا أن النجل الثاني، الدكتور بشار، قد ورد ذكره على لسان العديد من المسئولين السوريين البارزين أثناء تأبين باسل، باعتباره الشخص الطبيعي

---

٢٠ بعد وفاة باسل صدرت عدة كتب فى تأبينه٠ انظر: رياض سليمان عواد، الشهيد الحي باسل الأسد، دمشق، ١٩٩٤؛ وغازى الموسى، منارة الأجيال باسل حافظ الأسد، دمشق، ١٩٩٤؛ البعث، عدد خاص فى ذكرى أربعين فقيد الوطن، الفارس باسل الأسد، مارس ١٩٩٤؛ بهجت سليمان، المنظومة الفكرية للبطل باسل الأسد، دمشق، ١٩٩٤؛ شهادات فى معالم الشهيد باسل الأسد، دمشق، ١٩٩٤ ٠

لوراثة دور باسل[٢١]. وقد غطى الإعلام السورى بشكل واسع عملية تقلد بشار المهام التى كان يقوم بها شقيقه الأكبر من قبل. وفى ١٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٤ خلال الاحتفال بالذكري الرابعة والعشرين "للحركة التصحيحية" للرئيس حافظ الأسد عام ١٩٧٠ تخر ج بشار الأسد (فى سن الثامنة والعشرين) رسمياً من الكلية العسكرية فى حمص "كضابط قيادى" برتبة نقيب بعد نجاحه فى دورة قائد كتيبة دبابات وحصوله على المركز الأول بين دفعته. وقد حصل على المركز الثانى قريب بشار وهو ابن عدنان مخلوف قائد الحرس الجمهورى. وقد بدا وكأن جيلاً من الشباب (العلوي) الذى يتكون جزئياً من أبناء وأقارب اللواءات العلويين كان فى طريقه إلى التكوين ليخلف فى النهاية الجيل السابق. وقد دلت بعض التزكيات والتنقلات والتسريحات داخل القوات المسلحة والمخابرات وفروع الأمن عامى ١٩٩٤ و ١٩٩٥ على أن هذا هو الاتجاه المتبع، كما أنها تضمنت فى الوقت ذاته بعض العناصر المحتملة لنشوب نزاعات بين الأجيال داخل المجتمع العلوى.

وخلال احتفال ١٧ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٤ رحب العماد مصطفى طلاس وزير الدفاع رسمياً بانضمام النقيب الدكتور بشار الأسد إلى سلاح المدرعات فى الجيش السورى، وذلك "باسم القوات المسلحة السورية". بيد أنه لا بد من ملاحظة أن أسلوب بشار كشخصية قيادية كان موضع انتقاد وتساؤل من قبل البعض، ومن بينهم اللواء العلوى على حيدر الذى اعتقل هو وآخرون لفترة ما فى صيف ١٩٩٤ لهذا السبب وبشكل مؤقت. ويقال إن أحد الأسباب الأخرى لاعتقاله هو على ما يبدو انتهاكه الواضح لمحظور الطائفية: ففى أثناء أحد اجتماعات كبار الضباط مع العماد حكمت الشهابى، رئيس الأركان الذى كان يهم بمناقشة إمكانية تحقيق سيناريو للأمن الإقليمى عقب اتفاقية سلام مع اسرائيل، اعترض حيدر قائلاً "نحن مؤسسى النظام (أى العلويين) لا نبغى فقط مناقشة خطط طوارىء بل نريد أن يكون لنا رأى فى عملية السلام ذاتها". ورغم أن جميع الضباط الحاضرين (والكثير منهم علويون) كانوا يدركون تماماً الدور الخطير الذى يلعبه العلويون داخل

---

٢١ انظر مقدمة الدكتور محمد سلمان، وزير الإعلام السورى، لكتاب شهادات فى معالم الشهيد باسل الأسد، دمشق، ١٩٩٤، ص ١٠، الذى قال: "ولنا فى أشقاء باسل، وفى المقدمة منهم الدكتور النقيب بشار والنقيب المهندس ماهر، ما قد يخفف وقع الفجيعة ويجعل السير على ذات الخط ميسوراً حتى تستكمل السيرة مسيرتها، ونحفظ العهد والنهج اللذين أرساهما القائد الكبير الرئيس حافظ الأسد".

النظام، إلا أنه كان من المحظور التحدث فى الأمر علانية أو حتى بطريقة غير مباشرة. علاوة على ذلك فمن الممكن تفسير ملاحظات حيدر على أنها انتقاد غير مباشر للخط الذى كان يسلكه الرئيس حافظ الأسد فى مفاوضات السلام مع اسرائيل[٢٢].

ويبدو أن بشار قد عُهد إليه بمسئوليات عسكرية تفوق رتبته الصغيرة، حاله حال أخيه باسل من قبله. وفى يناير (كانون الثانى) ١٩٩٥ تمت ترقية بشار إلى رتبة رائد بالحرس الجمهورى[٢٣]. وأخذت نشاطات بشار العسكرية والسياسية تكتسب تدريجياً المزيد من الدعاية من خلال الإعلام السورى، ففى تقرير صحفى من دمشق، اعلن مثلاً ان بشار الاسد "بدأ عملياً بإعلان الحرب على الفساد وملاحقة القيمين عليه ومحاسبتهم" و "شن حملة ضد التهريب" وانه "شكل فريق عمل متكاملاً يتلقى شكاوى المواطنين من كل انحاء البلاد للوقوف عليها وحلها". كما اعلن ان "مستقبله العسكرى لن يقل أهمية عن مستقبله السياسى" وأنه "ليس مفاجئاً أن يكون الرائد بشار على رأس عمل ميدانى يقام فى مكان ما، أو يكون مراقباً أو متابعاً لنتائجه التى يحرص على أن تكون ناجحة ومتميزة، وهو ما جعله مصدراً للمشورة لكثير من الضباط"[٢٤]. واعلن أيضاً إن بشار الأسد يستقبل السياسيين اللبنانيين، ومن

---

٢٢ قارن الحياة، ٢٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٤؛
The Middle East, October 1994, p.19; Jane's Intelligence Review, Vol. 7, No. 3, March 1995, pp. 126-127.

٢٣ قارن الحياة، ٢٢ فبراير (شباط) ١٩٩٤، ٢٥ أغسطس (آب)، ٦ و٢٧ سبتمبر (أيلول)، ١ و١٩ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٤، ٢١ يناير (كانون الثانى) ١٩٩٥؛ البعث، ١٨ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٤؛ الأهرام، ٣ و٤ مارس (آذار) ١٩٩٤؛ فنون، دمشق، ٢ مايو (أيار) ١٩٩٤؛
Le Monde, 16 August 1994; Ben Wedeman, "Basil's Sudden Death Threatens Syria's Future", The Middle East Times, 31 January - 6 February 1994; The Middle East, October 1994, p. 19; Alasdair Drysdale & Raymond A. Hinnebusch, Syria and the Middle East Peace Process, p. 29.
قارن عزت السعدنى، باسل فى عيون المصريين، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٧٨، ٢٦١ - ٢٨٥؛ الباسل لن يغيب أبداً (عدد خاص لمجلة اقتصاديات حلب، يناير (كانون الثانى) ١٩٩٥)، ص ٨٩ .

٢٤ ابراهيم حميدى، "ملفان بارزان: لبنان ومحاربة الفساد. الرائد بشار الاسد يقتحم العمل السياسى"، الوسط، العدد ١٧٠، ١ مايو (أيار) ١٩٩٥، الذى أنهى مقاله بأن "غياب الرائد باسل الأسد دفع شقيقه بشار الى واجهة العمل السياسى بكل تفاصيله، فتركزت الأنظار عليه وصارت

بينهم وزراء وأعضاء المعارضة، كما قام بزيارة الرئيس اللبناني فى قصره ببعبدا، لمناقشة الوضع السياسى فى لبنان· ولا يمكن تفسير مثل هذه النشاطات إلا كعملية تحضير نحو تقلد مسئوليات سياسية رفيعة· وقد علق أحد كبار المسئولين السوريين على ذلك قائلا:

ان بشار يتمتع بحيوية وديناميكية كبيرتين وانه ينتمى الى شجرة الاسد العريقة ··· ان الرائد بشار ضمان للاستقرار وضمان نهج الرئيس الاسد وانه شديد الشبه بوالده الرئيس السورى[٢٥]·

وبعد وفاة باسل فى ١٩٩٤ ظهر العديد من الملصقات والصور الجدارية فى جميع أنحاء سوريا تحمل صورة الرئيس حافظ الأسد وابنه المتوفى· وفى عام ١٩٩٥ بدأت تظهر صور الرئيس حافظ الأسد مع الأبن الراحل باسل وبشار معاً·

بعض سيناريوهات الخلافة

فى مقابلة مع مجلة "تايم" فى ١٣ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٢، رد الرئيس الأسد حول التساؤل عن من سيكون خليفته قائلاً:

ليس لدى خليفة· إن من يحدد الخليفة هم المؤسسات والمنظمات الحكومية والدستورية والمؤسسات الحزبية، وأنا اؤمن أنها جميعها تتمتع بجذور عميقة نظراً لخبرتها الطويلة الممتدة عبر عشرين أو اثنين وعشرين عاماً، وهى قادرة على احتواء هذا الموقف[٢٦]·

تتابع صعوده اللافت· مجلة "تايم"، الامريكية، ذكرت فى أحد اعدادها الصادرة قبل نهاية العام ١٩٩٤ ان الدكتور بشار [ربما] سيكون واحداً من صانعي التاريخ فى القرن المقبل، وأوردت اسمه بين اسماء مئة شخصية اعتبرت انها [ربما] ستقود العالم فى القرن الحادي والعشرين"· قارن Time، ٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٤، ص ٣٨ ·

٢٥ الحياة، ١٠ فبراير (شباط) ١٩٩٥ · وحول زيارة بشار الأسد للرئيس اللبناني فى ٢١ مايو (ايار) ١٩٩٥، انظر الحياة، ٢٢، ٢٣ و٢٦ مايو (ايار) ١٩٩٥ ·

٢٦ انظر: العدد الخاص من Syria Times، ١٣ نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٩٢ ·

وقد يتضح أن مسألة الخلافة غير أكيدة على النحو الوارد بعاليه. فمع رحيل حافظ الأسد سينشأ وضع جديد قد يتغير فيه الكثير من الأمور، حيث أن البنية الحالية تعتمد لحد كبير على شخص الرئيس ذاته. وفى حالة وفاة الرئيس بشكل طبيعى، سيبدو منطقياً أن تنتقل السلطة أولاً بأسلوب دستورى لأعلى الرتب فى الدولة والحكومة والجهاز الحزبى، وقد يظل أنصار حافظ الأسد العسكريون البارزون من العلويين وأتباعهم لفترة ما مخلصين لبعضهم البعض، فيحكمون الدولة كمجموعة، بالاشتراك مع بعض البعثيين المدنيين وكبار العسكريين الصوريين من السنيين الذين تقلدوا مناصب هامة داخل الحزب والحكومة لزمن طويل. وقد يتقبل اللواءات العلويون بشار نجل الرئيس الأسد مؤقتاً كقائد صورى يوحد صفوفهم ويجسد رمزياً رغبتهم فى استمرارية تراث الرئيس لبعض الوقت، وأيضاً من أجل تفادى الانشقاق بين صفوف العلويين.

وفى سوريا لم يحدث أن نجح تطبيق مبدأ القيادة العسكرية الجماعية لفترة طويلة، فإذا جاء من يحتذى بالماضى فسيجد أن هذا لن يفيد إلا مؤقتاً، وسرعان ما سيظهر صراع جديد على السلطة بين صفوف العلويين. وكما ذكر بعاليه، فإن أنصار حافظ الأسد العسكريين البارزين من العلويين، حالهم حال الرئيس، قد تقدمت بهم السن، ولذلك فهو ليس من المتوقع أن يستمروا طويلاً بعد الرئيس. وقد يؤدى الصراع على السلطة بين صفوف العلويين إلى العديد من التصفيات الداخلية فينتهى الأمر بظهور ضابط علوى آخر - ربما من جيل أصغر - يتقلد زمام الحكم. وقد يكون هذا السيناريو دموياً، أو قد يكون سلمياً نسبياً، لو أن العسكرية العلوية قررت لأغراض عملية أن تبقى متماسكة من أجل الحفاظ على سلامتها وبقائها، ومن أجل عدم المخاطرة بالتحسينات الهائلة التى تمتع بها العلويون كمجموعة فى ظل الحكم البعثى فى جميع المجالات -كالتعليم والوضع الإجتماعى والأوضاع الإقتصادية والإمتيازات والسلطة العسكرية والمدنية. وقد ترغب مجموعات أخرى من الأقليات الريفية لأسباب مشابهة فى الإمتناع عن التدخل فى الصراع على السلطة. ويبدو أن الكثير من المسيحيين يفضلون نظام الأسد أو خليفة علوياً عن أى بديل أصولى سنى.

والسيناريو البديل لذلك قد يكون قيام بعض الضباط العلويين بالبحث عن حلفاء عسكريين وسياسيين خارج مجموعتهم من أجل تعضيد مراكزهم

ضد منافسيهم. وعلى العكس، قد يسعى السنيون وآخرون غير العلويين، ضباطاً وسياسيين، للتحالف مع ضباط علويين، بغية اختراق التضامن العلوى وتحقيق أغراض سياسية بديلة. وهنا قد تتمزق بنية النظام الحالى وتتم الإطاحة بالسيادة العسكرية العلوية بشكل دموى. لذلك، فالسيناريو الذى تتم فيه الإطاحة بالنخبة العلوية الحاكمة سيكون حتماً عنيفاً للغاية. إن إمكانية انتقام مجموعات من السكان من مظاهر القمع التى عانوا منها فى ظل الحكم البعثى تحت سيطرة علويين أمر وارد بوضوح.

وقد علق ديفيد روبرتس بأن :

> العلويين أصبح لديهم الآن كم هائل من الأعداء والكثير من الضغائن الدموية، مما يجعل من المستبعد أن يغامروا بالسماح بخروج السلطة من بين صفوفهم، خشية وقوع تصفية مروعة للحسابات[٢٧].

بيد أن الطموحات الشخصية داخل الدوائر العلوية وغيرها من العوامل قد تؤدى إلى انقسام صفوف العلويين وإضعاف تضامنهم. وبالأخذ فى الاعتبار بالتحسينات الهائلة لمركزهم فى ظل الحكم البعثى، نجد أن العلويين يجازفون بشكل عام بالكثير. لذلك، فالسيناريو الذى تتم فيه الإطاحة بالنخبة العلوية الحاكمة سيكون حتماً عنيفاً للغاية. وطالما ظلت السيطرة العلوية فإن المعارضة السنية ستظل تشكل خطراً محتملاً على النظام، ولو بالأمد الطويل.

وهناك سيناريو ثالث ينبثق عن الأول، وهو إمكانية قيام تحالف بين العسكريين العلويين والمدنيين البرجوازيين السنيين، بحيث تتطور الأمور نحو المزيد من التعددية والديمقراطية، إلا أن الاستمرار فى الفساد والاستياء من الأوضاع الإقتصادية بين قطاعات كبرى من المجتمع قد يشكل عقبات جسيمة. هذا بالإضافة إلى أن مثل هذا التحالف بين العسكريين العلويين والبرجوازيين السنيين سيبدو وكأنه قائم أساساً بسبب التطابق المؤقت بين المصالح المشتركة التى لا تضمن نجاح مثل هذا السيناريو على الأمد البعيد. بالإضافة إلى ذلك فإنه جدير بالملاحظة أن التحرر الاقتصادى لا يؤدى

---

٢٧ David Roberts, The Ba'th and the Creation of Modern Syria, London, 1987, p. 145.

بالضرورة إلى الديمقراطية[٢٨]. فخلال المؤتمر الذى عـُقد فى لندن عام ١٩٩٣ حول التغيير الاقتصادى والسياسى فى سوريا، نزع الحاضرون إلى أن

> التحرر الاقتصادى فى سوريا غالباً ما سوف يـُفضى إلى تغيير سياسى محدود؛ وأنه فى غياب ضغوط إضافية لن يتحقق التحرر السياسى الكامل أو حتى الديمقراطية، حتى رغم احتمال 'عودة الحياة السياسية'[٢٩].

وفى هذا الشأن يلاحظ فولكر برتس، أحد المشتركين فى المؤتمر، أن

> الحالة السورية تتعارض مع الحجج المناسبة التى كثيراً ما تتردد فى نقاشات غربية حول سياسة التنمية والتى تفيد بأنه لا يمكن الفصل بين التحرر الاقتصادى والتحرر السياسى، وأن التحرر الاقتصادى يؤدى إلى مزيد من التحرر السياسى والديمقراطى وينتهى بالاعتماد عليهما ... ومن الممكن اعتبار التعددية المحدودة والانتقائية

---

٢٨ انظر
Raymond A. Hinnebusch, 'State and Civil Society in Syria,, The Middle East Journal, Vol. 47, No. 2, Spring 1993, pp. 256-257.
فى دراسته حول الطوائف والعرقية والأقليات فى العالم العربى يخلص سعد الدين ابراهيم إلى أن "مبادىء الفيدرالية والديمقراطية والمجتمع المدنى معاً تمثل مفاتيح السلم الاجتماعى والتطور السياسى والنمو الاقتصادى والتقدم الحضارى، وهى لا تلغى التنافس أو الصراع فى أى مجتمع، ولكنها تحول المجتمع إلى حلبة مفتوحة يسعى فيها الجميع إلى خدمة مصالحهم، والحفاظ على هوياتهم الفرعية، دون تدمير الحلبة، ودون أن يكون ذلك على حساب المصلحة العامة أو على حساب الهوية الوطنية - القومية الأكبر. بتعبير آخر، إن ثالوث الفيدرالية والديمقراطية والمجتمع المدنى من شأنه أن يدار معه التنافس والصراع فى المجتمع، بشكل سلمى منضبط، وأن تكون جدلياتها من الطبيعة التراكمية، التى لا تنتقص من أحد وتضيف للجميع فى نهاية المطاف، واذا كان ذلك سيساعد على مواجهة خلاقة لمسألة الأقليات فى أقطارنا العربية، فإنه - بالقدر نفسه - يسهم فى تحرير الأغلبية فى الوطن العربى كله، وهو الذى يسهل للعرب جميعاً الخروج من زقاق التاريخ إلى الطريق السريع العام للإنسانية ... مع مطلع القرن الحادى والعشرين." سعد الدين ابراهيم، الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات فى الوطن العربى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤، ص ١٦ و٧٦٣ . وفى دراسة ابراهيم، يشير مفهوم الفيدرالية على وجه الخصوص إلى دول ذات أقليات عرقية كبيرة، مثل العراق والسودان. أما فى سوريا، فإن توحيد المجتمع المدنى والديمقراطية قد يوفران حلاً.

٢٩
Eberhard Kienle (ed.), Contemporary Syria, p. 10.

التى يمنحها النظام بمثابة أسلوب 'للحفاظ على النظام' أكثر منه أسلوباً للديمقراطية أو التحرر السياسى الملموس ••• فالحالة السورية تقول لنا إن التحرر الإقتصادى أمر ممكن وناجح دون الحاجة لأن يصحبه تغيير سياسى حقيقى[٣٠].

وبأخذ نتائج هذه الدراسة فى الاعتبار يبدو أنه من العسير للغاية أن نتخيل سيناريو يتحول فيه النظام الحالى الاستبدادى بقاعدته الضيقة والذى يسيطر عليه أعضاء من الأقلية العلوية التى عانت فى الأصل من التمييز فى المعاملة من قبل الأغلبية السنية وقامت بدورها بقمع جانب من السكان السنيين بقسوة فى العديد من المناسبات - إلى قاعدة ديمقراطية أوسع - بأسلوب سلمى - تشمل نسبة أكبر من الأغلبية السنية•

إن التحول من ديكتاتورية يسيطر عليها علويون إلى ديمقراطية فى سوريا إنما يعنى أن المؤسسات القمعية الحالية لا بد وأن تُحل، وأن النظام عليه أن يتخلى عن مراكزه المتميزة• وبما أنه يبدو أن الأغلبية السنية بوجه عام لم تتخل عن تحيزها وموقفها السلبى المعتاد تجاه الديانة العلوية والعلويين بشكل عام - بل ومن الممكن الجدل بأن الضغائن السنية ضد العلويين قد ازدادت نتيجة الديكتاتورية التى يسيطر عليها علويون - فمن المنطقى أن نتوقع أن القادة العلويين فى مراكزهم المرموقة ليس بوسعهم أن يعولوا على كثير من التفهم من قبل نظام أكثر ديمقراطية (أو ربما أقل ديكتاتورية) تتحكم فيه أغلبية سنية•

إن سيناريوهات مُتخيَّلة كهذه تزيد من صعوبة إحتمال أن يقوم النظام البعثى الذى يسيطر عليه علويون بالتخلى دون مقاومة عنيفة عن مراكزه الحالية لصالح نظام أكثر ديمقراطية قد ينتهى به المطاف - نظراً لغياب تقليد ديمقراطى طويل الأمد فى سوريا - إلى ديكتاتورية سنية (قد تكون إقليمية/أقلية) يسعى أعضاؤها للانتقام من القادة والطغاة العلويين السابقين•

٣٠

Volker Perthes, ibid., pp. 70-71.

الفصل العاشر

استنتاجات

بالإضافة إلى بعض الإستنتاجات التى تم التوصل إليها فى غضون هذه الدراسة، فيمكن طرح النقاط التالية لأكثر من ثلاثين عاماً من حكم البعث فى سوريا المُسيطر عليه من قِبل العلويين.

١- الطائفية والعوامل الإجتماعية الإقتصادية والإيديولوجية

إن قيام الطائفية والإقليمية والعشائرية بدور جوهرى فى الصراع على السلطة لا يقلل من شأن العناصر الأخرى كالعوامل الإجتماعية الإقتصادية والإيديولوجية، أو يتغاضى عنها، بل بالعكس، فقد تم إبراز أهمية الخلفيات الإجتماعية الإقتصادية وإمكانية تطابقها إلى حد كبير مع العوامل الطائفية والإقليمية والعشائرية فى حالة الأقليات الطائفية المتماسكة كالعلويين والدروز والإسماعيليين. إن تداخل الاختلافات الطائفية والإقليمية والإجتماعية الإقتصادية قد يقوى ويبرز التباينات القائمة بطريقة متبادلة. ومن الممكن توجيه أو حتى إثارة السخط الشعبى والتوترات الإجتماعية الإقتصادية من خلال قنوات طائفية.

لقد كانت الإختلافات الإيديولوجية جوهرية أيضاً، حتى لو أصبحت الأواصر الطائفية والإقليمية والعشائرية خلال العديد من المواقف المتأزمة هى الوسيلة السائدة للحفاظ على الذات والبقاء فى السلطة. فما أن احتكرت جماعة سياسية السلطة وفازت بقاعدة قوية حتى حظيت الأفكار السياسية والإيديولوجية بالأولوية على سياسات السلطة البحتة. إن الذين تم إبعادهم عن السلطة بسبب قيامهم برفض تطبيق تكتيكات طائفية أو اقليمية أو عشائرية، استناداً منهم إلى أسس مثالية، قد حُرموا بالتالى من امكانية تطبيق مثالياتهم. أما الذين استغلوا الطائفية والإقليمية والعشائرية كوسيلة للإستيلاء على السلطة أو الاحتفاظ بها، أو الذين اضطروا لإستغلالها من قِبل معارضيهم، من أجل حماية أنفسهم، فقد أمكنهم فيما بعد التركيز على

برامجهم السياسية ومثالياتهم.

٢- التجانس الطائفى والاستقرار والسياسات

لقد تأثرت الفترة ما بين ١٩٦٣ و١٩٧٠ إلى درجة كبيرة بالمنافسات بين الجماعات البعثية المختلفة والمنافسات الطائفية والإقليمية المتعلقة. وما أن تولى حافظ الأسد الحكم فى ١٩٧٠ حتى حظيت النخبة السياسية السورية الحاكمة بدرجة من التجانس الطائفى والإقليمى، أكثر من ذى قبل عندما كانت القوى المتعارضة تتنافس على السلطة، وذلك بغض النظر عن أن هذا التجانس الأكبر انطوى على قاعدة أضيق. ونتيجة لوقوع سوريا تحت سيطرة جماعة سياسية جبارة واحدة ذات جهاز أمنى موثوق وفعَّال بدرجة عالية (وأيضاً فعَّال من حيث القمع)، تمتعت الدولة باستقرار سياسى داخلى واستمرارية أكثر مما كانت عليه فى أية فترة سابقة منذ الإستقلال[١]. إلا أن ارتباط هذه الاستمرارية بعدم وجود أى تغيرات جوهرية فى تركيب النخبة السياسية والعسكرية الحاكمة على مدى ٢٥ عاماً تقريباً كان يعنى أيضاً الاحتمال المستقبلى الخطير لعدم استمرارية النظام، بل وتفككه، فى حالة زوال قيادته السياسية والعسكرية الطويلة الخدمة. ويبدو أنه لم يتم الإعداد لجيل سياسى وعسكرى جديد يتولى زمام الحكم بطريقة سلسة وتدريجية من البعثيين القدامى التابعين لعهد الأسد، والأكثر من ذلك الإعداد لعملية تحويل ديمقراطى طويلة المدى للنظام.

وفى الفترة ما بعد ١٩٧٠ أصبحت السياسات السورية الخارجية أكثر تماسكاً واستمرارية بوجه عام، إلا أنها لم يكن لها أى شأن بالتركيب الطائفى للنخبة الحاكمة.

---

١ تلاحظ اليزابث بيكارد انه "بتأمل امتداد فترات بعض الأنظمة العسكرية العربية لا بد للمرء أن يأخذ في الاعتبار التقدم التكنولوجي العظيم لجيوشها وأن يفكر في احتمال أن يكون "الاستقرار" الذى شهدناه منذ ١٩٧٠ يُعزى إلى حد كبير لآلية الدولة الآخذة فى الانتشار، وخاصة جهاز شرطة الدولة". انظر
Elizabeth Picard, "Arab Military in Politics: from Revolutionary Plot to Authoritarian State", in: Albert Hourani, Philip Khoury and Mary C. Wilson (eds.), The Modern Middle East: A Reader, London, 1993, pp. 562-563.

وفي عهد الأسد نجحت سوريا في أن تصبح قوة إقليمية عظمى غير خاضعة للمنافسات التقليدية حول السلطة الإقليمية بين البلدان العربية الأخرى بالمنطقة كالعراق ومصر، كما كان الحال في الماضي[٢]. وبالتالي، كان لا بد لسوريا أن تلعب دوراً أساسياً في أية تسوية عربية إسرائيلية سلمية شاملة.

٣- الطائفية بين الواقعية والمثالية

بغض النظر عن أهمية الخط السياسي الذي تبنته القيادة السورية، لا بد من ملاحظة أن الأواصر الطائفية والإقليمية والعشائرية كانت هامة بمكان، حيث شكلت على مدى ثلاثين عاماً وأكثر جزءاً لا يتجزأ من بنية السلطة داخل النظام السوري. فبدون الشبكات المنظمة والقائمة على أسس طائفية وإقليمية وعشائرية داخل القوات المسلحة السورية وأجهزة الأمن ومؤسسات السلطة الأخرى، ما كان للبعثيين الذين حكموا سوريا منذ ١٩٦٣ أن يصمدوا ويستمروا هذه المدة الطويلة. إن استغلال الأواصر الطائفية والإقليمية والعشائرية لم يكن سوى سياسات سلطة بحتة وأولية. ومع ذلك، فيمكن اعتبار صلاح جديد وحافظ الأسد بعثيين مثاليين، سعيا منذ الصبا لدى انضمامهما لحزب البعث إلى تحقيق مثاليات القومية العربية العلمانية والمثاليات الإجتماعية الإقتصادية. ولكن بعد استيلائهما على السلطة تطورت لديهما سياسات وأفكار متعارضة، حيث بات الأسد أكثر واقعية وجديد أكثر تطرفاً. والنتيجة النهائية لذلك هي أن رفيقي الحزب السابقين أصبحا منافسين وعدوين دائمين لدى تحملهما عبء المسؤوليات السياسية، ولدى وضعهما موضع التنفيذ تحت أصعب الظروف الأفكار السياسية التي كانت سابقاً بمثابة مثاليات نظرية وإيديولوجية.

ولا يعني الدور المحوري للأواصر الطائفية والإقليمية والعشائرية في بنية السلطة داخل النظام البعثي أن الحكام العلويين الجبارين المسيطرين وغيرهم كانوا حريصين على استغلال هذه الأواصر على سبيل التعمد، أو لم يكن لديهم الرغبة في التغاضي عن تلك الأواصر. ففي الواقع، كان القادة

---

٢ Patrick Seale, Asad, p. 439.

البعثيون البارزون وغيرهم من البعثيين الأقل شهرة لا يستسيغون على الإطلاق فكرة استغلال الطائفية والولاءات الإجتماعية التقليدية الأخرى، والتى كانت تبدو لهم متخلفة ومتعارضة مع مثالية القومية العربية المساواتية العلمانية. لقد سعى الكثير من البعثيين العلويين وغيرهم من الأقليات للتخلص من وضعهم كأقليات، كارهين تذكيرهم بصفة مستمرة بخلفياتهم الطائفية، إلا أنهم فى الواقع لم ينجحوا فى ذلك وباءت أمانيهم بالفشل[٣]. ويُعزى ذلك جزئيا إلى واقعية سياسات السلطة فى سوريا التى تورطوا فيها منذ بداية تقلدهم زمام الحكم فى ١٩٦٣[٤]، ففى أثناء عملية تعزيز مراكزهم فى المراحل الأولى من الثورة اعتمد القادة البعثيون كثيراً لأغراض عملية على أفراد من مجتمعاتهم تعوزهم المثاليات الإيديولوجية - كالتخلص من الطائفية والإقليمية والعشائرية - أفراد اعتبروا مثل هذه الأمور سبيلاً لمطامعهم الشخصية. ورغم أن التمثيل العلوى القوى داخل النخبة البعثية الحاكمة خلال المراحل الأولى من توليهم الحكم فى ١٩٦٣ ربما لم يكن له شأن بالطائفية وإنما كان يعنى بالإقليمية والعشائرية، فهذا لم يكن ليمنع السنيين وغيرهم من المعارضين غير العلويين من اعتبار النظام واقعاً تحت سيطرة العلويين أو طائفة الأقلية. وقد كان من الطبيعى أن يقوم السنيون وآخرون من غير العلويين من معارضى نظام البعث العلمانى الواقع تحت سيطرة العلويين أن يستغلوا موضوع الطائفية كسلاح لتقويض النظام. وكما سبق واوضحنا، فإن مثل هذه الهجمات الموجهة ضد العلويين عادة ما كانت تحقق عكس المراد:

---

٣ لقد ذكر سيل أن أكثر التفسيرات إثارة للإمتعاض لدى حافظ الأسد هو النموذج السياسي الذى يصور تاريخ سوريا الحديث كـ "انتصار أقلية طائفية، وهم العلويون المكبوتون طويلا، على منافسيهم داخل مجتمع شرقى منقسم بشدة طبقاً لخطوط عرقية ودينية ... وبالفعل، فإنه (أى، الأسد) قد امضى معظم حياته الراشدة فى محاولة للهروب من دمج ذاته فى خلفية من الأقليات، إلا أن أخذ نظامه فى الإعتبار من هذا المنطلق على نطاق واسع حتى وقتنا هذا يوحى بفشله".

Patrick Seale, "Asad: Between Institutions and Autocracy", in: Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds.), Syria: Society, Culture, and Polity, p.97.

٤ يخلص حنا بطاطو إلى أنه "عندما يميل سكان ريف سوريا أو العراق أو من منهم متحضر نسبياً، والذين كانوا محرومين من قبل، للتمسك بأعضاء عشيرتهم أو طائفتهم أو ديانتهم أو التعاون معهم، فهذا ليس دليلاً على التكتلية، رغم أن هذا هو ما يبدو، بل انهم فى الواقع يتصرفون بشكل تلقائى ويتبعون المنطق الناجم عن وضعهم التركيبى."

'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', p. 344.

أى، ازدياد سيطرة العلويين. ففى أثناء عملية استغلال الولاءات الطائفية استطاعت الأفكار السياسية أن تخلق وقائعها الخاصة واستطاعت الطائفية أن تحصل على قوتها التداؤبية الخاصة التى كان يصعب التحكم فيها تماماً فيما بعد من قبل النخبة السياسية المسيطرة.

٤- القسمة الثنائية بين السنيين والأقليات، بين المدن والريف، وبين الطبقات العليا والدنيا منذ ١٩٦٣ عندما تولت مجموعة من البعثيين ذات أصل ريفى وتابعة للطبقة المتوسطة الدنيا أو الفقيرة ومنتمية إلى أقليات دينية الحكم فى ١٩٦٣، أدى ذلك إلى ثورة اجتماعية: لقد مرت الأقليات الريفية التى كانت تعانى من التفرقة من قبل، والتى كانت تنتمى إلى أكثر القطاعات تخلفاً فى المجتمع السورى، بعملية مفاجئة من التحرر الوطنى، فانقلبت العلاقات التقليدية رأساً على عقب تقريباً: فبدأ أهل الريف وأعضاء الأقليات الدينية يسيطرون على السنيين المنتشرين فى أرجاء المدن الكبيرة ويتسلقون بطريقة سريعة نسبياً درجات المجتمع الاجتماعية والسياسية. وما أن وصلوا للسلطة حتى بدأ العلويون والدروز وغيرهم من الأقليات الريفية الذين كانوا يعانون من التفرقة محاباة أفراد طوائفهم والتمييز ضد هؤلاء الذين ظلموهم فيما قبل. وقد أدى ذلك إلى حد ما إلى تسوية بين طبقات المجتمع الفقيرة والأغنى نسبياً، وبين المواطنين الريفيين والمدنيين، وبين الأقليات الدينية والسنيين. وقد امتعض السنيون الحضريون بالذات من سيطرة أشخاص من أصل ريفى فلاحى عليهم، بغض النظر عن انتماء هؤلاء الحكام إلى أقليات دينية أو كونهم سنيين مثلهم. إن تطابق التسلط الريفى وسيطرة الأقليات إنما ازادا من امتعاض السنيين المدينيين.

ومن جهة أخرى، فإن التسلط الريفى لم يؤثر بطريقة سلبية جوهرية على المدن من حيث تقدمها الإجتماعى والإقتصادى، فقد حظى أهل المدن فى ١٩٦٣ بمراكز طيبة نسبياً، كما أخذت المدن منذ عام ١٩٦٣ فى التطور بشكل ملحوظ. واستقر العديد من أهل الريف فى المدن الكبرى ليصبحوا من أهل الحضر شيئاً فشيئاً. وأخذت أجيال جديدة من عائلات الريف والأقليات تُولد بالمدن وتصبح من أهل الحضر. ولم يكن هذا يعنى بالضرورة أن هذه الأجيال الحضرية الجديدة كانت مقبولة إجتماعياً من قبل أهل المدن الأصليين، أو أنهم إندمجوا تماماً معهم، بل يصح الجدال أن بعض القطاعات بالمدن الكبرى

أصبحت في بادىء الأمر ريفية إلى حد ما بسبب التدفق الكبير من أهل الريف[٥]· إن الإنقسامات الطائفية القائمة أساساً بين أهل المدينة وأهل الريف استمرت إلى حد ما بعد "مدنَنَة" أهل الريف·

وخلال أكثر من ثلاثين عاماً من الحكم البعثي - وهي فترة امتدت عبر أكثر من جيل بأكمله - تطورت قطاعات من طوائف الأقليات الريفية الأقل نمواً بالتدريج لتصبح أكثر تعلماً وتقدماً وأقل فقراً وأيسر حالاً· لقد اغتنم العلويون بوجه عام وبحماس الفرص الجديدة التي وفرها نظام البعث في كل من مجالات التعليم والتوظيف والاقتصاد وتحرير المرأة ··· الخ[٦]· وقد أدى ذلك إلى تحسين نوعي ملموس وواسع المدى داخل المجتمع العلوي· إن التقدم

---

٥ قارن سمير عبده، تريف المدينة العربية ومَدْنَنَة الريف، دمشق، ١٩٨٩ ·
Hanna Batatu, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling, Military Group and the Causes for its Dominance', p. 337,
يلاحظ الكاتب أن الصراعات التي وقعت داخل المدن بين أهم ممثلي السلطة الحضرية من جهة والفلاحين أو سكان الريف السابقين من جهة أخرى كانت تأتي بشكل عام بعواقب تركيبية أعمق من تلك التي كانت تأتي بها صراعات الريف بين الفلاحين الذين كانوا يسعون لتحرير أنفسهم من نفوذ المدن· "وهناك ظاهرة مرتبطة بهذه الصراعات وكثيراً ما تتكرر: سكان الريف الذين يدفعهم العوز والحاجة للأمان إلى المدن الرئيسية يستقرون بضواحيها ويدخلون سريعاً في علاقات قد تكون مزيفة مع فقراء الحضر - وهم بدورهم من مهاجري الريف - ومعاً يتحدون الطبقات القديمة الراسخة·"

٦ ذكر سيل انه "عقب ثورة عام ١٩٦٣ مباشرة بدأ العلويون يتجهون بشغف نحو التعليم· فتزايد عدد الحاصلين على منح دراسية والمبعوثين للخارج للحصول على درجات علمية ليصبحوا أطباء ومهندسين ومحامين وأساتذة جامعيين، حتى أنه بعد ٢٥ عاماً أصبحوا يتمتعون بتمثيل قوي في الوظائف الحرة وكوادر الدولة الكبرى، حيث نافسوا بل أحياناً أزاحوا الصفوة المثقفة من السنيين والمسيحيين"·
Patrick Seale, Asad, p. 454.
كما يقتبس عن الانثروبولوجي الاجتماعي الفرنسي فرنسوا متزال ما اكتشفه عن أن في الغاب الغربي الذي يقطنه العلويون هناك نسبة تتراوح بين ٣٤٪ و٤١٪ من الفتيات اللواتي يواظبن على الدراسة بالمدارس، في حين أنه في الغاب الشرقي الذي يقطنه السنيون فنسبة الفتيات تنخفض إلى ما بين ٠٪ و٧٪ · انظر أيضاً محمود صادق، حوار حول سوريا، ص ٩٥، الذي يذكر أن السلطات السورية كانت أحياناً تحابي العلويين أثناء تخصيص المنح الدراسية للطلبة أو لدى اختيار أعضاء جدد للسلك الدبلوماسي السوري· كما يذكر أيضاً صادق تفضيل تعيين العلويين كمدرسين بالمدارس الهامة في مراكز التجمعات السكانية الكبرى·
ويبدو أن الحال كان هكذا أيضاً لدى تعيين مدرسين للمواد التي تتسم بأهمية سياسية، مثل "التاريخ والتربية القومية والإشتراكية وعلم الإجتماع والفلسفة"·

الإجتماعي والسياسي داخل قطاعات عريضة من الطائفة العلوية لم يكن يعني تمييزاً ضد الطوائف الريفية الأخرى من الأقليات، فيما يتعلق بالفرص الإجتماعية الإقتصادية، بل بالعكس، فقد جنت الأقليات الأخرى وأهل الريف بشكل عام ثمار حكم البعث الذي يسيطر عليه العلويون، وإن كان أحياناً بدرجة أقل من العلويين أنفسهم[٧].

ونتيجة للتطورات الواردة بعاليه، أصبح الإنقسام بين أهل الريف وأهل المدن وبين الأقليات والسنيين، والذي كان جلياً في السنوات الأولى منذ عام ١٩٦٣، أقل وضوحاً شيئاً فشيئاً، كما اصبحت العلاقات بين الطوائف والطبقات أكثر تعقيداً[٨].

---

٧ قارن
Alasdair Drysdale, "The Regional Equalization of Health Care and Education in Syria since the Ba'thi Revolution", International Journal of Middle East Studies, Vol. 13 (1981), pp. 93-111.
رغم أن الأقليات العرقية غير العربية في سوريا مثل الأكراد والأرمن والشراكسة كان بإمكان أعضائها الإنضمام رسمياً لحزب البعث على أساس شخصي إذا ما تقبلوا مبدأ العروبة، إلا أنهم كانوا محرومين من التحرر السياسي الذي تمتعت به الأقليات الدينية العربية. وقد كان هناك قمع حاد لأي تطلعات قومية إذا ما حادت عن العروبة. ورغم أن الأقليات العرقية غير العربية التي تسكن العالم العربي كان يُعترف بها رسمياً في ايديولوجية حزب البعث، إلا أن نظام البعث السياسي لا يساوي بين العرب وغير العرب من حيث القومية، وبالتالي، يتم التمييز ضدهم سياسياً - وإن لم يكن بالضرورة ثقافياً. ومع ذلك، لا بد من ملاحظة أن العديد من الجماعات العرقية والعشائرية والإجتماعية مُمثَّلة في مجلس الشعب السوري، وبذلك يكون لديهم مخرج سياسي رسمي، مهما قلت أهمية وسلطة مجلس الشعب السياسية في الواقع. قارن
Volker Perthes, "Syria's Parliamentary Elections: Remodeling Asad's Political Base", Middle East Report, January-February 1992, pp. 15-18, 35; and Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970-1989, pp. 262-263, 272-278.

٨ انظر
Raymond A. Hinnebusch, "Class and State in Ba'thist Syria", pp. 46-47,
الذي يجادل أن "الطبقات هي التي توفر المفتاح الحاسم الذي يولد التغيير ويربط بين المراحل الهامة في تطور الدولة السورية المعاصرة. ولا يمكن تفهم ظهور البعثيين إلا كدالة في الصراع الطبقي العريض المنغرس في الإزاحات الإجتماعية الهامة ... ولم تتبلور حتى الآن أي طبقة حاكمة جديدة، كما لم تنجح في جعل الدولة كأداة بين يديها، ولكن ربما يكون ذلك الفصل القادم في التاريخ ... ولا يوجد من بين هذه التطورات ما يدحض أهمية السياسات الطائفية في المدى القريب ... ومع تقهقر الصراع الطبقي، تميل التكافلات الأولية إلى توكيد ذاتها كوسائل حاسمة وكروابط للعمل السياسي". لتحليل التغييرات في القاعدة الاجتماعية-الاقتصادية لنظام البعث منذ أوائل السبعينات، انظر:

٥- الفشل فى اقتلاع الفساد من داخل النخبة العلوية

خلال عهد الأسد أخذت السياسات الإجتماعية الإقتصادية فى التدرج نحو الواقعية والتحرر، تاركة وراءها الصرامة التى اتصفت بها خلال الفترة الأولى من حكم البعث والتى كان يسيطر عليها صلاح جديد اليسارى الصارم. وبعد عام ١٩٧٠، وخاصة فى الفترة التى بدأت بالتدخل السورى فى لبنان (١٩٧٦)، استغلت النخبة السياسية والعسكرية سلطتها لتزداد ثراء، وأخذ الفساد يتفشى داخل الجهاز الحزبى والنظام. ولم يُكتب للعديد من الحملات التى كانت ترمى لإقتلاع الفساد إلا نجاح محدود جدا، حيث كان من الصعب النيل من العناصر الفاسدة من النخبة العسكرية العلوية (وأيضاً غير العلوية) التى كانت تتمتع بمراكز مرموقة والتى كانت تنتمى لحاشية الرئيس وما يتبعها. فاتخاذ أى إجراء تأديبى ضد أهم مؤيدى الرئيس كان من شأنه تقويض وضع السلطة ككل داخل النظام ذاته بشكل مباشر. ولذلك، لم تُتخذ مثل هذه الإجراءات. وقد كانت النخبة العلوية تشكل فى الأصل إحدى القوى العظمى داخل النظام التى كانت تميل إلى التغيير الجذرى. وبعد أن ازدادت ثراء وحصلت على شتى أشكال المزايا الحصينة، أصبحت هذه النخبة بعينها حجر عثرة كبيرة أمام عملية إصلاح التعسفات التى شملت الدولة[٩]. لقد كوّن الضباط العلويون الأثرياء وعائلاتهم نوعاً من الائتلاف مع البرجوازية الثرية من أهل المدينة، وبالذات مع الدمشقيين السنيين، وأيضاً مع آخرين، بما فيهم مسيحيون. وتولّد لدى الأخيرة رغبة مباشرة فى الحفاظ على نظام البعث الواقع تحت سيطرة العلويين، طالما كان بإمكانهم الاستمرار فى أعمالهم الناجحة[١٠].

Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970-1989, pp. 36, 81, 220-222.

٩ قارن
Raymond A. Hinnebusch, "Class and State in Ba'thist Syria", p. 43.
يذكر هينيبوش ان "كمجموعة تتمتع بمزايا، فإن أجزاء كبيرة من الطائفة العلوية قد انتقلت بالفعل من الحضيض الأسفل إلى أرمق المراكز الإجتماعية". وحول قضية الفساد انظر أيضاً
Yahya M. Sadowski, "Patronage and the Ba'th: Corruption and Control in Contemporary Syria", Arab Studies Quarterly, Vol. 9, No. 4, Fall 1987, pp. 442-461; and Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970-1989, pp. 232-237, 303-304.

١٠ قارن
Volker Perthes, "The Bourgeois and the Ba'th", Middle East Report, May-June 1991, pp. 31-37; and Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970-1989, p. 283,
الذى يلاحظ أن تغير النظام فى ١٩٧٠ "كان يعنى أيضاً تغيراً فى استراتيجية التنمية

إن الفساد والشعور بالسخط تجاه السياسات الاقتصادية كان يتسبب فى أن تحجب الضغائن الطائفية ضد النظام بفعل الامتعاض الاقتصادى·

٦- الدين والطائفية

الدين فى حد ذاته لم يلعب دوراً يضاهى فى أهميته الدور الذى لعبته الطائفية· فالجهود التى بذلها المعارضون السنيون لحشد المعارضة ضد نظام البعث الواقع تحت سيطرة العلويين من خلال قنوات دينية ومناظرات لاهوتية تسببت فى إثارة التضامن الجماعي العلوى أكثر من إثارة الجدل والخلاف الديني البحت، بل وجعلت العلويين يدافعون علناً ورسمياً عن موقفهم من وجهة نظر لاهوتية، سواء كان ذلك فى مرحلة متأخرة نسبياً فى الثمانينات أو التسعينات· وعلى مر القرون، كان المشايخ العلويون يفضلون التزام الصمت وعدم مناقشة أمور دينهم مع الغرباء· وفى ظل الظروف السياسية الجديدة بدأوا يتركون الصمت جانباً، مؤكدين أحياناً بشكل تبريرى على الأبعاد التقليدية للدين العلوى (الجعفرى)·

كما حاول الرئيس حافظ الأسد فى العديد من المناسبات بناء صورة دينية تقليدية لنظام البعث العلمانى، بالصلاة الجهرية مثلاً فى المساجد - السنية فى معظم الأحيان - (بما فى ذلك الجامع الأموي الشهير بدمشق)، أو الظهور علانية فى صحبة كبار رجال الدين السنيين، أو الاقتباس من آيات القرآن فى خطاباته· وقد قام الأسد بتشييد مساجد، بما فى ذلك فى بلدته القرداحة· إلا أنه من المشكوك فيه أن تكون مثل هذه الأعمال قد بدت مقنعة لمعظم السكان السنيين، بغض النظر عن صدق نوايا الرئيس السورى·

وحتى إذا كانت المحسوبية والتضامن الطائفى تحفزهما الدوافع الإجتماعية والسياسية البحتة وليس الدافع الدينى، فهذا لم يمنع السكان السنيين التقليديين وآخرين غير علويين من اعتبار حكم البعث الواقع تحت سيطرة العلويين كنوع من القمع شبه الدينى، رغم أن الأمر لم يكن يبدو هكذا بالنسبة للبعثيين المسيطرين· وجدير بالملاحظة أن جزءاً من طائفة السنيين

والاستراتيجية الاجتماعية-الاقتصادية ··· وأن القيادة الجديدة لم تعد تحاول أن تحارب البرجوازية، بل حاولت بالأحرى أن تدمجها داخل مفهومها الاجتماعى-السياسى"·

التقليديين كان يعتبر علمانية البعث بحد ذاته بمثابة موقف معادٍ للدين.

٧- امكانيات توسيع قاعدة السلطة الطائفية الضيقة

إن احتمالات وامكانيات توسيع القاعدة الحقيقية للسلطة داخل نظام البعث فى سوريا الواقع تحت سيطرة العلويين محدودة نسبياً فى الوقت الحاضر. فالحلقة المفرغة التى وجد النظام السورى نفسه بداخلها مراراً وتكراراً لا تزال قائمة: كان لا بد للأنظمة البعثية المتعاقبة فى سوريا أن يكون لها اداة سلطة قوية لتحقيق التغييرات الإجتماعية الجذرية، بما فى ذلك قمع الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية. ومن جهة أخرى، أدى الاحتفاظ بالسلطة إلى الإعتماد على تلك الولاءات، مما أدى بدوره إلى الحد من قمعها. وبذلك يمكن استخلاص أن التغييرات الاجتماعية والاقتصادية الجذرية قد تحققت بنجاح تحت حكم حزب البعث، إلا أنه كان من الصعب اقتلاع التقاليد القديمة، وقد باءت محاولات قمع الولاءات الطائفية والإقليمية والعشائرية بالفشل. وتبقى المراكز الحساسة استراتيجيا وسياسيا داخل القوات المسلحة وأجهزة الأمن وغيرها من مؤسسات السلطة مقصورة على أبناء الطائفة العلوية، ما عدا القليل من الاستثناءات.

إن العديد من السيناريوهات الخاصة بتغيير الصبغة العلوية القوية التى يتسم بها النظام أمر يمكن تصوره، وقد سبق وصفها بعاليه. ورغم أنه لا يصح استبعاد هذا الاحتمال كلياً، إلا أنه لا يبدو محتملاً أن تنقشع السيطرة العلوية تدريجياً وسلمياً ليحل محلها نظام يتسم بقاعدة أوسع، دون اللجوء للعنف. إن مشاعر الإنتقام بين هؤلاء الذين عانوا من قمع حكم البعث الواقع تحت سيطرة العلويين مازالت قائمة، وستبقى معارضة السنيين بمثابة خطر محتمل يهدد النظام فى المدى الطويل، طالما استمرت السيطرة العلوية.

٨- التوعية البعثية والواقع السياسى: الرفض والقبول بالطائفية

فى ظل الاستقلال السورى، امتدت فترة الحكم البعثى منذ ١٩٦٣ تقريباً لضعف الفترة غير البعثية السابقة له (١٩٤٥-١٩٦٣). ونظراً لأن الغالبية العظمى من الشعب السورى لا يتعدى عمره الثلاثين عاماً، فإن معظمهم لم

يختبر أو يتعرف إلا على الحكم البعثي، ولم يتعرض من خلال الدراسة ووسائل الإعلام إلا للإيديولوجية والآراء البعثية. والأفكار التي كانت تُعْتَبَر منذ أكثر من ثلاثين عاماً أفكاراً بعثية بحتة، أصبحت الآن بالنسبة للعديد من السوريين جزءاً من الحياة اليومية. وهذا لا يعني بالضرورة أن الإيديولوجية البعثية مقبولة بوجه عام، أو أنها متأصلة في المجتمع، فيما عدا ما قد يمت بصلة لبعض الأفكار البعثية حول القومية العربية[١١]. ويمكن استخلاص أن أهمية حزب البعث وايديولوجيته أخذت تتناقص تدريجيا خلال عهد الرئيس حافظ الأسد، بينما ازداد الإلتفاف حول شخصية الرئيس، كما هو الحال مع زعماء عرب آخرين بالمنطقة[١٢].

وفي الحقبة البعثية تطورت الفكرة المزدوجة المتناقضة والمنافية التي تنادي من جانب برفض الطائفية والإقليمية والعشائرية رسمياً لكونها أفكاراً سلبية ومتخلفة - إذا لم تنف وجودها نفياً كلياً - وبتقبُّلها من جانب آخر كجزء من واقعية الحياة السياسية والإجتماعية.

---

١١ قارن
Volker Perthes, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970-1989, pp. 264-265, 275-280,
الذي يلاحظ أنه يبدو أن معظم السكان لا يبالون بحزب البعث والحكومة. انظر أيضاً
Hans Günther Lobmeyer, Islamismus und Sozialer Konflikt in Syrien, pp. 19, 24-25,
الذي يذكر إنه خلال الستينات نجح الكثير من معلمي المدارس ذات الاتجاهات الإسلامية في التغلغل داخل قطاع التعليم، لأنهم نجحوا في شغل الفراغات التي تركها المعلمون البعثيون والمتعاطفون الذين تم الاستعانة بهم في ذلك الوقت لتعزيز بناء البيروقراطية البعثية الجديدة. وفي السبعينات بعد تصفية صلاح جديد وأعوانه حصل الإسلاميون على فرصة مشابهة لذلك، ونجحوا في فرض المزيد من النفوذ على الطلبة لفترة ما.

١٢ لقد قام أحد كُتّاب سيرة حافظ الأسد بصياغة اصطلاح "الأسدية"، الذي وصفه بأنه "البعث الجديد الذي يقوده حافظ الأسد؛ إنه البعث المتجدد، المتطور فكراً ومواقف ومنجزات ... إن كلمة "الأسدية" تعني أن تياراً جديداً متميزاً قام في سوريا ... إن هذه المدرسة تجاوزت مدرسة البعث التقليدية، وحين نقول (تجاوزت) لا نعني أنها تناقضت. إن هذه المدرسة الفكرية النضالية لم تتناقض في الأصول، لا مع الناصرية ولا مع البعث، ولكنها جددت وطورت، وارتفعت إلى مستوى الأحداث التي تجددت وطورت ...". انظر: فايز اسماعيل في مقدمته لفؤاد العشا، حافظ الأسد: قائد ورسالة، دمشق، ١٩٩٣، ص ٣٧ . وقد انعكس مبدأ عبادة قيادة الأسد بوضوح من خلال وجود أكثر من عشرة سير مختلفة لحياة الرئيس السوري منذ ١٩٩٠، تم نشرها في دمشق، وجميعها مديح. انظر أعمال فؤاد العشا، ورياض سليمان عواد، ولوسيان بيترلان، وعادل حافظ، وعاني خليل، وصفوان قدسي، وعادل رضا، وأيمن شعبان، ومصطفى طلاس في المراجع.

٩- استمرار حظر مناقشة الطائفية علانية

رغم أنه كان يُفترض أن الهويات والولاءات القومية العلمانية والإجتماعية الإقتصادية كانت تحل محل تلك الطائفية وغيرها من الهويات الأولية الإجتماعية في أيام العز للعروبة العلمانية الإشتراكية، إلا أنه فيما بعد أصبح شائعاً الجدل بأن العوامل المذكورة أخيراً هي القاعدة الحضارية الأكثر طبيعية للسياسة في الشرق الأوسط. إن الاهتمام السياسي خارج سوريا بموضوعات مثل الطائفية والإقليمية والعشائرية، بجانب الهوية العرقية والتنوع، أصبح بارزاً أكثر مع الانبعاث الجلي لمثل هذه العوامل وما يمت لها بصلة خلال الثمانينات والتسعينات في غضون الصراعات المختلفة بشتى بقاع العالم[١٣]. أما في سوريا ذاتها، فما زال هناك حظر على التحدث والمناقشة والكتابة العلنية والصريحة حول الولاءات والتناقضات والخصومات الطائفية والإقليمية والعشائرية، خاصة في الدوائر الرسمية القومية العربية، وذلك لأسباب سياسية، وبغض النظر عن وعي الشعب الواضح بأهميتها.

---

١٣ في دراسته حول الأقليات في العالم العربي التي نُشرت عام ١٩٩٤، يجادل سعد الدين ابراهيم بأن "جميع الصراعات الدائرة في العالم منذ ١٩٨٨، ربما باستثناء الغزو العراقي للكويت، دارت حول مسائل عرقية داخلية ... إن الوعي العالمي بالطبيعة المتفجرة للسياسات العرقية كان مما لا شك فيه عاملاً معجلاً بصدور "إعلان بشأن حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليات قومية وأثنية وإلى أقليات دينية ولغوية" من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة، والذي اعتُمد في ١٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٩٢ (قرار رقم ١٣٥/٤٧). انظر: سعد الدين ابراهيم، الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤، ص ٦ . ويمكن استخلاص مدى حساسية مسألة الأقليات بالنسبة للقوميين العرب وغيرها من الدوائر خلال الثمانينات والتسعينات طبقاً لسعد الدين ابراهيم من كون استغراق مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت أكثر من ستة أعوام لأخذ قرار الاعتذار عن نشر مخطوطة كتابه أخيراً، حيث أنه بعد استطلاع آراء أطراف ثالثة اتضح أنه (دون أن يكون ذلك مثيراً للدهشة) من المحال إصدار نسخة "موضوعية" ترضي جميع الأطراف.

ملحق أ : تحليل بعثى للطائفية والإقليمية والعشائرية[1]

من أجل بناء حزب ثورى ..
رد الحزب بالعروبة على الجاهلية والتعصب
فطرحت الطائفية فى الحزب كمحاولة مجرمة لتحويل الحزب إلى نقيضه

عندما طرح الحزب القضية "القومية الاشتراكية" حدد هوية الصراع الذى سيخوضه فى سبيل تحقيق هذه القضية، كما حدد نوعية الصراع الذى ينبغى على الشعب العربى أن ينطلق منه، واعتبر هذا الصراع وجهين متلاحمين لقضية واحدة، فهو من جهة صراع بين الطبقة الكادحة المحرومة ضد مستغليها ومن جهة أخرى صراع بين هذه الطبقة وبين الاستعمار والطبقة المستغلة التى تستفيد من التجزئة والواقع الاجتماعى المريض.

ومن هذا التحديد اعتبر الحزب ان اى صراع فى المجتمع العربى يدور على غير هذا الاساس نوعا من الابتعاد عن الصراع الذى تتحقق به مصلحة الشعب، يزيد من تمزيقه ويوزع جهوده ويعيق امكانية تقدمه ومن هذا الاعتبار لقد اكد الحزب منذ البداية ان الاقليمية والطائفية والعشائرية امراض خطيرة فى المجتمع ينبغى محاربتها بجميع الوسائل لما لها من خطورة فى زيادة تمزيق المجتمع وترسيخ التجزئة وتعميقها.

كما اعتبر ان اى صراع فى المجتمع يقوم على الاقليمية او الطائفية او العشائرية صراع يهدد قضية الشعب ووجوده، ولذلك اكد ان العروبة بمعناها الانسانى هى الرابطة الاساسية بين ابناء الشعب، وان اى انتماء آخر يأخذ صفة الانحراف لانه يكون على حساب هذه الرابطة وينافى المبادىء التى تضمن وجود وتقدم الشعب العربى، ومن خلال مسيرة الحزب النضالية فقد آمن بالصراع الطبقى كحقيقة تاريخية تحقق الوجود القومى من جهة وتضفى الطابع الانسانى عليه من جهة اخرى.

---

[1] وثيقة رسمية للحزب نشرت أولاً فى المناضل (العدد الثالث، ابريل (نيسان) ١٩٦٦، ص ٢)

وبعد قيام ثورتي رمضان وآذار (أي، الثورتين البعثيتين في كل من العراق وسوريا في ٨ فبراير (شباط) و ٨ مارس (آذار) ١٩٦٣ على التوالي) فقد احس كل من الاستعمار والرجعية العربية بخطر هذا الحزب وخطر المبادىء التي يطرحها ويعمل لتحقيقها، وعمل جاهدا مستخدما كل الاسلحة للتآمر على هذا الحزب وثورتيه، وان كان استطاع ان يظفر بثورة رمضان فقد عجز عن الظفر بثورة آذار كما عجز عن سحق الحزب في العراق.

وقد ادرك اعداء الشعب ان التآمر المسلح لن يزيد من الحزب الا متانة وقوة وحتى لو انتصر فان انتصاره مؤقتا، ولهذا ركزت اجهزة الاستعمار والرجعية العربية على محاربة الثورة في جميع المستويات سواء على صعيد المبادىء التي تطرحها او على صعيد الحزب الذي يشكل الاداة العملية لتحقيق هذه المبادىء، وانطلقت هذه الاجهزة بعناد في استغلال العقلية اليمينية والفردية (والمقصود هنا: القيادة القومية المخلوعة والرئيس السوري الأسبق الفريق أمين الحافظ) فيه لتفتيته، كما لعب بالورقة الطائفية والاقليمية والعشائرية الى ابعد الحدود كوسيلة اساسية في انهاء الحزب فكرا واداة.

فبالطائفية والاقليمية والعشائرية تستطيع هذه القوى تحقيق عدة أهداف أهمها:

١- انها السبيل لاذكاء صراع داخلي في المجتمع يلهي الشعب ويبدده عن الصراع الطبقي الذي يطرحه الحزب.

٢- انها السبيل لتقسيم المجتمع عموديا كرد على الفرز الافقي الذي يطرحه الحزب بين طبقة مستَغَلة وطبقة مستَغِلة.

ففي تغذية الطائفية مثلا ينمي الروابط بين الفلاح او العامل وبين الاقطاعي او الراسمالي ابناء العائلة الواحدة بحيث يجعل من ابناء هذه الطائفة كتلة تقف في وجه طائفة اخرى وبذلك ينهي الصراع الطبقي كما يعيق من انتشار اية حركة سياسية بين جماهير الشعب، كما هو حاصل في لبنان مثلا.

٣- ان الانتماء الطائفي او الاقليمي او العشائري يصبح بديلا للانتماء العربي وبذلك يعطل امكانية النضال القومي ويتخلص من الخطر الذي يشكله مفهوم

القومية العربية على الاستعمار والرجعية•

٤- انها السبيل الى تمزيق الحزب والى انهاء قسم من اعضائه اذا استطاع تسريب مثل هذه المفاهيم الى عقول هؤلاء الاعضاء•

ولهذا اجد اجهزة الاعلام واجهزة بث الشائعات المرتبطة بالاستعمار والرجعية تركز باستمرار على ترسيخ معان طائفية احيانا واقليمية وعشائرية احيانا اخرى لكل خطوة تخطوها الثورة سواء الى الامام او الى الوراء•• وهى ليست حريصة على دمغ الحزب بصفة طائفية او اقليمية ثابتة بل تترك هذه الصفات مرنة للاستفادة منها فى كل المناطق وحسب تأثر سكان هذه المناطق، فهى تارة تطبع الحزب بالانتصار للطائفة السنية ضد طوائف الشيعة كما حصل فى العراق وفى بعض مراحل الثورة فى سوريا، وتارة تطبع الحزب بالانتصار لطوائف الشيعة والمسيحية ضد الطائفة السنية كما تطرح الشائعات التى تطلقها هذه الاجهزة فى سوريا•

أما المناطق التى لا تتأثر كثيرا بالطائفية فالشائعات الرائجة بينها غالبا ما تكون على أساس اقليمى او عشائرى، فلان تصرف كذا لأنه تكريتى، وآخر تصرف لانه راوى، وآخر تصرف كذا لانه ديرى او حموى او من حوران ••• الخ•

ويذكر رفاقنا كيف كانت الشائعات تصور انتصار السنة عندما اخرج (اللواء العلوى محمد) عمران وكيف كانت تصور انتصار طوائف الشيعة عندما اعتقل (الرئيس السنى السورى الفريق أمين) الحافظ رغم اعتقال عمران أيضاً وكيف تصور هذه الشائعات خطوات استيلاء وتوزيع الاراضى والتأميم أنها انتصارا لبعض الطوائف (أى، الأقليات الدينية مثل العلويين والدرون)، تصور ذلك وبالحاح شديد اثار انتباه الحزبيين وفى جميع المراحل•

والحقيقة انه ليس الاستعمار والرجعية فقط كانا مصدر هذه الشائعات بل كانت احيانا بعض الفئات التى تعطى لنفسها صفة التقدمية لا تتوانى عن استخدام هذه الاسلحة فى محاربة الحزب والثورة•

وقد استغلت هذه الاجهزة التناقضات التى برزت فى قيادات الحزب

والثورة واخذت تطبعها بهذا الطابع الى درجة تمكنت فيها اغراء بعض القياديين باللعب بورق الطائفية والاقليمية وخصوصا اولئك الحزبيين الذين فقدوا المنطق الحزبى والوسيط الحزبى لتدعيم مواقفهم وسلوكهم الذين اصبحوا فى هذه المواقف والتصرفات فى مواقع الصدام مع الحزب ومؤسساته، وقد حاول هؤلاء طرح الموقف على اساس طائفى وساهموا فى تعميقه ضمن الجهاز الحزبى ورغم ان الاستجابة كانت ضعيفة عند القواعد الحزبية إلا أنها لم تعدم وجود عناصر مناعتهم الحزبية لم تكتمل بعد او وجدوا لانفسهم مصلحة بذلك• ومن هذه الثغرات تسللت هذه الامراض الى نفوس البعض وافسدت مفاهيم الكثير منهم حتى باتوا بدون تورع لا يخجلون من معالجة امور الحزب على اسس طائفية واقليمية• وبذلك وضعوا انفسهم فى مزالق الانحراف واصبحوا من حيث يدرون او لا يدرون مطية للطابور الخامس•

لقد بلغت هذه الظاهرة ضمن الحزب أوجها قبيل وبعد الاجراءات التى اتخذتها القيادة القومية (فى ٢١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٥) وقد لعب أمين الحافظ ومحمد عمران دورا كبيرا فى اذكائها حتى اصبح الطرح الطائفى علنا وفى الاجتماعات الحزبية كما حصل فى اجتماعات الامين القطرى السابق فى فرع الطيران العسكرى وبعض الفروع، بل لم يتوانوا عن تكتيل حزبيين وغير حزبيين على هذه الاسس وخاصة فى الجيش، كما كشفت التحقيقات الاولية عن ذلك[٢]•

وقد كانت حركة ٢٣ شباط ليست ردا على العقلية اليمينية والفردية وحسب بل ردا حاسما ايضا على الطرح الطائفى واثبتت قواعد الحزب بتنفيذها للحركة والانتصار لها مدى ثباتها واستنكارها لمنطق هؤلاء•

لقد كانت حركة ٢٣ شباط برهان عملى على ان مناعة الحزب اقوى من ان تفتته مثل هذه الشعارات اللئيمة، فالذين نفذوا وايدوا كانوا من جميع محافظات القطر والذين اعتقلوا او اخرجوا من البلد ايضا لم يكونوا من فئة او طائفة معينة، بل انما الفرز كان واضحا بين المؤمنين بالحزب هدفا واداة وبين الذين لم يتورعوا عن استخدام كافة الشعارات الغريبة عن مبادىء الحزب او اتصلوا بفئات سياسية اخرى من وراء ظهر الحزب واستعدوا عليه• ورغم

---

٢ انظر ملحق ب

ذلك لم تنجح حركة ٢٣ شباط من اتهامها بالطائفية والاقليمية احيانا بل استمات الطابور الخامس فى تصويرها بذلك مستفيدا من بعض الحزبيين الموتورين ومستخدما اياهم لترسيخ ذلك.

اولئك الحزبيين الذين اعمتهم ارتباطاتهم وفسدت مفاهيمهم والذين اصبح بعضهم لا يتورع عن التعاون مع الشيطان فى سبيل القضاء على هذا الحزب وثورته.

ورغم ايماننا المطلق بوعى الاكثرية الساحقة من قواعد حزبنا وثباتها، ورغم ايماننا المطلق بانتصار هذا الحزب على اعدائه واعداء الشعب، فإن واجبنا كقيادة يحتم علينا استئصال اولئك الذين تسممت مفاهيمهم حتى ولو كانوا عنصرا واحدا فى الحزب. هذا بغض النظر عن ماضيه النضالى، لأن الانسان ليس فقط ابن ماضيه بل ابن ماضيه وحاضره ونحن مؤمنون ان المناضل ليس هو الانسان الذى وقف فى ماضيه وقفة مشرفة انما هو الانسان الذى لا يترك طريق النضال من اجل مبادىء آمن بها مادام على قيد الحياة.

ايها الرفاق،

ايمانا من المؤتمر القطرى الاستثنائى (المنعقد فى دمشق فى مارس (آذار) ١٩٦٦) بخطورة طرح الشعارات الغريبة عن مبادىء الحزب والمنافية لها من بعض الرفاق الحزبيين فقد اقر التوصية التالية:

مطاردة كل العناصر التى تطرح مواقف طائفية او اقليمية او عشائرية واتخاذ اقصى العقوبات الزجرية وخاصة بحق الحزبى منها. ان هؤلاء الموتورين الذين يعالجون امور الحزب والثورة بمثل هذا المنطق يستحقون اقسى العقاب وان اى تهاون من قبل القيادات العليا او المباشرة، مع مثل هذه العناصر يعتبر جريمة بحق الحزب ومبادئه وبحق الشعب وقضيته.

ان اللعب بورق الطائفية والعشائرية والاقليمية اسلوب لئيم لا يخدم سوى مخططات الاستعمار فى تمزيق المجتمع ولا يجوز اطلاقا ان يعامل كرفيق ذلك العنصر الذى يعالج الامور بهذه المنطلقات وعقوبته

يجب ان لا تقل عن عقوبة عدو الشعب·

واستنادا لهذه التوصية فإننا نطلب من كافة القيادات الحزبية ان تشير الى عقد الاجتماعات الحزبية ومناقشة هذه الظاهرة وتوضيح معانيها والمرامى التى تسعى ورائها·· ورفع المعلومات التى تتوافر لديها عن اولئك الذين يعالجون امور الحزب من خلال المفاهيم الطائفية او الاقليمية او العشائرية، حتى يصار الى تصفية الحزب منهم وبترهم، ومن ثم تطبيق القوانين الزجرية بحق العناصر الخطيرة منهم·

ان القيادات الحزبية فى كافة المستويات مسؤولة عن اى تغاضى او تساهل مع اولئك العناصر الفاسدة، ولذلك نطلب منها التحرك والاسراع بارسال كل المعلومات بعد ان نتأكد من صحتها مع اقتراحاتها المنسجمة مع هذه التوصية·

ايها الرفاق،

ان عهد التراخي والميوعة قد انقضى، وان بناء الحزب بناء صلبا متينا متجانسا قضية مسؤولة عنها كل القيادات، ولذلك فان اية قيادة تتراخى وتتساهل بحق العناصر الفاسدة والغريبة فى مفاهيمها عن مبادىء الحزب، مسؤولة عن تراخيها هذا امام القيادة القطرية بل تعتبر متواطئة على الحزب وسلامته·

فالى المزيد من الاشراف والتوجيه،

والى المزيد من المراقبة والحزم فى المحاسبة،

والى المزيد من النضال في سبيل قضية امتنا العربية ··

والخلود لرسالتنا

مكتب التنظيم والاعداد الحزبى

ملحق ب : اعترافات حول الطائفية فى وحدات الجيش بحماة[1]

الطائفية

من الاساليب التى استخدمت ايضا فى تهيئة الجو لعملية عسكرية هو الاسلوب النفسى بين افراد الجيش بدفعهم لاتخاذ مواقف تكون الى جانبه وخاصة اعداء الحزب، رغم مخالفة ذلك لابسط مبادىء الحزب ودستوره ونظامه الداخلى والذى جاء حزبنا عليها وعلى اية تفرقة يقصد من ورائها تمزيق الشعب العربى وجماهيره الكادحة٠

فاضافة الى ظهوره بين القواعد الحزبية فانه قد ظهر هذا الاسلوب بالتحقيقات الجارية مع الضباط وجنود مواقع حماة، واننا نورد هنا صورا عن هذه الاعترافات:

١- قال الملازم الاول احمد كلاس من الفوج ٢٣٧م/ط:

منذ عشرين يوما تقريبا تمت هذه السهرة فى منزل النقيب عبد الجواد وكان الحديث متنوعا ومن ضمنه دار النقاش اتذكره كما يلى:

(تكلمت زوجة الملازم غسان حموى حول تكتل العلويين وروت ما تعلمه من تكتل العلويات فى دار المعلمات اثناء دراستها، وفى هذه الاثناء بالذات دار الحديث حول تكتل طائفى فى الجيش فقال احد الاثنين "عبد الجواد - غسان حموى" ان العلويين ليحاولون السيطرة على الجيش او بما قضى هذه العبارة ويجب علينا ان نتكتل بالمقابل)٠

---

[1] التقرير الوثائقى لأزمة الحزب والمقدم للمؤتمر الاستثنائى المنعقد بين ٣/١٠ - ١٩٦٦/٣/٢٧ (خاص بالأعضاء): حزب البعث العربي الاشتراكى - القطر السورى - القيادة القطرية، ص ٨٨ - ٩٣ ٠ (من الجدير بالملاحظة أن الأشخاص الوارد ذكرهم بالملحق ب مسلمون سنيون)٠

٢- قال الرقيب الاول مصطفى عجنبجي من نفس الفوج ما يلي:

اول انسان اتصل بي وفاتحني بهذا الموضوع هو العريف العتر وكان ذلك بتاريخ ١٩٦٦/٢/٩ اذ قال لي بانه مسؤول امام النقيب عبد الجواد لاعلامه عن كل ما يحدث هناك من اجتماعات ثم يقول اتصل بي العريف حمشو وقال لي يجب ان تراقب العلويين ماذا يعملون حيث نعلم النقيب عبد الجواد، واتصل بي المساعد عبد الرحمن ياسين فقال لي: القضية ياعجنبجي ليست قضية حزب بل قضية دين، يجب ان تدافع عن دينك وحريمك وفي اليوم الثاني الرقيب الاول محمد حسون مكررا اقوال المساعد ياسين والعريف حمشو٠

وقال ايضا:

ان التنظيم سيلغى ويحل محله تنظيم جديد٠

٣- قال المجند عبد الجليل الابرش من نفس الفوج:

قبل عيد الفطر حضر لخيمتي الملازم الاول غسان حموي والرقيب محمد حسون وبجانبي المجند سليم ابازيد وابراهيم الرشيدات ولعبنا الورق واثناء ذلك قال لنا الملازم المذكور:

كونوا صاحيين وديروا بالكم وبدا ينبهنا٠

هذا في الاجتماع الاول اما في الاجتماع الثاني اجتمع معي وبحضور العناصر وقال:

العلويين متسلطين على الحكم وسيأتي يوم يغدروا بالسنيين ويقضوا عليهم٠

حتى انه في احد الايام حضر لخيمتي الرقيب محمد حسون بامر الملازم غسان حموي وقال لي:

خذ هذه المفاتيح الخاصة بمستودع الاسلحة واذهب واحضر بارودة مع

مخزنين ملانين بالذخيرة - وفعلا ذهبت وجلبتها وعلقتها بالخيمة • الا ان الملازم غسان امرني باخفائها ففعلت وقال لي:

انشاء الله ونحن وضعناها - اي البندقية - عندك لاننا نجتمع عندك بدون سلاح ونخاف من العلويين يقومون بحركة اعتقالنا وقتلنا - لذلك اخفينا هذه البندقية كي نستخدمها ضد العلويين اثناء المفاجأة•

٤- قال الرقيب ديب بابات من نفس الفوج:

لقد سمعت من العريف محمد عباس والجندي محمد ديب سعد يقولون اننا ذابحين العلوية في السرية الثالثة ولا يستطيعون ان يرفعوا رأسهم وانه لم يكن هناك طرح طائفي قبل مجيء النقيب عبد الجواد نجار•

٥- قال الجندي الاول ديب خليل سعد من نفس الفوج:

انني حزبي منذ ثلاث سنوات لا اعرف للطائفة من معنى - الا انه ومنذ شهرين تقريبا وبعد القيادة القطرية وفي احد الاستنفارات جاء الرقيب الاول محمد حسون وقال لي ان هناك مشاكل في الجيش متأزمة وهي بين الطائفة السنية وبقية الطوائف وانه لا بد للحفاظ على ديننا من ان نكون يدا واحدة ولما شعرت بانه مقتنع عما يقول وناقلا هذه الالفاظ عن النقيب عبد الجواد ابديت استعدادي لاية مساعدة•

٦- قال الجندي عيد برجس من نفس الفوج:

في ١٩٦٦/١/١ سألني الرقباء محمد حسون - رياض سالم - ومحمد عباس وقالوا لي انت مسلم[٢] • فقلت نعم، فقالوا اذا كنت صحيح تحافظ على دينك وعرضك ترى الجماعة - العلويين والدروز - بدهم يتسلمون الحكم ويحاولون ازالة (الرئيس السوري السني الفريق أمين) الحافظ حتى يستلموا عندها اجبتهم اذا كان عملكم بقصد الدين فانا معكم واما بأمور سياسية فلا

---

[٢] إن الكثير من المسلمين السنيين يعتبرون العلويين والاسماعيليين والدروز وغيرهم من المسلمين غير السنيين غير مسلمين• لذلك، فعندما يسأل سني شخصاً ما اذا كان "مسلماً" فهو يعني ضمناً مسلماً سنياً•

دخل لى بها وانضم اليهم الملازم غسان الحموى وغيرهم٠

٧- قال الرقيب الاول على فاضل من الكتيبة:

على اثر حل القيادة القطرية (السورية) وحل محلها القيادة القومية اخذت اسمع شائعات بوجود خلاف بين القيادتين من قبل اهل المدينة ثم اخذ يؤيد لى هذه الانباء المساعد عبد الرحمن ياسين انه يوجد طائفى بين كتلة الفريق الحافظ اى الكتلة السنية - والكتلة العلوية وان العلويين يعملون تكتل ضد الاسلام واذا استولوا على الحكم يهينونا ويذلونا ويجب علينا الانتباه ومراقبتهم حتى لا تنم السيطرة من قبلهم وان النقيب مصطفى عبدو يمثل الفريق فى حماة ويجب علينا السير وراءه وندعمه حفاظا عن الاسلام ونصرة الدين وقال لى ان هذه الاقوال صادرة عن قائد الفوج٠

وقد سمعت عن لسان المدنيين ان النقيب مصطفى عبدو سيسلح الشعب اذا اقتضى الامر دفاعا عن كتلة الفريق الحافظ٠

٨- قال الرقيب الاول محمد حسون غير حزبى من فوج ٢٣٧م/ط:

قال الرقيب عبد الجواد نجار - ان القيادة القطرية عندما شكلت كانت من مختلف الفئات ولكنهم مع مرور الايام التى تحكم القطر من الطوائف الغير- سنية - ولكن هناك رجال من القيادة القومية شعروا بخطورة الموقف وحلوا القيادة واستولوا على حكم البلاد والجدير بالذكر ان المقدم مصطفى طلاس كيف انه يتعاون مع العلويين مع انه مسلم سنى لكنه لا يلام لان والدته علوية بالاصل ثم اخذ ينبه ويلوم الفوج على عدم انتباهنا وسهرنا ومعرفتنا عن ذلك علما ان عموم بقية القطعات عارفة هذا الشىء وسهرانه جيده ونحن ننام فيجب علينا ان نصحوا من هذا السبات ونسهر دوما ونعود بالتاريخ الى الوراء ونتذكر الفتوحات الاسلامية والغزوات وما الى ذلك وكم من المسلمين استشهدوا فى سبيل الدين والشريعة ونحن على شاكلتهم ولن نسمح لاحد ان يدوس على ديننا٠

وقال لى النقيب:

انني اراك متخاذل وهل فيما القي عليك من اوامر نطلب اليك الرد بكلمتين وذلك لتحديد موقفك - اما معنا او ضدنا - وفي الحالة الثانية سيكون مصيرك كمصيرهم - الرش بالرصاص - ثم ارسلنا الى الملازم غسان حموي وقلت له لقد ارسلني اليك النقيب عبد الجواد لانه في هذه الليلة بالذات ستقوم جماعة العلويين - بذبح الاسلام - ثم قال لي:

ولا تظنوا انفسكم انتم الغير حزبيين ان القيادة غير مهتمة بكم تأكدوا انه سيأتي يوم يصدر به قرار سري من القيادة القومية بحل الحزب نهائيا واعادة تشكيله من جديد ونحن في هذه الحالة نعرف من ننظم بالحزب·

٩- قال النقيب عبد الجواد نجار رئيس اركان الفوج ٢٣٧م/ط:

خلال فترة حل القيادة القطرية اتصلت بالرقيب محمد حسون وهو غير حزبي وقلت له دير بالك بتجميع علوي وقد فاتحته بموضوع التكتل العلوي كما فاتحت بذلك الملازم غسان الحموي وغيرهم من الاشخاص· وقال:

لقد قمت بتعيين عناصر امن ارتباط على اساس سني وهم اخذوا بدورهم ينشطون حتى يتوسع التكتل وقد اعلمت قائد الفوج النقيب مصطفى عبدو بذلك فوافق على الفكرة·

ملحق ج : تحليل عن القوات المسلحة السورية[1]

ان موضوع الجيش - يتطلب منا وقفة طويلة وواعية لسبب بسيط هو ان الجيش - اى جيش - هو السياج الذى تقيمه المنظمات الحاكمة من حولها لتعمل على تطوير مكاسبها بمنأى عن المفاجآت، داخلية كانت ام خارجية، بل ولتضرب به عند اللزوم، كل من يحاول عرقلة مسيرتها، وهو بهذا المعنى سلاح ذو حدين، فاما ان يكون جيشا شعبيا، يمثل الطبقات الكادحة ويحرس منجزاتها، او ان يكون سيفا مصلتا على رقاب تلك الطبقات، ان كان جيشا محترفا او برجوازيا ·· ولذلك تشترط الكتل السياسية التى تتقاسم فيما بينها "**مقاعد الحكم**" ان تتقاسم "**الوية الجيش وكتائبه**" كضمان لاستمرارها وفرض وجهة نظرها (اشترط الوحدويون الاشتراكيون على صلاح الدين البيطار للدخول فى المجلس الوطنى والاشتراك فى الحكم مثل هذا الشرط)·

ولذلك ايضا تستميت الامبريالية العالمية وعملاؤها، فى ان يبقى تركيب الجيوش فى البلدان المتخلفة، تركيبا برجوازيا، وذلك عن طريق ابعاد ابناء الطبقات الفقيرة والمحرومة عن مراكز القيادة والتأثير فيها (الضباط وضباط الصف)، وجعلها حكرا على ابناء الاقطاعيين والرأسماليين وكبار البرجوازيين، وادخال روح الاحتراف والطاعة العمياء على المفاهيم العسكرية، وابعاد الجيش عن السياسة (**عودة الجيش الى ثكنه**) لتكون مثل هذه الجيوش صمام الآمان، الذى تستخدمه الامبريالية، كلما تهددت مصالحها بالخطر كما فعلت فى غانا واندونيسيا، وغيرها من بلدان العالم الثالث·

ولقد كان احلال فكرة "**الجيش العقائدى**" "محل فكرة الجيش الاحترافى" البرجوازى الكلاسيكى هى اكبر ضربة، توجه الى مصالح الامبريالية العالمية، فى الدول المتخلفة فى العصر الحديث·

ان "**القوة**" هى احد الاساليب التى يلجأ اليها الانسان فى الدفاع "**عن وجهة النظر**" التى يعتقد انها الحق، وبذلك تكون قدرته على ممارسة تلك

---

[1] أزمة الحزب وحركة ٢٣ شباط وانعقاد المؤتمر القطرى الأخير - نشرة سرية داخلية خاصة بالأعضاء: حزب البعث العربى الاشتراكى - القيادة القطرية، ص ١٥ - ٢٨ ·

القوة تتناسب طردا، مع ايمانه باحقية وجهة نظره، وشدة العوائق التى تحول دون تحقيقها اى ان العبرة تقوم فى الزند الذى يحمل السلاح، لا فى السلاح نفسه، ويصبح التأهيل الفنى العسكرى، شرطا متأخرا على شرط التأهيل العقائدى، واذا ما تبادر الى الذهن، ان قضية الحق هى مشكلة نسبية، فالجواب ان هذا صحيح، اذا كنا مجرد علماء، نقيم وننصف الامور من خارجها، اما عندما نكون اعضاء فى منظمة ثورية عن وعى وطوعية، فان قضية الحق بالنسبة لنا تغدو قضية واضحة، لا تقبل الشك او اللبس، انها قضية الاجيال العربية الكادحة المحرومة التى تمثل غالبية الشعب، قضية الدفاع عن اهداف هذه الجماهير والعمل بمختلف الوسائل الثورية على تحقيقها، انها قضية رفع الحيف والجور والظلم والهوان، التى ما برحت تربض فوق هام الانسان العربى، تنتقص من انسانيته وتلجم امكاناته وتخنق تطلعاته منذ مئات السنين.

ان الجندى العقائدى الذى نعنى، يجب ان يتربى على هذه المبادىء، كيما يصبح مؤتمنا على السلاح الذى يحمله وليكون السد المنيع فى وجه كل الاعداء، اعداء الامة العربية اعداء الطبقات الكادحة المحرومة، اعداء الوحدة والحرية والاشتراكية، ما كان منهم فى الداخل او كان فى الخارج.

فى الجيش العقائدى - ايها الرفاق - تزول الاساليب الاحترافية الكلاسيكية القائمة على الارتزاق والقسر الاعمى وتحل محلها علاقات اخرى جديدة، علاقات قائمة على المحبة والتفاهم والايمان المشترك بالمصير المشترك.

لقد كان من ابرز منجزات ثورة الثامن من آذار الشعبية ذلك التحويل العقائدى، بل الثورة العقائدية التى ادخلتها الى صفوف الجيش العربى السورى، ضباطا وضباط صف وافراد، حيث جعلت منه مثلا رائدا لكل بلدان العالم الثالث، بعد الجيشين الشعبيين فى روسيا والصين الشعبية، ذلك ان معطيات الواقع العربى بما يحمله من ارتكاسات التخلف والتجزئة والاستعمار جعلت "**من الثورة**" الاسلوب الوحيد لتبديل ذلك الواقع المريض، والاسلوب الثورى، هو تجاوز الواقع تجاوزا "**نوعيا**" لا "**كميا**" انه تجاوز الطرق الاصلاحية الى "**حركة ثورية**" تضم طليعة ابناء الشعب ممن سبقوا غيرهم فى تحسس امراض مجتمعهم وفى تصور المستقبل الامثل له تستقطب حولها

معظم الجماهير الكادحة المحرومة، وتهيء نفسها للانقضاض على مواقع اليمين الاقتصادية والسياسية وعلى راسها "**تسلم الحكم**" اذن فاستلام الحكم من قبل الحركة الثورية، شرط اساسي وضروري من اجل تحقيق "**الثورة**" وتثبيتها، ومن هنا جاءت حاجتها الى "**جيش شعبي**" من طينتها وطبيعتها، سواء ليساعدها في الانقضاض "القبلي" على مواقع اليمين والرجعية والامبريالية او في الحماية "البعدية" لعمليات التحويل الاشتراكي الاجتماعي القومي، مبرر قيام ثورة ومبرر بقائها واستمرارها، ومن هنا ايضا كانت كافة القوى المعادية للثورة، تستهدف اول ما تستهدف في مخطط استعادتها لمواقعها، الاطاحة بالثورة عن طريق "**خلخلة**" ذلك "**الاطار المسلح**" الذى يحميها والعمل على افساد "**بنيته الشعبية**" وتركيبه الاشتراكي، وذلك بمختلف الوسائل وادهاها، بدءا من فتح ابوابهم الفارهة لاستقبال عناصره واغراقها في "**بحر من المباذل**" الرخيصة الى محاولة "**الرشوة**" والشراء المباشر بالمال انهم بذلك يخترقون السياج الايديولوجي "**للعسكرى**" ويفسدون التركيب النفسي الاشتراكي عنده، وشيئا فشيئا ترتخي السواعد الحاملة للسلاح والاصابع الضاغطة على الزناد ويكبو الجواد وتحل الكارثة.

ايها الرفاق:

يجدر بنا ان نعرج قليلا على موضوع جيشنا العربي السوري، جيش ثورة آذار ثورة البعث العربي الاشتراكي، لنحلل وضعه ونضع يدنا على مواطن الصحة والمرض فيه، ونحاول ان نجنبه الانزلاق في المهاوى المخيفة التي يخططها له الاعداء.

ان طبيعة معركة الاستقلال عندنا وعدم وجود تميز طبقي صارخ في مجتمعنا، سمح بان يتسرب الى "**الكلية العسكرية**" الى جانب كبار ابناء العائلات والتجار والبرجوازيين مجموعة من ابناء الفلاحين والعمال والكسبة غدوا فيما بعد "**النواة**" الثورية للجيش التي اهلته للقيام بدوره المشرف في حياة هذا القطر وحياة الامة العربية، بل في العالم الثالث باسره.

ان التاريخ السياسي للقطر العربي السوري، ومنذ عام ١٩٤٩، يبدو وكأنما هو "**ملحمة سياسية**" بين اليمين والرجعية والبرجوازية من جهة، وبين الطبقات الكادحة والحزب من جهة ثانية، الهدف الرئيسي فيها، تصحيح تلك **الغلطة التاريخية** بالنسبة للبرجوازية - غلطة السماح لابناء الطبقات

الفقيرة بالوصول الى قيادة القوات المسلحة - والمحافظة على ذلك المكسب الكبير بالنسبة للحزب وللطبقات الكادحة، وليست سلسلة الانقلابات التى تتابعت على المسرح السياسى للقطر الا محصلة ذلك الصراع بين الطرفين **ولقد كان "عصيان قطنا"[٢] (فى عام ١٩٥٧) نقطة تحول هامة فى تاريخ الجيش العربى السورى**، كانت لها جوانبها الايجابية، فهى من جهة اظهرت قوة تلك المجموعة من الضباط التى بدت فى مجموعها مرتبطة بسياسة الحزب القومية الاشتراكية واثبتت وجودها المتميز بشكل مادى لاول مرة ومن جهة اخرى كشفت هذه القوة وجعلتها هدفا مباشرا للاستعمار والبرجوازية ٠٠ ولذلك فقد ازدادت حدة الصراع فى الجيش بعد ذلك العصيان وبلغت ذروتها عند طرح موضوع الوحدة مع مصر٠ وكانت الغلبة هذه المرة كذلك الى جانب كتلة الحزب، التى منعت تسرب التمييع والمساومة الى مفاوضات الوحدة كقضية شعبية مصيرية مقدسة٠

وعندما ابعد حكم الوحدة، رفاقنا عن قيادة الجيش، واستبدلهم بعناصر من ابناء العائلات والبرجوازيين والمرتزقة والمحترفين حصلت كارثة الانفصال، التى سرعان ما حولها رفاقنا، على تشتتهم ومطاردتهم آنذاك الى نصر ساحق صبيحة الثامن من آذار عام ١٩٦٣، ومعلوم ان عناصر وحدوية كثيرة غير حزبية قد ساهمت معنا فى حركة ٨ آذار الا انها اصطدمت مع الحزب، لاعتبارات لا مجال هنا لذكرها واصبح لا بد من تصفيتها لا لانها ليست وحدوية واشتراكية وانما لانه ليس اقتل للثورة من التناقض والتردد٠

ان الثورة سمحت لنفسها ان تلغى كافة المؤسسات البرجوازية القائمة دفعة واحدة، عليها ان تقدم ثمن ذلك مباشرة سريعة، باعمال التحول الاشتراكى والاجتماعى والقومى وبالتالى عليها العمل السريع لتحقيق الاهداف التى تسلمت الحكم من اجلها٠ وهذا لا يتأتى الا اذا عمدت الثورة الى تطهير صفوفها وازالت التناقض الذى يشل اداتها٠

ان القيادة القطرية من خلال دراستها لاوضاع الجيش فى ظروف تحوله العقائدى خلال الفترة السابقة، تضع بين ايدى الرفاق ملاحظاتها

---

[٢] من أجل "عصيان قطنا" انظر محمد عمران، تجربتي في الثورة، ص ١٣؛ سامي الجندي، البعث، ص ٨٥؛ مصطفى طلاس، مرآة حياتي، العقد الأول (١٩٤٨-١٩٥٨)، ص ٦٣٠ - ٦٤٤؛ Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963-66, p. 14.

الاساسية فى الموضوع، والتي هي مستمدة فى جوهرها من التقرير الذى قدمته القيادة القطرية المؤقتة الى المؤتمر القطرى الاستثنائى الاخير، واقره بعد اجراء بعض التعديلات عليه:

١- ان ظروف قيام الثورة، وعدم انبثاقها المباشر عن التنظيم الحزبى الرسمي، جعلت كثيرا من الرفاق العسكريين الذين فجروا الثورة باسم الحزب، يشعرون بانهم اكثر مسؤولية حيال حماية الثورة من رفاقهم المدنيين ولقد كان لهذا الشعور آثارا سلبية على الحزب، اخذت عند البعض شكل الوصاية من الجيش على الحزب، واخذت عند البعض الآخر صورة الاستخفاف وعدم الاحترام للتنظيم المدنى، كما اغلق نتيجة ذلك التنظيم العسكرى بوجه القيادات النظامية ولفترة طويلة.

٢- الحت ظروف الثورة الاولى، ومرحلتها الصعبة على دعوة عدد كبير من العسكريين الاحتياطيين (ضباط وضباط صف) حزبيين ومؤيدين لملء الشواغر التى نجمت عن تصفيات الخصوم، ولتدعيم مواقف الثورة وحمايتها، ولم يسمح ذلك الالحاح آنذاك باعتماد اسس موضوعية فى عملية الاستدعاء وانما كانت عوامل الصداقة والقرابة، واحيانا مجرد المعرفة الشخصية هى الاساس، مما ادى الى تسرب عدد معين من العناصر الغريبة البعيدة، عن منطق الحزب ومنطلقاته، وسبب بالنتيجة - وبعد تجاوز المرحلة الصعبة - استخدام هذا الموضوع سلاحا للطعن فى نوايا بعض الرفاق والتشكيك بهم.

٣- بدأ التنظيم الحزبي يتسع بعد الثورة، دون ان يكون له نظام داخلى يوضح العلاقات الحزبية، ويضع الحدود بينهما وبين العلاقات العسكرية، مما سهل خلق الفوضى. وعدم التجانس فى اسلوب العمل الحزبى بين قطاعات الجيش المختلفة، بحيث كان مزاج العناصر القيادية فى كل قطعة وفهمها الخاص للعمل الحزبى يحدد اسلوب التنظيم فيها.

٤- ان تنسيب عناصر غير حزبية، ومنحها مرتبة العضو العامل مباشرة ومن ثم اعطاء اولوية القيادة الحزبية الى الرتبة الاعلى، بصرف النظر عن الارتباط الحزبى ومدته ودرجته ونوعيته، سهل على الكثيرين من غير الكفوئين، وأحيانا من غير المضمونين، التوصل الى الاشتراك فى المؤتمرات الحزبية والمساهمة فى تقرير مصير الحزب ترشيحا وانتخابا، والوصول بالتالى الى اعلى قياداته، ولقد ساعد عدد من امثال هؤلاء فيما بعد، على

تسهيل سيادة المنطق المغاير لمنطق الحزب، بوقوعهم فى فخ الارتباطات الجانبية والتكتيلية والفردية، بسبب عدم انسلاخهم التام عن وسط وظروف ما قبل الانتماء الى الحزب.

٥- بالنظر للدور القيادى الذى اضطلعت به "**اللجنة العسكرية**" الاولى، بعد قيام الثورة ولكثرة الصلاحيات والادوار التى قامت بها على مستوى الحزب والجيش والسلطة مما جعل لعناصرها مركزا معينا فى تلك المستويات كل ذلك خلق نوعا من الحساسية بين هؤلاء الرفاق، وبين رفاق لهم ادنى منهم رتبة ممن حملوا السلاح صبيحة الثامن من آذار من جهة، وبينهم وبين رفاق آخرين ومن رتب مختلفة لم يتيسر لهم لاسباب متعددة سابقة للثورة حمل السلاح من جهة اخرى.

٦- ان تلك الحساسية كانت تتضخم بين الرفاق المذكورين يوما بعد يوم وقد كان اهمال اللجنة العسكرية امور التنظيم، وانغماسها بامور الحكم عنه، ودخولها دوامة الصراع الذى كان قائما فى قيادة الحزب والثورة وانقطاعها عن القواعد العسكرية، سببا فى تعميق تلك الحساسية، وتعبئة القواعد العسكرية فى خلق رأى شبه عام ضد اللجنة، ادى الى سحب الثقة منها - كمؤسسة - فى مؤتمر الكسوة (ابريل (نيسان) أو مايو (ايار) ١٩٦٥)[٣].

٧- ان التنظيم الحزبى فى الجيش، نتيجة الاخطاء التى تراكمت والتى لم تسمح التناقضات التى كانت قائمة فى قمة الحزب والثورة، كما ذكرنا بمعالجتها فى حينها، والتى شجعها البعض واستغلها، فى محاربة الآخرين، وبسبب التباين فى مستوى العضوية، وفى فهم واستيعاب عقيدة الحزب من خلال الممارسة العملية للنضال، اصبح يعانى ضعفا عاما فى جميع مستوياته ودرجاته، وتسود فيه عند كثير من الرفاق مفاهيم خاصة بعيدة كل البعد، وغريبة كل الغرابة، عن المفاهيم الحزبية والمنطق الحزبى، كالطائفية والعشائرية، والاقليمية وغيرها، حتى ان كثيرا ممن فقدوا المناعة "الذاتية" من الرفاق، قد اصبح مناخهم ملائما لكل متصيد يجيد حبك الشائعات، وتشويه

---

[٣] من أجل مؤتمر الكسوة العسكرى انظر منيف الرزاز، التجربة المرة، ص ١٣٢-١٣٣ ؛ **Rabinovich, Syria under the Ba'th 1963-66, p. 158; Van Dam, De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme, pp. 115-17; Van Dam, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958-1966)', p. 14.**

الحقائق، وتنميق الكلام، وقد كان موضوع الطائفية، من أبشع والأم "الافخاخ" التى نصبها الاعداء والاستعمار لمثل هؤلاء الرفاق.

٨- **في جملة المخططات التى اتبعت فى تفسيخ الجيش، ومحاولة افقاده دوره الطليعي، هو موضوع الطائفية،** ولسنا هنا فى مجال دراسة هذه الظاهرة دراسة علمية اجتماعية، وانما المؤكد ان شعبنا فى هذا القطر بحكم درجة النضج السياسى التى وصل اليها، قد تجاوز مثل هذه الهرطقات الاستعمارية البالية الى قيم اجتماعية وسياسية جديدة، قائمة على احلال الروابط القومية والطبقية، محل تلك الروابط البالية، التى عفا عليها الزمن.

ان هذا لا يمنع من ان تكون اخطاء معينة قد وقعت وان اعتبارات لا حزبية وبصور شتى - اقليمية وطائفية وعشائرية - وغيرها كانت تحل احيانا محل القيم الثورية والحزبية الصحيحة سواء على مستوى الجيش، او على مستوى التنظيم المدنى.

ان ما جعل من هذه الاخطاء امورا "خارقة" فى مستوى الجيش هو ركوب هذه الظواهر المرضية واستغلالها من قبل بعض عناصر "قمة الجيش" والثورة، فى محاولة الوصول الى مآرب خاصة، وتنفيذ خطط معينة.

ايها الرفاق:

ان محاولة الايقاع بيننا، عن طريق طرح مثل تلك الشعارات المهترئة اكبر امتهان لكرامتنا من قبل الاعداء، فسلاح الطائفية كان يصلح استخدامه فى القرون الوسطى، او فى عصور الانحطاط، واما فى القرن العشرين وفى حزب البعث العربي الاشتراكى بالذات، فتلك ابشع مهانة يمكن ان توجه لا الى نضال الحزب طيلة ربع قرن، وانما إلى نضال الأمة العربية بأسرها منذ فجر النهضة، الى كل شهيد مات فى سبيل القضية العربية بل الى كل قطرة دم اريقت على مذبح الوحدة والحرية والاشتراكية.

اننا نحذر الرفاق جميعا: من مغبة الوقوع فى شرك مثل هذه الافخاخ الاستعمارية البالية ومسؤولية تجاوز هذا الموضوع تقع على عاتق الجميع كل بمفرده، ضابطا كان او ضابط صف او جندى او مجند، وان كانت قيادة الجيش اولا والرفاق الضباط ثانيا يتحملون القسط الاوفى من المعالجة ما كان منها

على المدى القريب وكان على المدى البعيد.

٩- ان بقاء القواعد الحزبية العسكرية، بعيدة عن صراعات القيادات المدنية والعسكرية الفوقية، لم يستمر طويلا اذ تمكن بعض المستغلين من زج تلك القواعد البكر فى معترك الصراع، وكان اولها ابان الازمة بين القيادة القومية والقيادة القطرية، فى العام الماضى حيث نشط المتنازعون على كسب قواعد الجيش وطرح المشاكل عليها وباساليب مختلفة جعلها غير حزبية مما ساعد بسهولة على ادخال عامل التكتل الى صفوف الرفاق وغدا وسيلة تستخدم لتغطية الخلافات والتنازعات الشخصية والتكتلية والانتهازية احيانا، وانعكس ذلك على (عسكرية الجيش) فماع الانضباط، وهبط مستوى التدريب من خلال الانشغال بهذه الخلافات والمجاملات التى تفرضها مصلحة التكتلات.

١٠- ان انعدام الرقابة والمحاسبة الحزبية، سهل نمو الشعور باللامبالاة واضاع المسؤولية، الامر الذى جر كثيرا من خيرة رفاقنا، الى السقوط فى منزلقات خطيرة، اصبح معها البتر هو العلاج الوحيد لبعض تلك الحالات.

١١- ان عدم الوضوح فى فهم التجربة الحزبية فى الجيش، جعل الكثيرين يخلطون بين المفهوم الحزبى والمفهوم العسكرى، ويسقطون كلا منهما على الاخر، خلال الممارسة اليومية الحزبية او العسكرية، الامر الذى كان له منعكساته السلبية على المفهومين معا.

١٢- ان شعور بعض الرفاق العسكريين بان اترابهم من الرفاق المدنيين، قد توصلوا الى درجات معينة، وتسلموا مسؤوليات هامة فى الثورة، فتح اعينهم على الطموح غير المشروع ودفع بهم على تعويض ما فاتهم عن طريق المراكز الحزبية، فى لجنة عسكرية او مكتب عسكرى او اى مجال آخر.

١٣- ولا بد من الاشارة الى ان كافة الفئات السياسية المعادية، والطابور الخامس قد عملوا جاهدين على خلق وتنمية وتعميق كافة الجوانب السلبية فى الجيش وقاموا بالتركيز بصورة خاصة على بعض رفاقنا البارزين، واحاطوهم بجو كثيف من الشائعات والاقاويل، بغية تشويه سمعتهم وفرض تصفيتهم، وبالتالى النيل من سمعة الحزب والثورة، واضعاف مقاومتها نتيجة ذلك.

١٤- واما مجموعة غير الحزبيين فى الجيش والتى استمرت تعمل فى النطاق العسكرى البحت، مدة طويلة ومنذ قيام الثورة، دون ان تتجرأ او ان تساهم فى اى نشاط سياسى او تكتلى، بالنظر لظروف الثورة الاولى، وتماسك رفاقنا فى الحزب، وعدم وجود الثغرات بين صفوفهم، تلك المجموعة تململت وتحركت اخيرا بشكل واضح وملموس عندما شعرت ان بين الحزبيين من يدغدغها ويغازلها ويطريها، ويطالب بانصافها ومنحها حقوقها المهضومة والتى لم تكن هى نفسها لتطالب بها، لولا انها وجدت بين القادة الحزبيين من يشجعها، ويفتح امامها الطريق لهذه المطالبة، وشعرت باهميتها كذلك فى مجال الصراع الدائر بين كتل الحزب، وبانها اضحت قوة يحسب حسابها، ويخطب ودها من قبل المتنازعين وان تلك المجموعة وان ساهمت فى تعميق الخلافات واذكاء نارها فان هدفها يبقى واحدا ومحددا، وهو التخلص من كل الفئات الحزبية المتنازعة ليعيدوا الجيش فريسة لهم ولاعداء الثورة كما كان قبل ثورة الثامن من آذار.

١٥- واخيرا ايها الرفاق، فان المؤتمر القطرى انطلاقا من ضرورة تجاوز كافة النواحي والامور السلبية التى رافقت تجربة جيشنا العقائدى خلال الفترة الماضية، فقد وضع الاسس التى رآها كفيلة بتحقيق ذلك الفرض، والوصول الى وضع جديد متميز بالدرجة والنوع، سواء على المستوى الحزبى، او على المستوى العسكرى وهى:

(١) يدين المؤتمر كافة المحاولات السابقة الرامية لتفشيل التجربة العقائدية فى الجيش والعودة به الى صورة الجيوش المحترفة، فى بعض الدول النامية حيث تعتمده الاحتكارات الاجنبية والراسمالية، قوة تخنق بها الحركات التحررية، كما يدين المحاولات المشبوهة لتغيير بنية الجيش الطبقية، ويقرر ضرورة تحقيق التوصيات الاساسية التالية فى هذا القطاع:

١- تطبق الصيغ التى اقرتها المؤتمرات الحزبية، فى تحديد ميدان وظيفة الجيش، فى فصل السلطات العسكرية عن المدنية، على ان يستثنى ايضا رئيس الاركان العامة من شروط التخلى عن وظيفته العسكرية اضافة الى وزير الدفاع.

٢- المحافظة على التركيب الطبقى للجيش وتطوير اطاراته الحالية باتجاه شعبى وثورى.

٣- التركيز على التثقيف العقائدى والتوعية السياسية ونجاحه فى اوساط ضباط

الصف والجنود·

٤- الوقوف بحزم فى وجه مظاهر الابذخ والبيروقراطية، والحد من الاسراف فى النفقات، وتطبيق مبدأ المحاسبة الصارمة·

٥- اتاحة الفرصة للجيش ان يساهم فى عملية البناء والتحويل الاشتراكى، وذلك بوضع شعار الجيش والاعمار موضع التنفيذ، وفق خطة عملية مدروسة·

٦- اتاحة الفرصة للجيش العقائدى ان يساهم فى رسم سياسة الحزب، عن طريق تمثيله فى المؤتمرات الحزبية، وفق المقررات المتخذة سابقا فى المؤتمرات·

(٢) ربط الجيش بالحزب ربطا عضويا عن طريق اتباع الاساليب الآتية:

أ- انشاء مكتب عسكرى ينحصر عمله بالامور الحزبية، ويتألف من عدد من العسكريين والمدنيين على ضوء الحاجة، وتقرر القيادة القطرية عدد ونسبة المتفرغين فيه، ويرأس المكتب احد اعضاء القيادة القطرية، (لا يشترط ان يكون عسكريا طبعا)·

ب- تعيين موجهين سياسيين متفرغين فى كل فرع عسكرى، تختارهم القيادة القطرية من ذوى الكفاءة، ويرتبطون بها عن طريق المكتب العسكرى·

ج- اشراك الجيش فى مؤتمرات الحزب ضمن النسبة التى حددها المؤتمر القومى الثامن[٤] ويتم الاختيار بالتمثيل وليس بالتعيين·

د- تعميق تجربة الجيش العقائدى والخط الاشتراكى، عن طريق تدريس عقيدة الحزب ومبادئه فى مدارس ومعاهد وكليات الجيش، وضمن البرامج التوجيهية له·

هـ- اشراك العسكريين الحزبيين فى مدارس الاعداد الحزبى·

و- اعادة دراسة النظام الحزبى العسكرى المعمول به حاليا وعرضه على اول مؤتمر قطرى عادى، او الدعوة الى مؤتمر قطرى استثنائى، لاقرار التعديلات المقترحة على ضوء التجربة السابقة·

---

[٤] تم انعقاد المؤتمر القومى الثامن لحزب البعث بدمشق فى ابريل (نيسان) ١٩٦٥، وقرر المؤتمر انه خلال المؤتمرات القطرية السورية القادمة للحزب لا بد من تمثيل تنظيم الحزب العسكرى بنسبة لا تزيد عن ٢٠٪ من مجموع ممثلى المؤتمر· انظر بشير الداعوق، نضال حزب البعث العربى الاشتراكى عبر مؤتمراته القومية: المؤتمر القومى الثامن (نيسان ١٩٦٥)، ص ٢٣٥-٢٣٦ ·

ز- ادانة اسلوب الاتصالات الجانبية، ويوصي المؤتمر باستخدام الحزم واشد العقوبات للقضاء على هذه الظاهرة التى تهدد سلامة التنظيم·

ح- ان ضباط الصف والجنود، يشكلون القاعدة الاساسية فى الجيش، التى يجب ان تكون فى صف الثورة والحزب، ولذلك يوصى المؤتمر، بضرورة العناية بهذا القطاع الكادح وتثقيفه ونشر التجربة الحزبية فيه·

(٣) اعادة النظر بالتنظيم الحزبى فى الجيش على ضوء التجربة، بشكل يضمن ابعاد العناصر المندسة والمخربة، ضمن اسس موضوعية تضعها القيادة·

(٤) التأكيد على ان سلوك الحزبى هو ملك للحزب وليس لنفسه، ومحاسبة كل من يسىء لاخلاقية الحزب وسلوكيته، محاسبة قاسية·

ايها الرفاق

ان عقائدية الجيش لا بد ان تكون تمتينا لعسكريته لا تمييعا لها، ان معركة فلسطين على الابواب ولا بد من أتخاذ كافة الترتيبات العسكرية لخوضها·

ان حزبية العسكرى يجب ألا تعطيه امتيازا على غيره، ولا بد ان تكون العلاقات انضباطية بين الحزبيين وغير الحزبيين· ان عناصر الاحترام والمحبة والديمقراطية التى دخلت على العلاقات العسكرية يجب الا تكون على حساب الانضباط العسكرى، والتأهيل الحزبى لخوض معركة التحرير· وعلى قيادة الجيش ان تكون حازمة فى الامور التى تمس امن الجيش وعسكريته·

جدول ١ : التمثيل الاقليمي والطائفي في الوزارات السورية (١٩٤٢-١٩٦٣)

المنطقة	الديانة	وزارة رقم ٣١-٦٥ الفترة ١٩٤٢/١-١٩٥٨/٢	٦٦-٦٩ ١٩٥٨/٢-١٩٦١/٩	٧٠-٧٥ ١٩٦١/٩-١٩٦٣/٣	٣١-٧٥ ١٩٤٢/١-١٩٦٣/٣
دمشق* (٪٢١)	سني	٪٣٦٫٩ (١١٧)	٪٣٦٫٨ (٢١)	٪٣٧٫١ (٣٣)	٪٣٧٫٣ (١٧١)
	مسيحي	٪٦٫١ (١٩)	--	٪٧٫٩ (٧)	٪٥٫٧ (٢٦)
	شيعي	--	--	--	--
	المجموع	٪٤٣٫٦ (١٣٦)	٪٣٦٫٨ (٢١)	٪٤٤٫٩ (٤٠)	٪٤٣٫٠ (١٩٧)
حلب (٪٢٠)	سني	٪١٧٫٠ (٥٣)	٪١٤٫٠ (٨)	٪١٣٫٥ (١٢)	٪١٥٫٩ (٧٣)
	مسيحي	٪٥٫٨ (١٨)	--	٪٢٫٢ (٢)	٪٤٫٤ (٢٠)
	المجموع	٪٢٢٫٨ (٧١)	٪١٤٫٠ (٨)	٪١٥٫٧ (١٤)	٪٢٠٫٣ (٩٣)
ادلب (٪٧)	سني	٪١٫٠ (٣)	--	--	٪٧٫٠ (٢)
	المجموع	٪١٫٠ (٣)	--	--	٪٧٫٠ (٢)
حماة (٪٨)	سني	٪٥٫٨ (١٨)	٪٨٫٨ (٥)	٪٥٫٦ (٥)	٪٦٫١ (٢٨)
	اسماعيلي	٪٠٫٣ (١)	--	--	٪٠٫٢ (١)
	علوي	--	--	--	--
	مسيحي	--	--	--	--
	المجموع	٪٦٫١ (١٩)	٪٨٫٨ (٥)	٪٥٫٦ (٥)	٪٦٫٣ (٢٩)
حمص (٪١٠)	سني	٪٨٫٠ (٢٥)	٪٧٫٠ (٤)	٪٣٫٤ (٣)	٪٧٫٠ (٣٢)
	علوي	--	--	--	--
	مسيحي	--	--	--	--
	المجموع	٪٨٫٠ (٢٥)	٪٧٫٠ (٤)	٪٣٫٤ (٣)	٪٧٫٠ (٣٢)
اللاذقية (٪١٣)	سني	٪١٫٩ (٦)	--	٪١٠٫١ (٩)	٪٣٫٣ (١٥)
	علوي	٪٢٫٦ (٨)	٪١٫٨ (١)	٪٢٫٢ (٢)	٪٢٫٤ (١١)
	اسماعيلي	--	--	--	--
	مسيحي	--	--	٪٤٫٥ (٤)	٪٠٫٩ (٤)
	المجموع	٪٤٫٥ (١٤)	٪١٫٨ (١)	٪١٦٫٩ (١٥)	٪٦٫٦ (٣٠)
دير الزور (٪١٢)	سني	٪٦٫٧ (٢١)	٪٧٫٠ (٤)	٪٦٫٧ (٦)	٪٦٫٨ (٣١)
	المجموع	٪٦٫٧ (٢١)	٪٧٫٠ (٤)	٪٦٫٧ (٦)	٪٦٫٨ (٣١)
درعا (٪٤)	سني	--	٪١٫٨ (١)	٪٢٫٢ (٢)	٪٠٫٧ (٣)
	مسيحي	--	--	--	--
	المجموع	--	٪١٫٨ (١)	٪٢٫٢ (٢)	٪٠٫٧ (٣)
القنيطرة (٪٢)	سني	--	--	--	--
	درزي	٪١٫٠ (٣)	--	--	٪٠٫٧ (٣)
	المجموع	٪١٫٠ (٣)	--	--	٪٠٫٧ (٣)
السويداء (٪٣)	سني	--	--	--	--
	درزي	٪١٫٩ (٦)	٪٣٫٥ (٢)	٪٣٫٤ (٣)	٪٢٫٤ (١١)
	المجموع	٪١٫٩ (٦)	٪٣٫٥ (٢)	٪٣٫٤ (٣)	٪٢٫٤ (١١)
غير سوري	سني	٪٤٫٢ (١٣)	--	--	٪٢٫٨ (١٣)
	مسيحي	٪٠٫٣ (١)	--	--	٪٠٫٢ (١)
	المجموع	٪٤٫٥ (١٤)	--	--	٪٣٫١ (١٤)
غير معلوم	سني	--	٪١٩٫٣ (١١)	٪١٫٣ (١)	٪٢٫٦ (١٢)
المجموع		٪١٠٠٫٠ (٣١٢)	٪١٠٠٫٠ (٥٧)	٪١٠٠٫٠ (٨٩)	٪١٠٠٫٠ (٤٥٨)

* النسبة المئوية التي تتبع اسماء المناطق مباشرة تشير الى نسبة سكان كل منطقة على التوالي بالنسبة للمجموع الكلي.

جدول ٢ : التمثيل الاقليمي والطائفي في الوزارات السورية (١٩٩٥-١٩٦٣)*

وزارة رقم:		٨٣-٧٦	٨٨ ٨٤	٩٥-٨٩	٩٥-٧٦
الفترة:		١٩٦٦/٢-١٩٦٣/٣	١٩٧٠/١١-١٩٦٦/٢	١٩٧٦/٨-١٩٧٠/١١	١٩٧٦/٨-١٩٦٣/٣
المنطقة	الديانة				
دمشق˙ (٪٢١)	سني	٪٢٠.٧ (٣٤)	٪٢٠.٠ (٢٤)	٪٢٠.٠ (٣٦)	٪٢٠.١ (٩٤)
	مسيحي	٪٤.٢ (٧)	--	--	٪١.٥ (٧)
	شيعي	--	٪٠.٨ (١)	--	٪٠.٢ (١)
	المجموع	٪٢٤.٤ (٤١)	٪٢٠.٨ (٢٥)	٪٢٠.٠ (٣٦)	٪٢١.٨ (١٠٢)
حلب (٪٢٠)	سني	٪١٣.١ (٢٢)	٪٤.٢ (٥)	٪٥.٠ (٩)	٪٧.٧ (٣٦)
	مسيحي	٪٠.٦ (١)	--	--	٪٠.٢ (١)
	المجموع	٪١٣.٧ (٢٣)	٪٤.٢ (٥)	٪٥.٠ (٩)	٪٧.٩ (٣٧)
ادلب (٪٧)	سني	٪٣.٠ (٥)	٪٢.٥ (٣)	٪٣.٣ (٦)	٪٣.٠ (١٤)
	المجموع	٪٣.٠ (٥)	٪٢.٥ (٣)	٪٣.٣ (٦)	٪٣.٠ (١٤)
حماة (٪٨)	سني	٪٧.١ (١٢)	٪١٠.٠ (١٢)	٪٧.٨ (١٤)	٪٨.١ (٣٨)
	اسماعيلي	٪٣.٦ (٦)	٪٠.٨ (١)	٪١.١ (٢)	٪١.٩ (٩)
	علوي	٪١.٢ (٢)	--	٪٢.٨ (٥)	٪١.٥ (٧)
	مسيحي	--	--	--	--
	المجموع	٪١١.٩ (٢٠)	٪١٠.٨ (١٣)	٪١١.٧ (٢١)	٪١١.٥ (٥٤)
حمص (٪١٠)	سني	٪٧.١ (١٢)	٪٥.٠ (٦)	٪١٠.٦ (١٩)	٪٧.٩ (٣٧)
	علوي	٪١.٢ (٢)	--	--	٪٠.٤ (٢)
	مسيحي	٪٠.٦ (١)	٪٢.٥ (٣)	--	٪٠.٩ (٤)
	المجموع	٪٨.٩ (١٥)	٪٧.٥ (٩)	٪١٠.٦ (١٩)	٪٩.٢ (٤٣)
اللاذقية (٪١٣)	سني	٪٧.١ (١٢)	٪٩.٢ (١١)	٪١٦.٧ (٣٠)	٪١١.٣ (٥٣)
	علوي	٪٤.٨ (٨)	٪١٢.٥ (١٥)	٪٦.٧ (١٢)	٪٧.٥ (٣٥)
	اسماعيلي	٪١.٢ (٢)	٪٢.٥ (٣)	٪١.١ (٢)	٪١.٥ (٧)
	مسيحي	--	٪١.٧ (٢)	٪١.١ (٢)	٪٠.٩ (٤)
	المجموع	٪١٣.١ (٢٢)	٪٢٥.٩ (٣١)	٪٢٥.٦ (٤٦)	٪٢١.٢ (٩٩)
دير الزور (٪١٢)	سني	٪٤.٢ (٧)	٪٩.٢ (١١)	٪٤.٤ (٨)	٪٥.٦ (٢٦)
	المجموع	٪٤.٢ (٧)	٪٩.٢ (١١)	٪٤.٤ (٨)	٪٥.٦ (٢٦)
درعا (٪٤)	سني	٪٨.٩ (١٥)	٪٨.٣ (١٠)	٪٦.٧ (١٢)	٪٧.٩ (٣٧)
	مسيحي	٪١.٢ (٢)	٪٤.٢ (٥)	٪٢.٨ (٥)	٪٢.٦ (١٢)
	المجموع	٪١٠.٠ (١٧)	٪١٢.٥ (١٥)	٪٩.٤ (١٧)	٪١٠.٥ (٤٩)
القنيطرة (٪٢)	سني	--	٪٣.٣ (٤)	٪٢.٢ (٤)	٪١.٧ (٨)
	درزي	--	--	--	--
	المجموع	--	٪٣.٣ (٤)	٪٢.٢ (٤)	٪١.٧ (٨)
السويداء (٪٣)	سني	--	--	--	--
	درزي	٪٦.٠ (١٠)	٪٣.٣ (٤)	٪٢.٢ (٤)	٪٣.٨ (١٨)
	المجموع	٪٦.٠ (١٠)	٪٣.٣ (٤)	٪٢.٢ (٤)	٪٣.٨ (١٨)
غير سوري	سني	--	--	--	--
	مسيحي	--	--	--	--
	المجموع	--	--	--	--
غير معلوم	سني	٪٤.٨ (٨)	--	٪٥.٦ (١٠)	٪٣.٨ (١٨)
المجموع		٪١٠٠.٠ (١٦٨)	٪١٠٠.٠ (١٢٠)	٪١٠٠.٠ (١٨٠)	٪١٠٠.٠ (٤٦٨)

˙ النسبة المئوية التي تتبع اسماء المناطق مباشرة تشير الى نسبة سكان كل منطقة على التوالي بالنسبة للمجموع الكلي.

* انظر الفصل السابع، الحاشية رقم ٣٩

جدول ٣: التمثيل الاقليمي والطائفي في القيادات القطرية السورية لحزب البعث (١٩٦٣-١٩٩٥)

قيادة قطرية رقم:		١-٤	٥-٨	٩-١٣	١-١٣
الفترة:		١٩٦٦/٢-١٩٦٣/٣	١٩٧٠/١١-١٩٦٦/٣	١٩٩٥-١٩٧٠/١١	١٩٦٣-١٩٩٥/٣
المنطقة	الديانة				
دمشق (٢١٪)	سني	٢,٠٪ (١)	--	٢١,٤٪ (٢١)	١٠,٤٪ (٢٢)
	مسيحي	--	--	--	--
	شيعي	--	--	--	--
	المجموع	٢,٠٪ (١)	--	٢١,٤٪ (٢١)	١٠,٤٪ (٢٢)
حلب (٢٠٪)	سني	٨,٠٪ (٤)	--	٦,١٪ (٦)	٤,٧٪ (١٠)
	مسيحي	--	--	--	--
	المجموع	٨,٠٪ (٤)	--	٦,١٪ (٦)	٤,٧٪ (١٠)
ادلب (٧٪)	سني	٤,٠٪ (٢)	--	٥,١٪ (٥)	٣,٣٪ (٧)
	المجموع	٤,٠٪ (٢)	--	٥,١٪ (٥)	٣,٣٪ (٧)
حماة (٨٪)	سني	--	--	٤,١٪ (٤)	١,٩٪ (٤)
	اسماعيلي	١٠,٠٪ (٥)	٩,٤٪ (٦)	--	٥,٢٪ (١١)
	علوي	--	--	٣,١٪ (٣)	١,٤٪ (٣)
	مسيحي	--	--	١,٠٪ (١)	٠,٥٪ (١)
	المجموع	١٠,٠٪ (٥)	٩,٤٪ (٦)	٨,٢٪ (٨)	٩,٠٪ (١٩)
حمص (١٠٪)	سني	١٠,٠٪ (٥)	٩,٤٪ (٦)	٦,١٪ (٦)	٨,٠٪ (١٧)
	علوي	٢,٠٪ (١)	--	١,٠٪ (١)	١,٠٪ (٢)
	مسيحي	--	--	--	--
	المجموع	١٢,٠٪ (٦)	٩,٤٪ (٦)	٦,١٪ (٧)	٩,٠٪ (١٩)
اللاذقية (١٣٪)	سني	١٠,٠٪ (٥)	٦,٣٪ (٤)	٥,١٪ (٥)	٦,٦٪ (١٤)
	علوي	١٢,٠٪ (٦)	٢٣,٤٪ (١٥)	١٦,٣٪ (١٦)	١٧,٤٪ (٣٧)
	اسماعيلي	--	--	--	--
	مسيحي	--	--	٥,١٪ (٥)	٢,٤٪ (٥)
	المجموع	٢٢,٠٪ (١١)	٢٩,٧٪ (١٩)	٢٦,٥٪ (٢٦)	٢٦,٤٪ (٥٦)
دير الزور (١٢٪)	سني	١٢,٠٪ (٦)	١٥,٦٪ (١٠)	٧,١٪ (٧)	١٠,٨٪ (٢٣)
	المجموع	١٢,٠٪ (٦)	١٥,٦٪ (١٠)	٧,١٪ (٧)	١٠,٨٪ (٢٣)
درعا (٤٪)	سني	٦,٠٪ (٣)	١٤,٠٪ (٩)	٩,٢٪ (٩)	٩,٩٪ (٢١)
	مسيحي	٢,٠٪ (١)	٦,٣٪ (٤)	١,٠٪ (١)	٢,٨٪ (٦)
	المجموع	٨,٠٪ (٤)	٢٠,٣٪ (١٣)	١٠,٢٪ (١٠)	١٢,٧٪ (٢٧)
القنيطرة (٢٪)	سني	٢,٠٪ (١)	٦,٣٪ (٤)	١,٠٪ (١)	٢,٨٪ (٦)
	درزي	--	--	--	--
	المجموع	٢,٠٪ (١)	٦,٣٪ (٤)	١,٠٪ (١)	٢,٨٪ (٦)
السويداء (٣٪)	سني	--	--	٢,٠٪ (٢)	١,٠٪ (٢)
	درزي	٢٠,٠٪ (١٠)	٩,٤٪ (٦)	٤,١٪ (٤)	٩,٤٪ (٢٠)
	مسيحي	--	--	--	--
	المجموع	٢٠,٠٪ (١٠)	٩,٤٪ (٦)	٦,١٪ (٦)	١٠,٤٪ (٢٢)
غير معلوم	سني	--	--	١,٠٪ (١)	٠,٥٪ (١)
	المجموع	--	--	١,٠٪ (١)	٠,٥٪ (١)
المجموع		١٠٠,٠٪ (٥٠)	١٠٠,٠٪ (٦٤)	١٠٠,٠٪ (٩٨)	١٠٠,٠٪ (٢١٢)

النسبة المئوية التي تتبع اسماء المناطق مباشرة تشير الى نسبة سكان كل منطقة على التوالي بالنسبة للمجموع الكلي.

جدول ٤: التمثيل الطائفي في الوزارات السورية (١٩٤٢-١٩٩٥)[١]

وزارة رقم: / الفترة:	٢١-٦٥ ١٩٤٢/١-١٩٥٨/٢	٦٦-٦٩ ١٩٥٨/٢-١٩٦١/٩	٧٠-٧٥ ١٩٦١/٩-١٩٦٢/٣	٣١-٧٥ ١٩٤٢/١-١٩٦٣/٢
الديانة				
سني	٨٢٫١٪ (٢٥٦)	٩٤٫٧٪ (٥٤)	٧٩٫٨٪ (٧١)	٨٣٫٢٪ (٣٨١)
علوي	٢٫٦٪ (٨)	١٫٨٪ (١)	٢٫٢٪ (٢)	٢٫٤٪ (١١)
درزي	٢٫٩٪ (٩)	٣٫٥٪ (٢)	٣٫٤٪ (٣)	٣٫١٪ (١٤)
اسماعيلي	٠٫٣٪ (١)	--	--	٠٫٢٪ (١)
مسيحي	١٢٫٢٪ (٣٨)	--	١٤٫٦٪ (١٣)	١١٫١٪ (٥١)
شيعي	--	--	--	--
المجموع	١٠٠٫٠٪ (٣١٢)	١٠٠٫٠٪ (٥٧)	١٠٠٫٠٪ (٨٩)	١٠٠٫٠٪ (٤٥٨)

وزارة رقم: / الفترة:	٧٦-٨٣ ١٩٦٣/٣-١٩٦٦/٢	٨٤-٨٨ ١٩٦٦/٢-١٩٧٠/١١	٨٩-٩٥ ١٩٧٠/١١-١٩٧٦/٨	٧٦-٩٥ ١٩٦٣/٣-١٩٧٦/٨
الديانة				
سني	٧٥٫٦٪ (١٢٧)	٧١٫٧٪ (٨٦)	٨٢٫٢٪ (١٤٨)	٧٧٫١٪ (٣٦١)
علوي	٧٫١٪ (١٢)	١٢٫٥٪ (١٥)	٩٫٤٪ (١٧)	٩٫٤٪ (٤٤)
درزي	٦٫٠٪ (١٠)	٣٫٣٪ (٤)	٢٫٢٪ (٤)	٣٫٨٪ (١٨)
اسماعيلي	٤٫٨٪ (٨)	٣٫٣٪ (٤)	٢٫٢٪ (٤)	٣٫٤٪ (١٦)
مسيحي	٦٫٥٪ (١١)	٨٫٣٪ (١٠)	٣٫٩٪ (٧)	٦٫٠٪ (٢٨)
شيعي	--	٠٫٨٪ (١)	--	٠٫٢٪ (١)
المجموع	١٠٠٫٠٪ (١٦٨)	١٠٠٫٠٪ (١٢٠)	١٠٠٫٠٪ (١٨٠)	١٠٠٫٠٪ (٤٦٨)

[١] انظر الفصل السابع، الحاشية رقم ٣٩

حدول ٥: التمثيل الطائفي في القيادات القطرية السورية لحزب البعث (١٩٦٣-١٩٩٥)

قيادة قطرية رقم: / الفترة:	١-٤ ١٩٦٣/٩-١٩٦٦/٢	٥-٨ ١٩٦٦/٣-١٩٧٠/١١	٩-١٣ ١٩٧٠/١١-١٩٩٥	١-١٣ ١٩٦٣/٩-١٩٩٥
الديانة				
سني	٥٤٫٠٪ (٢٧)	٥١٫٦٪ (٣٣)	٦٨٫٤٪ (٦٧)	٥٩٫٩٪ (١٢٧)
علوي	١٤٫٠٪ (٧)	٢٣٫٤٪ (١٥)	٢٠٫٤٪ (٢٠)	١٩٫٨٪ (٤٢)
درزي	٢٠٫٠٪ (١٠)	٩٫٤٪ (٦)	٤٫١٪ (٤)	٩٫٤٪ (٢٠)
اسماعيلي	١٠٫٠٪ (٥)	٩٫٤٪ (٦)	--	٥٫٢٪ (١١)
مسيحي	٢٫٠٪ (١)	٦٫٣٪ (٤)	٧٫١٪ (٧)	٥٫٧٪ (١٢)
المجموع	١٠٠٫٠٪ (٥٠)	١٠٠٫٠٪ (٦٤)	١٠٠٫٠٪ (٩٨)	١٠٠٫٠٪ (٢١٢)

جدول ٦ : الخلفيات الطائفية للأعضاء العسكريين بالقيادات القطرية السورية لحزب البعث (١٩٦٣-١٩٩٥)

قيادة قطرية رقم: الفترة:	٤-١ ١٩٦٦/٢-١٩٦٣/٩	٨-٥ ١٩٧٠/١١-١٩٦٦/٣	١٢-٩ ١٩٩٥-١٩٧٠/١١	١٢-١ ١٩٩٥-١٩٦٣/٩
الديانة				
سني	٣٥.٠٪ (٧)	٤٢.١٪ (٨)	٥٦.٥٪ (١٣)	٤٥.١٪ (٢٨)
علوي	٣٠.٠٪ (٦)	٤٢.١٪ (٨)	٤٣.٥٪ (١٠)	٣٨.٧٪ (٢٤)
درزي	٢٥.٠٪ (٥)	--	--	٨.١٪ (٥)
اسماعيلي	١٠.٠٪ (٢)	١٥.٨٪ (٣)	--	٨.١٪ (٥)
مسيحي	--	--	--	--
المجموع	١٠٠.٠٪ (٢٠)	١٠٠.٠٪ (١٩)	١٠٠.٠٪ (٢٣)	١٠٠.٠٪ (٦٢)

جدول ٧: الخلفيات الاقليمية والطائفية للأعضاء العسكريين بالقيادات القطرية السورية لحزب البعث (١٩٦٣-١٩٩٥)

قيادة قطرية رقم: الفترة:		٤-١ ١٩٦٦/٢-١٩٦٣/٩	٨-٥ ١٩٧٠/١١-١٩٦٦/٣	١٢-٩ ١٩٩٥-١٩٧٠/١١	١٢-١ ١٩٩٥-١٩٦٣/٩
المنطقة	الديانة				
دمشق	سني	--	--	١٣.٠٪ (٣)	٤.٨٪ (٣)
حلب	سني	١٥٪ (٣)	--	١٣.٠٪ (٣)	٩.٧٪ (٦)
حماة	اسماعيلي	١٠٪ (٢)	١٥.٨٪ (٣)	--	٨.١٪ (٥)
حمص	سني	٥٪ (١)	١٠.٥٪ (٢)	٢١.٧٪ (٥)	١٢.٩٪ (٨)
	علوي	٥٪ (١)	--	--	١.٦٪ (١)
	المجموع	١٠٪ (٢)	١٠.٥٪ (٢)	٢١.٧٪ (٥)	١٤.٥٪ (٩)
اللاذقية	سني	١٥٪ (٣)	٢١.١٪ (٤)	--	١١.٣٪ (٧)
	علوي	٢٥٪ (٥)	٤٢.١٪ (٨)	٤٣.٥٪ (١٠)	٣٧.١٪ (٢٣)
	المجموع	٤٠٪ (٨)	٦٣.٧٪ (١٢)	٤٣.٥٪ (١٠)	٤٨.٤٪ (٣٠)
دير الزور	سني	--	--	٨.٧٪ (٢)	٣.٢٪ (٢)
درعا	سني	--	١٠.٥٪ (٢)	--	٣.٢٪ (٢)
السويداء	درزي	٢٥٪ (٥)	--	--	٨.١٪ (٥)
المجموع		١٠٠.٠٪ (٢٠)	١٠٠.٠٪ (١٩)	١٠٠.٠٪ (٢٣)	١٠٠.٠٪ (٦٢)

جدول ٨: توزيع الجهاز الحزبي في ٣١/١٠/١٩٨٤ *

الفروع	الأعضاء العاملين	الأنصار	مجموع الجهاز الحزبي
دمشق	٦٩٦٣	٣١٨٣٢	٣٨٧٩٥
ريف دمشق	٦٦٩٣	٢٩١٤٨	٣٥٨٤١
درعا	٤٨٣٧	١٥٧٦٦	٢٠٦٠٣
السويداء	٥٥٨٦	١٦٩٧٥	٢٢٥٦١
القنيطرة	٤٨٤٢	١٤٤٩١	١٩٣٣٣
حمص	٩٩٩٤	٤٧٥٤١	٥٧٥٣٥
حماة	٧٣٧٨	٤٥٣٨٧	٥٢٧٦٥
طرطوس	٩٢٥٩	٣٥٠١٣	٤٤٢٧٢
اللاذقية	٨٤٨٩	٤٣٢٥٥	٥١٧٤٤
ادلب	٦٥٧٢	٢٧٢٤٠	٣٣٨١٢
حلب	٧٥٦٤	٤٥٥٢٩	٥٣٠٩٣
الرقة	٣٩١٥	١٨٠٨٨	٢٢٠٠٣
دير الزور	٣٤٦٨	١٤٥٩٩	١٨٠٦٧
الحسكة	٦٥٣٣	٢٨١١٩	٣٤٦٥٢
قوى الأمن	٤٢٠٥	٣٩٠٠	٨١٠٥
جامعة دمشق	٣٣٠١	٨٦٤٠	١١٩٤١
جامعة حلب	١٤٦٦	٨٣٥٤	٦٩٠٤
جامعة تشرين	١٣٢٧	٤٥١١	٥٨٣٨
المجموع	١٠٢٣٩٢	٤٣٥٤٧٢	٥٣٧٨٦٤

التقرير التنظيمي ١٩٨٥، ص ٥٧
انظر الفصل التاسع، الحاشية رقم (١١) .

جدول ٩: توزيع الجهاز الحزبي والسكان حسب الفروع ونسبة الجهاز الحزبي في السكان في عمر التنسيب في نهاية ٣١/١٠/١٩٨٤ *:

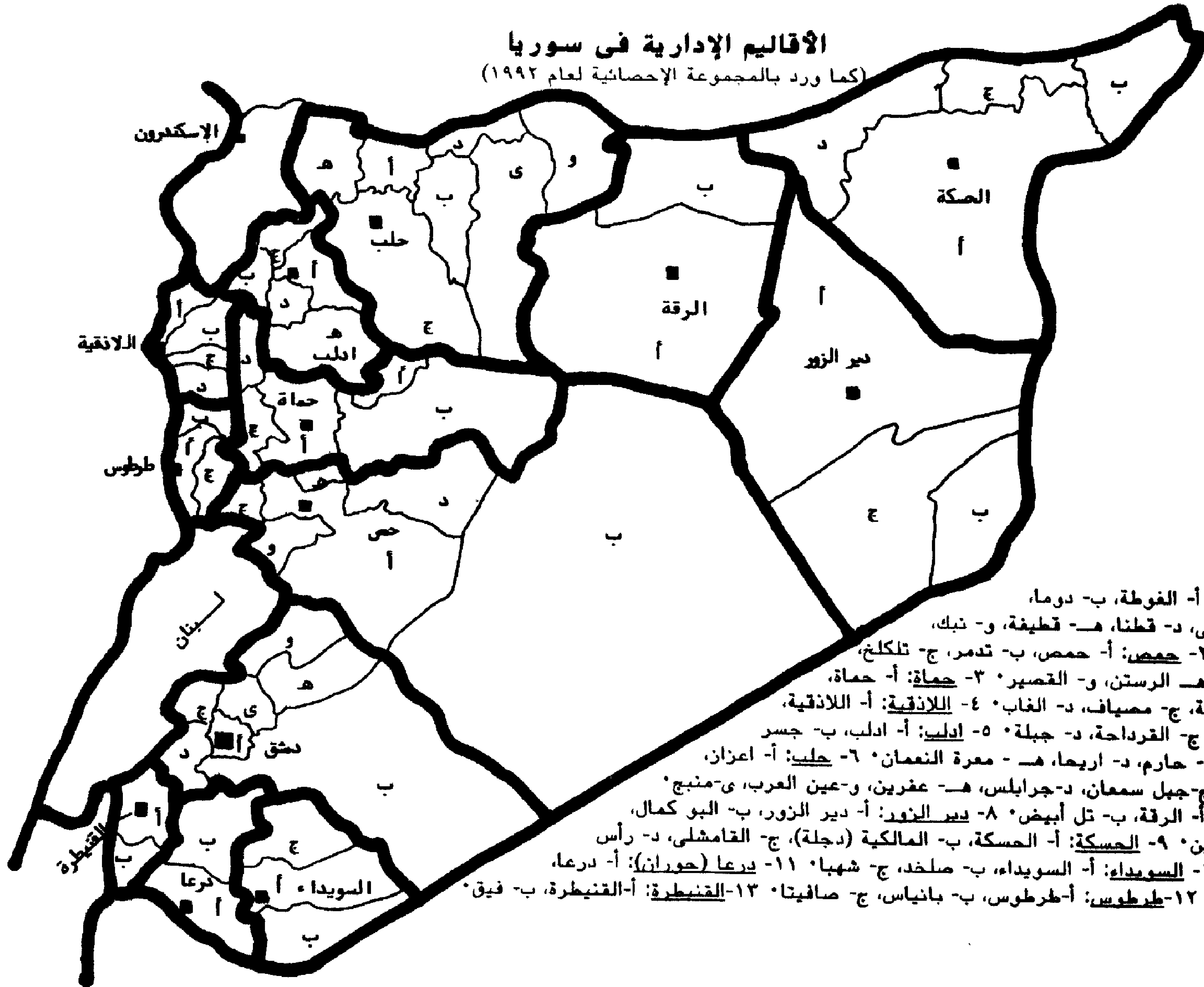
توزيع الجهاز الحزبي والسكان	توزيع الجهاز الحزبي	عدد السكان العام		عدد السكان في عمر التنسيب		نسبة الجهاز الحزبي في السكان في عمر التنسيب	نسبة مجموع الجهاز الحزبي
الفروع		عدد	٪	عدد	٪	٪	٪
دمشق	٥١٣١٤	١٠٥٧٠٧٣	٩.٤٩	٨٣٧٠٠٠	١٣.٠٢	٦.١٣	٩.٥٤
ريف دمشق	٣٦٤٢٠	٨٤٥٢٨٥	٧.٥٩	٦٢١٠٠٠	٩.٦٦	٥.٨٦	٦.٧٧
درعا	٢١١٨٢	٤٢٨٨٣٨	٣.٨٥	٢٣٢٠٠٠	٣.٦١	٩.٢٣	٣.٩٤
السويداء	٢٣١٤٠	٢٩٤٠٧٦	٢.٦٤	١٤٠٠٠٠	٢.١٨	١٦.٥٣	٤.٣٠
القنيطرة	١٩٩١٢	٢٢٩٩٢٨	٢.٠٦	١٤١٠٠٠	٢.١٩	١٤.١٢	٣.٧٠
حمص	٥٨١١٤	١٠٣٣٩٦٥	٩.٢٨	٥٤٦٠٠٠	٨.٤٩	١٠.٦٤	١٠.٨١
حماة	٥٣٣٤٤	٩٧٤٣٤٣	٨.٧٥	٥٥١٠٠٠	٨.٥٧	٩.٦٨	٩.٩١
طرطوس	٤٤٨٥١	٥٥٦٣٣٦	٥.٠٠	٣٠٢٠٠٠	٤.٧٠	١٤.٨٥	٨.٣٤
اللاذقية	٥٨١٦١	٧٠٢٨٦١	٦.٣١	٣٩٠٠٠٠	٦.٠٧	١٤.٩١	١٠.٨١
ادلب	٣٤٣٩١	٨٣٧٦١٣	٧.٥٢	٣٨٤٠٠٠	٥.٩٨	٨.٩٦	٦.٣٩
حلب	٦٠٥٧٦	٢٤٨٥٦٣٧	٢٢.٣٢	١١١٧٠٠٠	١٧.٣٧	٤.٦٠	١١.٢٦
الرقة	٢٢٥٨٢	٣٧١٨١٢	٣.٣٤	٢٤٤٠٠٠	٣.٧٩	٩.٢٥	٤.٢٠
دير الزور	١٨٦٤٦	٦٣٧٧٧٤	٥.٧٣	٢٩٣٠٠٠	٤.٥٤	٦.٣٦	٣.٤٧
الحسكة	٣٥٢٣١	٦٨١٥٣٣	٦.١٢	٤٦٨٠٠٠	٧.٢٨	٧.٥٣	٦.٥٦
المجموع	٥٣٧٨٦٤	١١١٣٧١١٤	١٠٠	٦٤٣٠٠٠٠	١٠٠	٨.٣٦	١٠٠

نلاحظ أن نسبة الحزبيين لعدد السكان الذين هم في عمر التنسيب بلغت ٨.٣٦٪ وكانت عند انعقاد المؤتمر القطري السابع ٨.٢٠٪ وكانت الزيادة ١٦.٠٪ عما كانت عليه . مع ملاحظة أن جامعة دمشق أضيفت الى فرع دمشق وكذلك جامعة حلب الى فرع حلب وجامعة تشرين الى فرع اللاذقية وفرع الأمن تم توزيعه على كافة الفروع.

* التقرير التنظيمي ١٩٨٥، ص ٥٦؛ انظر الفصل التاسع، الحاشية رقم (١١) .

الأقاليم الإدارية فى سوريا

(كما ورد بالمجموعة الإحصائية لعام ١٩٩٢)



١- دمشق: أ- الغوطة، ب- دوما،
ج- الزبدانى، د- قطنا، هـ- قطيفة، و- نبك،
ى- التل• ٢- حمص: أ- حمص، ب- تدمر، ج- تلكلخ،
د- مخرم، هـ- الرستن، و- القصير• ٣- حماة: أ- حماة،
ب- السلمية، ج- مصياف، د- الغاب• ٤- اللاذقية: أ- اللاذقية،
ب- الحفة، ج- القرداحة، د- جبلة• ٥- ادلب: أ- ادلب، ب- جسر
الشغور، ج- حارم، د- اريحا، هـ - معرة النعمان• ٦- حلب: أ- اعزاز،
ب-الباب، ج-جبل سمعان، د-جرابلس، هـ- عفرين، و-عين العرب، ى-منبج•
٧- الرقة: أ- الرقة، ب- تل أبيض• ٨- دير الزور: أ- دير الزور، ب- البو كمال،
ج- الميادين• ٩- الحسكة: أ- الحسكة، ب- المالكية (دجلة)، ج- القامشلى، د- رأس
العين• ١٠- السويداء: أ- السويداء، ب- صلخد، ج- شهبا• ١١- درعا (حوران): أ- درعا،
ب- ازرع• ١٢-طرطوس: أ-طرطوس، ب- بانياس، ج- صافيتا• ١٣-القنيطرة: أ-القنيطرة، ب- فيق•

المراجع

الجرائد والنشرات العربية المذكورة بالكتاب

الأحرار، بيروت
الإحياء العربى، باريس
الأخبار، القاهرة
أخبار اليوم، القاهرة
اقتصاديات حلب
أكتوبر، القاهرة
الأنباء، بيروت
الأهرام، القاهرة
البعث، دمشق
بيروت، بيروت
تشرين، دمشق
الثورة، بغداد
الثورة، دمشق
الجديد، بيروت
الجريدة، بيروت
الجمهورية، بغداد
الجمهورية، القاهرة
الحياة، بيروت، لندن
الحوادث، بيروت
الدستور، القدس
الدفاع، القدس
الراية، بيروت
الزمان، بيروت
السياسة، الكويت
الصفاء، بيروت
الصمود، بيروت
الصوت الحيوى، باريس
الصياد، بيروت
الفرسان، دمشق
الفكر العسكرى، دمشق
فلسطين، القدس
فنون، دمشق
الكفاح، بيروت
الكفاح العربى، بيروت

المحرر، بيروت
المناضل، دمشق
النذير، دمشق
نضال الشعب، دمشق
النهار، بيروت
النهار العربى والدولى، باريس
الوسط، لندن

المراجع العربية

ابراهيم سلامة - "البعث من المدارس إلى الثكنات"، ملف النهار، رقم ٢٥، ١٨ مارس (آذار) ١٩٦٩
احمد عبد الكريم - أضواء على تجربة الوحدة، دمشق، ١٩٦٢
الإخوان المسلمون - الإخوان المسلمون ·· يكشفون حقيقة الأوضاع فى سوريا، غير معلوم المكان والتاريخ
- حماة، مأساة العصر، غير معلوم المكان والتاريخ
ادوارد صعب - "البعث: حزب أم حكم"، القضايا المعاصرة، المجلد ١، يوليو (تموز) ١٩٦٩، ص ١٢٩-١٣٥
اديب خضور - الصحافة السورية، دمشق، ١٩٧٣
اديب سليمان باغ - الجولان: دراسة فى الجغرافية الإقليمية، دمشق، ١٩٨٤
اسكندر لوقا - حافظ الأسد: قيم فكرية إنسانية، دمشق، ١٩٨٧
الحسينى عبد الله - الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، القاهرة، ١٩٨٠
الياس فرح - فى السياسة العربية الثورية قبل النكسة وبعدها، بغداد، ١٩٧٠
- الفكر العربى الثورى أمام تحديات المرحلة، بغداد، ١٩٧٣
- نظرات فى الملامح الأساسية للمرحلة الراهنة، بيروت، ١٩٧١
- تطور الفكر الماركسى، عرض ونقد، بيروت، ١٩٧١
- تطور الإيديولوجية العربية الثورية (الفكر القومى)، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٢
أيمن شعبان - الحلم الثورى، دمشق، ١٩٩٥
برهان غليون - نظام الطائفية: من الدولة إلى القبيلة، بيروت، ١٩٩٠
بشير الداعوق - نضال (حزب) البعث، ١١ مجلداً، بيروت، ١٩٦٣-١٩٧٤
- نضال حزب البعث العربى الإشتراكى عبر بيانات قيادته القومية (١٩٥٥-١٩٦٢)، بيروت، ١٩٧١
بهجت سليمان - المنظومة الفكرية للبطل باسل، دمشق، ١٩٩٤
تقى شرف الدين - النصيرية: دراسة تحليلية، بيروت، ١٩٨٣
تمام البرازى - ملفات المعارضة السورية، القاهرة، ١٩٩٤
توفيق عندانى - البعث فى دروب النضال، دمشق، ١٩٦٥

الجامعة الأمريكية في بيروت
- الوثائق العربية، ١٩٦٣-١٩٧٣، بيروت، ١٩٦٤-١٩٧٥

جلال السيد
- حقيقة الأمة العربية وعوامل حفظها وتمزيقها، بيروت، ١٩٧٣
- حزب البعث العربي، بيروت، ١٩٧٣

جلال فاروق الشريف
- موجز التاريخ النضالي لحزب البعث العربي الإشتراكي، دمشق، ١٩٨٣

جمال الاتاسي
- في الفكر السياسي، مجلدان، دمشق، ١٩٦٣

جورج جبور
- صافيتا ومحيطها في القرن التاسع عشر، دمشق، ١٩٩٣

جورج فارس
- من هو في سوريا، ١٩٤٩، دمشق، ١٩٤٩
- من هو في سوريا، ١٩٥١، دمشق، ١٩٥١
- من هم في العالم العربي، المجلد الأول، سوريا، دمشق، ١٩٥٧

حافظ الأسد
- مجموعات خطب الفريق القائد حافظ الأسد، الكتاب الأول، ١٩٧٠/١١/٢٤ - ١٩٧١/٨/٣٠، دمشق، ١٩٧١

حبيب عيسى
- السقوط الأخير للإقليميين في الوطن العربي، بيروت، ١٩٧٩

حربي موسى حسين وفؤاد يوسف قزنجي
- مصادر تراث حزب البعث العربي الاشتراكي، بغداد، ١٩٧٧

حزب الاتحاد الاشتراكي العربي في سوريا
- القطر السوري يمر بأزمة وطنية خطيرة، نشرة داخلية خاصة بالأعضاء فقط، دمشق، ١٩٧٩

حزب البعث العربي الاشتراكي
- في التنظيم والتربية الحزبية، بيروت، ١٩٧١
- القيادة القومية، بعض المنطلقات النظرية التي أقرها المؤتمر القومي السادس في تشرين الأول ١٩٦٣، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٦٧
- دراسة تحليلية موجزة لنضال حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٤٣-١٩٧١، دمشق، ١٩٧٣
- احتفالات الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس حزب البعث العربي الإشتراكي، دمشق، ١٩٧٣
- مقررات المؤتمر القومي التاسع المنعقد في النصف الثاني من أيلول ١٩٦٦، دمشق، غير معلوم التاريخ
- سلسلة التوعية الاشتراكية، المجلد الثالث، التحويل الاشتراكي في الريف، دمشق، ١٩٦٧
- القيادة القومية، لجنة التوجيه الحزبي، سلسلة التوجيه الحزبي (١)، الحزب الثوري؟ دمشق، ١٩٧٠
- القيادة القومية، لجنة التوجيه الحزبي، سلسلة التوجيه الحزبي (٢)، الانحراف والظواهر الانقسامية في الحزب ودور اليمين التخريبي، دمشق، غير معلوم التاريخ
- القيادة القومية، لجنة التوجيه الحزبي، سلسلة التوجيه

الحزبى (٣)، مفهوم الإدارة الديمقراطية لوسائل الإنتاج، دمشق، ١٩٧٠

- القطر السورى، القيادة القطرية، أزمة الحزب وحركة ٢٣ شباط وانعقاد المؤتمر القطرى الأخير، دمشق، ١٩٦٦
- القطر السورى، القيادة القطرية، مقررات المؤتمر القطرى العادى الثانى للقطر السورى والمنعقد بين ٣/١٨ - ١٩٦٥/٤/٤ · التقرير التنظيمي، التقرير السياسى، التقرير الاقتصادى الاجتماعى، دمشق، ١٩٦٦
- القطر السورى، القيادة القطرية، التقرير الوثائقى لأزمة الحزب والمقدم للمؤتمر القطرى الاستثنائى المنعقد بين ٣/١٠ - ١٩٦٥/٤/٤ · التقرير التنظيمي، التقرير السياسى، التقرير الاقتصادى الاجتماعى، دمشق، ١٩٦٦
- القطر العربى السورى، القيادة القطرية، تقرير المؤتمر القطرى الثامن ومقرراته، المنعقد فى دمشق فى الفترة الواقعة بين ١٩٨٥/١/٥ - ١٩٨٥/١/٢٠: التقرير التنظيمى، التقرير السياسى، التقرير الاقتصادى، دمشق، ١٩٨٥

حسن الحكيم
- مذكراتي، صفحات من تاريخ سوريا الحديث ١٩٢٠-١٩٥٨، مجلدان، بيروت، ١٩٦٥، ١٩٦٦

خالد العظم
- مذكرات خالد العظم، ثلاثة مجلدات، بيروت، ١٩٧٣

خليل مصطفى
- من ملفات الجولان؟ ··· عمان، ١٩٧٠
- سقوط الجولان، عمان، ١٩٦٩

خيرية قاسمية
- مذكرات فوزى القاوقجى ١٩١٤-١٩٣٢، المجلد الأول، بيروت، ١٩٧٥
- فلسطين فى مذكرات القاوقجي، المجلد الثانى، بيروت، ١٩٧٥

رياض المالكى
- ذكريات على درب الكفاح والهزيمة، دمشق، ١٩٧٢

رياض سليمان عواد
- الشهيد الحي باسل الأسد، دمشق، ١٩٩٤
- الديمقراطية والسلام فى نهج حافظ الأسد، دمشق، ١٩٩٢
- حافظ الأسد وتجربة الجبهة الوطنية التقدمية فى سوريا، دمشق، ١٩٩٢

زكى الارسوزى
- المؤلفات الكاملة، أربعة مجلدات، دمشق، ١٩٧٢-١٩٧٤

ساطع الحصرى
- الإقليمية، جذورها وبذورها، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٤

سامى الجندى
- اتحدى ·· واتهم، بيروت، ١٩٧٠
- البعث، بيروت، ١٩٦٩
- كسرة خبز، بيروت، ١٩٦٩
- سوريا ·· رائدة كفاح، بيروت، ١٩٧١

سعد الدين ابراهيم
- المِلل والنِحل والأعراق: هموم الأقليات فى الوطن العربى، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٩٤
- تأملات فى مسألة الأقليات، القاهرة، ١٩٩٢

سعد جمعه - مجتمع الكراهية، بيروت، غير معلوم التاريخ
سلامة عبيد - الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥-١٩٢٧، دمشق، ١٩٧١
سليمان الخش
وانطون مقدسي - الماركسية، عرض وتحليل، دمشق، ١٩٦٨
شبلى العيسمى - بعض القضايا القومية، بيروت، ١٩٧٥
- فى الثورة العربية، الطبعة الثانيه، بيروت، ١٩٦٩
- حول الوحدة العربية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٤
- حول الوحدة والتضامن والتسوية، بغداد، ١٩٧٦
- حزب البعث العربى الإشتراكي، ١، مرحلة الأربعينات التأسيسية ١٩٤٠-١٩٤٩، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٧٥
- حزب البعث العربى الإشتراكى، ٢، مرحلة النمو والتوسع، ١٩٤٩ ١٩٥٨، بيروت، ١٩٧٨
- رسالات الأمة العربية، بيروت، ١٩٧٨
- الوحدة العربية من خلال التجربة، بيروت، ١٩٧١
- العلمانية والدولة الدينية، بغداد، ١٩٨٦
- عروبة الإسلام وعالميته، الطبعة الرابعة، بغداد، ١٩٨٦
صابر فلحوت - المسألة الفلسطينية والموقف العربى السورى، دمشق، ١٩٧٧
صلاح الدين البيطار - السياسة العربية بين المبدأ والتطبيق، بيروت، ١٩٦٠
صفوان القدسى - البطل والتاريخ: قراءة فى فكر الأسد السياسى، دمشق، ١٩٨٤
عادل حافظ - حافظ الأسد: قائد وأمة، دمشق، ١٩٩٣
عادل رضا - التاريخ لا تحركه الصدفة: قراءة فى فكر الأسد، القاهرة، ١٩٩٣
عارف النكدى - التعريف بمحافظة السويداء، دمشق، ١٩٦٢
عباس أبو صالح - تاريخ الموحدين الدروز السياسى فى المشرق العربى، بيروت، غير معلوم التاريخ
الشيخ عبد الرحمن الخيِّر - عقيدتنا وواقعنا نحن المسلمين الجعفريين "العلويين"، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢
- كتاب الصلاة والصيام وفق المذهب الجعفرى (العلوى)، الطبعة الثامنة، دمشق، ١٩٩١
- من نداء الإيمان، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥
- نقد وتقريظ كتاب تاريخ العلويين (من تراث الشيخ عبد الرحمن الخيِّر)، دمشق، ١٩٩٢
- رسالة تبحث فى مسائل مهمة حول المذهب الجعفرى: (العلوى) (من تراث الشيخ عبد الرحمن الخيِّر)، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤
عبد الكريم زهر الدين - مذكراتى عن فترة الانفصال فى سوريا ما بين ٢٨ أيلول ١٩٦١ و ٨ آذار ١٩٦٣، بيروت، ١٩٦٨
عبد الله الحسينى - الجذور التاريخية للنصيرية العلوية، القاهرة، ١٩٨٠

عز الدين دياب - التحليل الاجتماعى لظاهرة الانقسام السياسى فى الوطن العربى: "حزب البعث العربى الاشتراكى نموذجا"، القاهرة، ١٩٩٣

عزت السعدنى - باسل في عيون المصريين، القاهرة، ١٩٩٥

غازى الموسى - منارة الأجيال: باسل حافظ الأسد، دمشق، ١٩٩٤

غالب كيالى - حافظ الأسد: قائد ورسالة، بيروت، ١٩٧٧

فاروق الباشا - جوهر القومية العربية، دمشق، ١٩٧٢

فضل الله ابو منصور - أعاصير دمشق، بيروت، ١٩٥٩

فؤاد العشا - حافظ الأسد: قائد ورسالة، الطبعة الثانية، دمشق، ١٩٩٣

فؤاد الأطرش - الدروز، مؤامرات وتاريخ وحقائق، بيروت، ١٩٧٥

قاسم سلام - البعث والوطن العربى، باريس، غير معلوم التاريخ

قحطان عبد الرحمن الدورى وآخرون - النصيرية حركة هدمية، بغداد، ١٩٨٦

قدرى القلعجى - وثائق النكسة تحت أضواء، التجربة المرة، بيروت، ١٩٦٩

قيادة الثورة الإسلامية فى سوريا - بيان الثورة الإسلامية فى سوريا ومنهاجها، دمشق، ١٩٨٠

كريم الشيبانى - حافظ الأسد، شخصية تاريخية فى مرحلة صعبة، بيروت، ١٩٧٢

لجنة الدفاع عن المعتقلين السياسيين فى سوريا - من قوافل المعتقلين السياسيين وأخبارهم فى السجون السورية، غير معلوم المكان، ١٩٧٦

لوسيان بيترلان - حافظ الأسد: مسيرة مناضل (ترجمة عن الفرنسية)، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩٢

ليلى الصباغ - المجتمع العربى السورى فى مطلع العهد العثمانى، دمشق، ١٩٧٣

مجهول - تدمر المجزرة المستمرة، غير معلوم المكان، الطبعة الثانية، ١٩٨٤

- حقائق عن الطائفة النصيرية فى سوريا، غير معلوم المكان والتاريخ

- قصة الثورة فى العراق وسوريا، بغداد، ١٩٦٣

- قضايا الخلاف فى الحزب الشيوعى السورى، بيروت، ١٩٧٢

- مجزرة حماة، القاهرة، ١٩٨٤

- محاضر جلسات مباحثات الوحدة، القاهرة، ١٩٦٣

- محاكمة بائع الجولان، غير معلوم المكان (دار بردى للنشر)، ١٩٨٢

- الفارس الباسل° الذكرى الأولى للرحيل، إصدار جريدة تشرين دمشق، ١٩٩٥

- شهادات معالم الشهيد باسل الأسد، وزارة الإعلام، دمشق، ١٩٩٤

محمد ابراهيم العلى - الفجرية <المرابى الجزء الخامس>، دمشق، ١٩٩٥

محمد أمين غالب الطويل - تاريخ العلويين، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٦٦

محمد سعيد النجدى - حصيلة الإنقلابات الثورية فى بعض الأقطار العربية، بيروت، ١٩٦٦
محمد طلب هلال - دراسة عن محافظة الجزيرة من النواحى القومية، الإجتماعية، السياسية، غير معلوم المكان والتاريخ
محمد عمران - تجربتى فى الثورة، بيروت، ١٩٧٠
محمود أمين - سلمية فى خمسين قرنا ، دمشق، ١٩٨٣
محمود صادق - حوار حول سوريا، لندن: دار عكاظ، ١٩٩٣
محي الدين صبحى - ملامح الشخصية العربية فى التيار الفكرى المعادى للأمة العربية، غير معلوم المكان (الدار العربية للكتاب)، غير معلوم التاريخ (١٩٨٧؟)
مصطفى الشكعه - إسلام بلا مذاهب، القاهرة (الطبعة الثامنة)، ١٩٩١
مصطفى طلاس - حرب العصابات، بيروت، ١٩٦٩
- الكفاح المسلح والتحدى الصهيونى، بيروت، غير معلوم التاريخ
- الرسول العربى وفن الحرب، دمشق، ١٩٧٢
- كذلك قال الأسد، الطبعة السادسة، دمشق ١٩٩٣
- مرآة حياتي: العقد الأول ١٩٤٨-١٩٥٨، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٩١
- مرآة حياتي: العقد الثانى ١٩٥٨-١٩٦٨، دمشق، ١٩٩٥
مصلح سالم - من يصنع الأقدار، دمشق، ١٩٧٥
مطاع الصفدى - حزب البعث، مأساة المولد ومأساة النهاية، بيروت، ١٩٦٤
- "نحو سوريا حديثة"، ملف النهار، رقم ٦١، العالم العربى اليوم (٧)، ٦ مارس (آذار) ١٩٧١
منير الشريف - المسلمون العلويون: من هم؟ وأين هم؟، الطبعة الثالثة، دمشق، ١٩٦١
منيف الرزاز - الأعمال الفكرية والسياسية، ٣ أجزاء، عمّان (مؤسسة منيف الرزاز للدراسات القومية)، ١٩٨٥-١٩٨٦
- ألف باء البعث، بيروت، ١٩٧٠
- فلسفة الحركة القومية العربية، مجلدان، بيروت، ١٩٧٨-١٩٧٧
- فلسطين والوحدة ١٩٦٩-١٩٧٥، بيروت، ١٩٧٥
- حول سياسة التحويل الإشتراكى لحزب البعث العربى الإشتراكى، بيروت، ١٩٧٣
- الحرية ومشكلتها فى البلدان المتخلفة، بيروت، ١٩٦٥
- معالم الحياة العربية الجديدة، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٦٦
- السبيل إلى تحرير فلسطين، بيروت، ١٩٧١
- التجربة المرة، بيروت، ١٩٦٧
- تطور معنى القومية، بيروت، ١٩٦٠
- الوحدة العربية، هل لها من سبيل؟ بيروت، ١٩٧١
- "الوحدة بعد حرب رمضان"، قضايا عربية، رقم ١، أبريل

(نيسان) ١٩٧٤، ص ٧-١٦

ميشيل عفلق - أحاديث الأمين العام الرفيق ميشيل عفلق خلال زيارته لبغداد ايار ١٩٦٩، بغداد، ١٩٦٩
- في سبيل البعث، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٣
- معركة المصير الوحيد، بيروت، ١٩٦٣
- نقطة البداية، بيروت، ١٩٧١

ناجي علوش - الثورة والجماهير، بيروت، ١٩٦٢

ناصيف نصار - نحو مجتمع جديد· مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٩٥

نذير فنصة - أيام حسني الزعيم، ١٣٧ يوماً هزت سوريا، الطبعة الثالثة، دمشق، ١٩٩٣

نيقولاوس فان دام - 'إذا استُثنيت دمشق من السلام استحال السلام'، الحياة، ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩٣
- 'العرب اكتشفوا أن السلام سلاح أقوى من الحرب'، القبس، ٢٤ مارس (آذار) ١٩٩٤
- 'اسرائيل والاندماج القومي'، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية (بغداد)، ١٩٧٩، ص ١٠٠ - ١٠٧
- 'سوريا تود الانسحاب من لبنان والطائفية غير موجودة رسمياً'، الحياة، ١٢ مارس (آذار) ١٩٩٥

هاشم عثمان - العلويون بين الأسطورة والحقيقة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥

هاني خليل - حافظ الأسد: الإدانة التاريخية الثورية للإرهاب الدولي، دمشق، ١٩٩٠
- حافظ الأسد: الإيديولوجية الثورية والفكر السياسي، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢
- حافظ الأسد: الدولة الديمقراطية الشعبية، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢

هاني الخيِّر - أديب الشيشكلي، صاحب الانقلاب الثالث في سوريا، دمشق، ١٩٩٤

هاني الفكيكي - أوكار الهزيمة· تجربتي في حزب البعث العراقي، لندن، ١٩٩٣

هاني الهندي - جيش الإنقاذ، بيروت، ١٩٧٤

هيثم العودات - انتفاضة العامية الفلاحية في جبل العرب، دمشق، ١٩٧٦

المراجع الأجنبية

Abd-Allah, Umar F., The Islamic Struggle in Syria, Berkeley, 1983.
Abu Jaber, Kamel S., The Arab Ba'th Socialist Party: History, Ideology and Organization, Syracuse, New York, 1966.
Abyad, Malakah, Values of Syrian Youth. A Study Based on Syrian Students in Damascus University, MA thesis, American University of Beirut, Bayrut, 1968.
al-Akhrass, Safouh, Revolutionary Change and Modernization in the Arab World: A Case from Syria,, Damascus, 1972.
Akili, M. Talal. Die Syrischen Küstengebiete. Eine Modelluntersuchung zur Regionalplanung in den Entwicklungsländern, Berlin, 1968.
Antoun, Richard T., and Quataert, Donald, (eds.), Syria: Society, Culture and Polity, New York, 1991.
Arab Report & Record, London, 1966-1978.
The Arab World, Bayrut, 1963-1975.
Ashour, Issam Y. The Remnants of the Feudal System in Palestine, Syria and the Lebanon, MA thesis, American University of Beirut, Bayrut, 1946.
Audo, Antoine, Zaki al-Arsouzi: Un Arabe Face A la Modernité, Bayrut, 1988.
Baer, Gabriel, Population and Society in the Arab East, London, 1964.
Batatu, Hanna, 'Some Observations on the Social Roots of Syria's Ruling Military Group and the Causes for its Dominance', The Middle East Journal, vol. 35, no.3 (1981),pp.331-44.
---, The Old Social Classes and the Revolutionary Movements of Iraq. A Study of Iraq's Old Landed and Commercial Classes and of its Communists, Ba'thists and Free Officers, Princeton, 1978.
---, 'Syria's Muslim Brethern', MERIP Reports No. 110, Vol. 12, No. 9 (November-December 1982), pp. 12-20, 34.
Be'eri, Eliezer, Army Officers in Arab Politics and Society, New York and London, 1970.
Ben-Tsur, Avraham, 'Composition and Membership of the Ba'th Party in the Kuneitra Region', Hamizrah Hehadash, XVIII (1968), pp. 269-273.
---, 'The Neo-Ba'th Party of Syria', Journal of Contemporary History, Vol. 3, No. 3, July 1968, pp. 161-181.
Berger, Morroe, The Arab World Today, New York, 1962.
Betts, Robert B., The Druze, New Haven, 1988.
Biegel, L.C., Minderheden in het Midden-Oosten, hun betekenis als politieke factor in de Arabische wereld, Deventer, 1972.
Bill, James A., 'Class Analysis and the Dialectics of Modernization in the Middle East', International Journal of Middle East Studies, 3 (1972), pp. 417-434.
Bitar,Salaheddin, 'The Rise and Decline of the Baath', Middle East International, June 1971, pp. 12-15, July 1971, pp. 13-16.
Bitterlin, Lucien, Hafez el-Assad: Le Parcours d'un Combattant, Paris, 1986.
Bolz, Reinhardt and Thomas Koszinowski, 'Die syrisch-irakischen Einigungsbestrebungen. Hintergründe, Grenzen und Auswirkungen', Orient, Vol. 20, No. 3, September 1979, pp. 63-86.
Bou-Nacklie, N.E., 'Les Troupes Spéciales: Religious and Ethnic Recruitment, 1916-46',

International Journal of Middle East Studies, Vol. 25, 1993, pp. 646-660.
Büren, Rainer, Syrien und Hafiz al-Asad, Ebenhausen, 1976.
Carlton, Alfred, 'The Syrian coups d'état of 1949', The Middle East Journal, Vol. 4, No. 1, January 1950, pp. 1-11.
Carré, Olivier and Gérard Michaud (i.e. Michel Seurat), Les Frères musulmans, Paris, 1983.
Cohen, Hayyim J., The Jews of the Middle East 1960-1972, Jerusalem, 1973.
Cowell, Mark W., A Reference Grammar of Syrian Arabic, Washington DC, 1964.
Crow, Ralph, 'A Study of Political Forces in Syria based on a Survey of the 1954 Elections', Bayrut (unpublished), May 1955.
Dam, Nikolaos van, The Struggle for Power in Syria: Politics and Society under Asad and the Ba'th, 3rd edition, London, 1995.
---, The Struggle for Power in Syria: Sectarianism, Regionalism and Tribalism in Politics, 1961-1979, 1st edition, London, New York, 1979.
---, The Struggle for Power in Syria: Sectarianism, Regionalism and Tribalism in Politics, 1961-1980, 2nd edition, London, 1981.
---, 'De Ba'thpartij in Syrië (1958-1966)', Internationale Spectator, XXV-20, 22 November 1971, pp. 1889-1933.
---, 'De Rol van Sektarisme, Regionalisme en Tribalisme bij de Strijd om de Politieke Macht in Syrië (1961-1976)', PhD thesis, University of Amsterdam, 1977.
---, 'Integration Problems of the Federation of Arab Republics', Orient, 1973/3, September 1973, pp. 112-115.
---, 'Israel and Arab National Integration: Pluralism versus Arabism', Asian Affairs, Vol. 10 (Old Series Vol. 66), Part 2, June 1979, pp. 144-50.
---, 'Israeli Sectarian Propaganda during the October, 1973, War', The Muslim World, Vol. LXVII, No. 4, October 1977, pp. 295-305. Also in: Ron D. McLaurin, Military Propaganda: Psychological Warfare and Operations, New York, 1982, pp. 356-365.
---, 'Middle Eastern Political Clichés: "Takriti" and "Sunni rule" in Iraq; "Alawi rule" in Syria. A critical appraisal', Orient, Vol. 21, No. 1, January 1980, pp. 42-57.
---, 'Sectarian and Regional Factionalism in the Syrian Political Elite', The Middle East Journal, Vol. 32, No. 2, Spring 1978, pp. 201-210.
---, 'The Struggle for Power in Syria and the Ba'th Party (1958-1966)', Orient, 1973/1, March 1973, pp. 10-20.
---, 'Union in the Fertile Crescent', Middle East International, No. 104, 20 July 1979.
---, 'Das Emporkommen der Alawiten als eine Politischer Machtfaktor in Gegenwärtigen Syrien', Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, Supplement IV (1980), pp. 554-556.
---, 'Minorities and Political Elites in Iraq and Syria', in: Talal Asad and Roger Owen (eds.), Sociology of "Developing Societies": The Middle East, London, 1983, pp. 127-144.
---, Review of David Roberts, The Ba'th and the Creation of Modern Syria, New York, 1987, in: The Middle East Journal, Vol. 42, No. 1, 1988, pp. 113-114.
---, Review of Gregor Voss, "'Alawiya oder Nusairiya?" - Schiitische Machtelite und sunnitische Opposition in der Syrischen Arabischen Republik, Disseration, Hamburg, 1987, in: Die Welt des Islams, XXIX (1989), pp. 207-209.
---, Review of Dr. Umar F. Abd-Allah, The Islamic Struggle in Syria, Berkely, 1983, in:

Middle East Studies Association Bulletin, Vol. 18, No. 1, 1984, pp. 57-59.
Dawisha, Adeed I., Syria and the Lebanese Crisis, London, 1980.
Dawn, C. Ernest, 'The Rise of Arabism in Syria', The Middle East Journal, Vol. 16, No. 4, Autumn 1962, pp. 145-168.
Dekmejian, R. Hrair, 'The Anatomy of Islamic Revival: Legitimacy Crisis, Ethnic Conflict and the Search for Islamic Alternatives'. The Middle East Journal, vol. 34, No. 1, Winter 1980, p. 1-12.
Devlin, John F., Syria: Modern State in Ancient Land, London, 1983.
---, The Ba'th Party. A History from its Origins to 1966, Standord, California, 1976.
Dewdney, J.C., 'Syria: Pattern of Population Distribution', in J.I. Clarke and W.B. Fischer (eds.), Populations of the Middle East and North Africa, New York, 1972, pp. 130-142.
Dishon, Daniel (ed.), Middle East Record 1967, Jerusalem, 1977.
---, Middle East Record 1968, Jerusalem, 1973.
---, Middle East Record 1969-1970, 2 vols, Jerusalem, 1977.
Donohue, John J., 'La Nouvelle Constitution Syrienne et ses Détracteurs', Travaux et Jours, Bayrut, April-June 1973, pp. 93-111.
Douwes, Dirk, Justice and Oppression: Ottoman rule in the province of Damascus and the district of Hama, 1785-1841 (doctoral dissertation), Nijmegen, 1994.
Drysdale A., Hinnebusch, Raymond A., Syria and the Middle East Peace Process, New York, 1991.
Drysdale, Alasdair, 'Ethnicity in the Syrian Officer Corps: A Conceptualisation'. Civilisations, vol. 29, no. 3/4 (1979). pp. 359-73.
---, 'The Syrian Political Elite, 1966-1976: A Spatial and Social Analysis.', Middle Eastern Studies, vol.17, no.1 (1981), pp.3-30.
---, 'The Asad Regime and its Troubles'. MERIP Reports, No. 110, Vol.12, No. 9 (November-December 1982), pp. 3-11.
---, 'The Syrian Armed Forces in National Politics: The Role of the Geographic and Ethnic Periphery', in: R. Kolkowicz and A. Korbonski (ed.), Soldiers, Peasants, and Bureaucrats, London, 1982, pp. 52-76.
---, 'The Succession Question in Syria', The Middle East Journal, vol. 39, no. 2 (1985), pp. 246-62.
---, 'The Regional Equalization of Health Care and Education in Syria since the Ba'thi Revolution', International Journal of Middle East Studies, Vol. 13, (1981), pp. 93-111.
Esman, Milton J., and Rabinovich, Itamar (eds.), Ethnicity, Pluralism, and the State in the Middle East, London, 1988.
Fawaz, Leila Tarazi, An Occasion for War - Civil Conflict in Lebanon and Damascus in 1860, London, 1994.
Haddad, George M., Revolutions and Military Rule in the Middle East, Vol. II: The Arab States, New York, 1971.
Harik, Ilya F., 'The Ethnic Revolution and Political Integration in the Middle East', International Journal of Middle East Studies, 3 (1972), pp. 303-323.
Hinnebusch, Raymond A., Authoritarian Power and State Formation in Ba'thist Syria: Army, Party and Peasant, San Francisco, 1990.
---, Peasant and Bureaucracy in Ba'thist Syria: the Political Economy of Rural Development,

San Francisco, 1989.
---, 'State and Civil Society in Syria', The Middle East Journal, vol. 47, no. 2 (1993), pp. 243-57.
---, 'Elite-Mass Linkage: The Role of the Mass Organizations in the Syrian Political System', n.p., n.d., unpublished.
---, 'Local Politics in Syria: Organisation and Mobilisation in Four Village Cases', The Middle East Journal, Vol. 30, No. 1, Winter 1976, pp. 1-24.
---, 'Class and State in Ba'thist Syria', in: Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds.), Syria: Society, Culture and Polity, New York, 1991, pp. 29-47.
---, 'Liberalization in Syria: the Struggle of Economic and Political Reality', in: Eberhard Kienle, Contemporary Syria, London, 1994, pp. 97-113.
Hitti, Philip K., The Origins of the Druze People and Religion, New York, 1928.
Hopwood, Derek, Syria 1945 - 1986: Politics and Society, London, 1988.
Hourani, A.H. Minorities in the Arab World, London, 1947.
---, Syria and Lebanon, A Political Essay, 3rd ed., London, 1954.
Hudson, Michael H., Arab Politics. The Search for Legitimacy, New Haven and London, 1977.
Humphreys, R. Stephen, 'Islam and Political Values in Saudi Arabia, Egypt and Syria', The Middle East Journal, vol. 33, No. 1, Winter 1979, pp. 1-19.
Hurewitz, J.C. Middle East Politics: The Military Demension, New York, Washington, London, 1969.
Janowitz, Morris, The Military and Political Development of New Nations, Chicago, 1964.
Joris, Lieve, De Poorten van Damascus, Amsterdam, 1993.
---, Les Portes de Damas, Paris, 1994.
Kaylani, Nabil M., 'The Rise of the Syrian Ba'th, 1940-1958: Political Success, Party Failure', International Journal of Middle East Studies, 3 (1972), pp. 3-23.
Kedourie, Elie, The Chatham House Version and other Middle Eastern Studies, London, 1970.
Kelidar, A.R., 'Religion and State in Syria, Asian Affairs, Vol. 61 (new series Vol. 5), Part I, February 1974, pp. 16-22.
Kerr, Malcolm, The Arab Cold War 1958-1967, A Study of Ideology in Politics, 2nd ed., London, 1967.
---, 'Hafiz Asad and the Changing Patterns of Syrian Politics', International Journal, vol. 28, 1972-3, pp. 689-706.
---, 'Coup and clan in Syria', Gazelle Review of Literature on the Middle East, No. 7, 1980, pp. 45-47.
Khalidi, Tarif, 'A Critical Study of the Political Ideas of Michel Aflak', Middle East Forum, Vol. XLII, No. 2, pp. 55-68.
Khoury, Philip S., Syria and the French Mandate: The Politics of Arab Nationalism, 1920-1945, London, 1987.
---, Urban notables and Arab nationalism: The politics of Damascus 1860 - 1920, Cambridge, 1983.
Khuri, Fuad I., 'The Alawis of Syria: Religious Ideology and Organization', in: Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds), Syria: Society, Culture, and Polity, Albany, 1991,

pp. 49-62.
Kienle, Eberhard, 'The Conflict Between the Baath Regimes of Syria and Iraq Prior to Their Consolidation: From Regime Survival to Regional Domination', Ethnizität und Gesellschaft, Occasional Papers no. 5 (1985).
---, 'Ethnizität und Machtkonkurrenz in inter-arabischen Beziehungen: Der syrisch-irakische Konflikt unter den Ba'th-Regimen', Ethnizität und Gesellschaft, Occasional Papers no. 12 (1987).
---, Ba'th v Ba'th: The Conflict between Syria and Iraq 1968-1989, London, 1990.
---, (ed.), Contemporary Syria. Liberalization between Cold War and Cold Peace, London, 1994.
Kischli, Muhammad, Kapitalismus und Linke im Libanon, Frankfurt, 1970.
Koszinowski, Thomas, 'Die Krise der Ba'th-Herrschaft und die Rolle Asads bei der Sicherung der Macht', Orient 26 (1985), pp. 549-71.
---, 'Rif'at al-Asad', Orient 4 (1984), pp. 465-70.
Lawson, Fred, 'Social Bases for the Hamah Revolt, MERIP Reports, No. 110, Vol. 12, No. 9 (November-December 1982), pp. 24-28.
---, 'Domestic Transformation and Foreign Steadfastness in Contemporary Syria', The Middle East Journal, Vol. 48, No. 1, 1994, pp. 47-64.
Lenczowski, George, The Middle East in World Affairs, New York, 1956.
---, (ed.), Political Elites in the Middle East, Washington, 1975.
Lerner, Daniel, The Passing of Traditional Society, New York, 1964.
Lewin, Bernard, Notes on Cabali: The Arabic dialect spoken by the Alawis of "Jebel Ansariye", Göteborg, 1969.
Lewis, Norman N., Nomads and Settlers in Syria and Jordan, 1800-1980, Cambridge, 1987.
Lobmeyer, Hans Günther, Islamismus und sozialer Konflikt in Syrien, Berlin, 1993. (Ethnizität und Gesellschaft, Occasional Papers No. 26).
---, 'Islamic ideology and secular discourse: the Islamists of Syria', Orient, Vol. 32, 1991, pp. 395-418.
---, 'Al dimuqratiyya hiyya al-hall? The Syrian Opposition at the End of the Asad Era', in: Eberhard Kienle (ed.), Contemporary Syria, London, 1994, pp. 81-96.
---, Opposition und Widerstand im ba'thistischen Syrien, Hamburg, 1995.
Longrigg, S.H., Syria and Lebanon under French Mandate, London, 1958.
Longuenesse, Elizabeth, 'Bourgeoisie, Petite-Bourgeoisie et Couches Moyennes en Syrie', Peuples Méditerranéens, No. 4, July-September 1978, pp. 21-42.
---, 'Ingénieurs et médecins dans le changement social en Syrie. Mobilité sociale et recomposition des élites', Maghreb-Machrek, No. 146, October-December 1994, pp. 59-71.
Macintyre, Ronald R., The Arab Ba'th Socialist Party: Ideology, Politics, Sociology and Organization, PhD thesis, Australian National University, 1969.
---, 'Syrian Political Age Differentials 1958-1966', The Middle East Journal, Vol. 29, Spring 1975, No. 2, pp. 207-213.
Mahayni, M. Mohammed Sabet, L'Evolution Constitutionelle de la Syrie Indépendante, Thèse pour le Doctorat d'Etat, Paris, 1972.
Mahr, Horst, Die Baath-Partei; Portrait einer Panarabischen Bewegung, München, 1971.

Makarem, Sami Nasib, The Druze Faith, New York, 1974.
Maler, Paul, (i.e. Michel Seurat), 'La société Syrienne contre son état', Le Monde Diplomatique, April 1980.
Ma'oz, Moshe, "Alawi Military Officers in Syrian Politics, 1966-1974', in Military and State in Modern Asia, Jerusalem, 1976.
---, 'Attempts at Creating a Political Community in Modern Syria', The Middle East Journal, Vol. 26, Autumn 1972, No. 4, pp. 389-404.
---, 'Hafiz al-Asad: A Political Profile', The Jerusalem Quarterly, no. 8, Summer 1978, pp. 16-31.
---, 'Society and State in Modern Syria', in Menahem Milson (ed.), Society and Political Structure in the Arab World, New York, 1973, pp. 29-91.
---, Asad the Sphinx of Damascus, London, 1988.
Ma'oz, Moshe, and Yaniv, Avner (ed.), Syria under Assad, London, 1986.
Mayer, Thomas, 'The Islamic opposition in Syria, 1961-1982', Orient, Vol. 24, No. 4, December 1983, pp. 589-609.
McLaurin, R.D. (ed.), The Political Role of Minority Groups in the Middle East, New York, 1979.
---, (ed.), Military Propaganda: Psychological Warfare and Operations, New York, 1982.
Metral, Françoise, 'State and Peasants in Syria: a Local View of a Government Irrigation Project', in: Saad Eddin Ibrahim & Nicholas Hopkins (eds.), Arab Society, Social Science Perspectives, Cairo, 3rd printing, 1992, pp. 336-354.
Michaud, Gérard, (i.e. Michel Seurat), 'The Importance of Bodyguards', MERIP Reports, No. 110, Vol. 12, No. 9 (November-December 1982), pp. 29-31.
Middle East Watch, Syria Unmasked: The Suppression of Human Rights by the Asad Regime, New Haven, 1991.
Mitchell, R.P., The Society of the Muslim Brothers, London, 1969.
Mousa, Munir Mushabik, Etude Sociologique des 'Alaouites ou Nusairis, Thèse Principale pour le Doctorat d'Etat, 2 vols, Paris, 1958.
Nashabi, Hisham A., The Political Parties in Syria, MA thesis, American University of Beirut, Bayrut, 1951-52.
Nasr, Nicolas, Faillite Syrienne au Liban 1975-1981, 2 vols, Bayrut, 1982.
Nieuwenhuijze (ed.), C.A.O. van, Commoners, Climbers and Notables. A Sampler of Studies on Social Ranking in the Middle East, Leiden, 1977.
Nouss, I., La population de la République Syrienne, Etude démographique, Thèse d'Etat, Paris, 1951.
Office Arabe de Presse et de Documentation, Le 1er Cabinet de M. Abdel Raouf Al-Kassem, Structure et Biographies, Damascus, 1980.
---, Le 1er Cabinet de M. El-Halabi, Structure et Biographies, Damascus, 1978.
---, 2e Cabinet Mahmoud Ayoubi (1er Septembre 1974), Structure, Analyse et Biographies, Damascus, 1974.
---, Le 1er Cabinet de M. Abdel Raouf Al-Kassem, Structure et Biographies, Damascus, 1980.
---, Le 2e Cabinet de M. Mahmoud Al-Zou'bi du 29 Juin 1992, Damascus, 1992.
Olson, Robert, The Ba'th and Syria, 1947 to 1982. The Evolution of Ideology, Party and

State, Princeton, N.J., 1982.
Oron, Y. (ed.), Middle East Record: Volume II, 1961, Jerusalem, 1966.
Palazzoli, Claude, La Syrie, le rêve et la rupture, Paris, 1977.
Palmer, Monte, 'The United Republic - an Assissment of its Failure', The Middle East Journal, Vol. 20, No. 1, Winter 1966, pp. 50-67.
Perthes, Volker, 'The Bourgeois and the Ba'th', Middle East Report, May-June 1991, pp. 31-37.
---, 'Syria's Parliamentary Elections: remodeling Asad's Political Base', Middle East Report, January-February 1992, pp. 15-18, 35.
---, Staat und Gesellschaft in Syrien, 1970-1989, Hamburg, 1990.
---, 'The Syrian Private Industrial and Commercial Sectors and the State', International Journal of Middle East Studies, Vol. 24, (1992), pp. 207-230.
---, 'Syrie: les élections de 1990', Maghreb-Machrek, No. 137, 1992, pp. 3-14.
---, 'Einige kritische Bemerkungen zum Minderheitenparadigma in der Syrienforschung', Orient 31/4 (1990), pp. 571-582.
---, 'Stages of Economic and Political Liberalization', in: Eberhard Kienle (ed.), Contemporary Syria, London, 1994, pp. 44-71.
---, 'From War Dividend to Peace Dividend? Syrian Options in a New Regional Environment', Al-Nadwah, January 1995, pp. 6-18.
---, The Political Economy of Syria under Asad, London, 1995.
Peters, Rudolph, Islam and Colonialism. The Doctrine of Jihad in Modern History, The Hague, 1979.
Petran, Tabitha, Syria, London, 1972.
Picard, Elizabeth, 'Clans Militaires et Pouvoir Ba'thiste en Syrie', Orient, vol. 20, No. 3, September 1979, pp. 49-62.
---, 'Y a-t-il un problème communautaire en Syrie?', Maghreb-Machrek 87 (janvier-mars 1980), pp. 7-21.
---, 'Arab Military in Politics: from Revolutionary Plot to Authoritarian State', in Albert Hourani, Philip S. Khoury and Mary C. Wilson (eds.), The Modern Middle East: A Reader, London, 1993, pp. 551-578.
Pipes, Daniel, Greater Syria: The History of an Ambition, Oxford, 1990.
---, 'The Alawi Capture of Power in Syria', Middle Eastern Studies, Vol. 25 (1989), pp. 429-450.
---, 'Syrie: L'Après Assad', Politique International, 1993, pp. 97-110.
Rabinovich, Itamar, 'The Compact minorities and the Syrian State, 1918-1945, Journal of Contemporary History, Vol. 14, No. 4, October 1979, pp. 693-712.
---, 'Historiography and Politics in Syria', Asian Affairs, Vol. 9, (Old Series Vol. 65), Part 1, February 1978, pp. 57/66.
---, Syria under the Ba'th 1963-66; The Army-Party Symbiosis, Jerusalem, 1972.
Raymond, André (ed.), La Syrie d'Aujourd'hui, Paris, 1980.
Receuil des Archives Biographiques Permanentes du Monde Arabe, 2ème Edition, Damascus, n.d.
Reissner, Johannes, Ideologie und Politik der muslimbrüder Syriens. Von den Wahlen 1947 bis zum Verbot unter Adib aš-Šīšaklī 1952, Freiburg, 1980.

---, 'Die andere Ablehnungsfront: Stimmen radikal-islamischer Kreise zur Friedensinitiative Anwar as-Sadats', Orient, Vol. 21, No. 2, June 1979, pp. 19-41.
Roberts, David, The Ba'th and the Creation of Modern Syria, London, 1987.
Saab, Edouard, La Syrie ou la Révolution dans la Rancoeur, Paris, 1968.
Saint-Prot, Charles, Les Mystères Syriens, Paris, 1984.
Sadowski, Yahya M., 'Patronage and the Ba'th: Corruption and Control in Contemporary Syria', Arab Studies Quarterly, vol. 9. no. 4, Fall 1987, pp. 442-461.
---, 'Cadres, Guns and Money: The Eighth Regional Congress of the Syrian Ba'th', MERIP Reports 134 (July-August 1985), pp.3-8.
Salih, Shakeeb, 'The British-Druze Connection and the Druze Rising of 1896 in the Hawran', Middle Eastern Studies, Vol. 13, May 1977, No. 2, pp. 251-257.
Seale, Patrick, Asad: the Struggle for the Middle East, London, 1988.
---, The Struggle for Syria; A Study of Post-War Arab Politics (1945-1958), London, 1965.
---, 'Asad: Between Institutions and Autocracy', in Richard T. Antoun and Donald Quataert (eds.), Syria, Society, Culture and Polity, New York, 1991, pp. 97-110.
Seurat, Michel, L'Etat de Barbarie, Paris, 1989.
Seymour, Martin, 'The Dynamics of Power in Syria since the Break with Egypt', Middle Eastern Studies, vol. 6, January 1970, No. 1, pp. 35-47.
Sluglett, Peter and Marion Farouk-Sluglett, 'Some Reflections on the Sunni/Shi'i Question in Iraq', British Society for Middle Eastern Studies Bulletin, Vol. 5, No. 2, 1978, pp. 79-87.
Statistisches Bundesamt Wiesbaden: Allgemeine Statistik des Auslandes, Länderkurzberichte, Syrien, Stuttgart/Mainz, 1967, 1969.
Syrian Arab Republic, Office of the Prime Minister, Central Bureau of Statistics, Statistical Abstract 1971, Damascus, 1971.
---, Statistical Abstract 1976, Damascus, 1976.
---, Statistical Abstract 1992, Damascus, 1992.
Torrey, Gordon H., 'Aspects of the Political Elite in Syria', in George Lenczowski (ed.), Political Elites in the Middle East, Washington, 1975, pp. 151-161.
---, 'The Ba'th - Ideology and Practice', The Middle East Journal, Vol. 23, 1969, pp. 445-470.
---, Syrian Politics and the Military 1945-1958, , Colombus, Ohio, 1964.
U.S. Army Area Handbook for Syria, Washington DC, 1965.
Van Dusen, Michael H., Intra- and Inter-Generational Conflict in the Syrian Army, PhD dissertation, Baltimore, Maryland, 1971.
---, 'Political Integration and Regionalism in Syria', The Middle East Journal, Vol. 26, Spring 1972, No. 2, pp. 123-136.
---, 'Syria: Downfall of a Traditional Elite', in Frank Tachau (ed.), Political Elites and Political Development in the Middle East, New York, 1975.
Vanly, Ismet Chériff, La Persécution du Peuple Kurde par la Dictature du Baas en Syrie, Amsterdam, 1968.
---, Le Problème Kurde en Syrie: Plans pour le génocide d'une minorité nationale, n.p., 1968.
Vatikiotis, P.J., 'The Politics in the Fertile Crescent', in P.Y. Hammond & S.S. Alexander (eds.), Political Dynamics in the Middle East, New York, 1972, pp. 225-242.

Vernier, Bernard, Armée et Politique au Moyen Orient, Paris, 1966.
---, 'Le rôle politique de l'armée en Syrie', Politique Etrangère, XXIX (1965), pp. 458-511.
Vos, Gregor, "Alawiya oder Nusairiya?" - Schiitische Machtelite und sunnitische Opposition in der Syrische Arabischen Republik, dissertation, Hamburg, 1985.
Weismann, Itzchak, 'Sa'id Hawwa: The Making of a Radical Muslim Thinker in Modern Syria', Middle Eastern Studies, Vol. 29, No. 4, October 1993, pp. 602-623.
Weulersse, Jacques, Le Pays des Alaouites, Tours, 1940.
---, Paysans de Syrie et du Proche Orient, Paris, 1946.
Who's Who in the Arab World, second edition, 1967-1968, Bayrut, n.d.
Winder, Bayly, 'Syrian Deputies and Cabinet Ministers, 1919-1959', The Middle East Journal, Vol. 16, Autumn 1962, No. 4, pp. 407-429; Vol. 17, Winter 1963, No. 1, pp. 35-54.
Wirth, Eugen, Syrien, Eine Geographische Landeskunde, Darmstadt, 1971.
Zuwiyya-Yamak, L., The Syrian Social Nationalist Party: An Ideological Analysis, Cambridge, Mass., 1966.

الفهرس

(الألف)

(الباء)

(الخاء)

(الدال)

(الذال)

(الراء)

(الضاد)

(الطاء)

(العين)

(الميم)

نبذة عن المؤلف

الدكتور نيقولاوس فان دام

- ولد عام ١٩٤٥ فى أمستردام بهولندا

- درس اللغة العربية والعلوم السياسية والاجتماعية بجامعة أمستردام، حيث حصل على درجة الدكتوراه فى الأدب عام ١٩٧٧

- قام بتدريس تاريخ الشرق الأوسط الحديث بجامعة أمستردام (١٩٧٠ - ١٩٧٥)

- التحق بوزارة الخارجية بهولندا عام ١٩٧٥، حيث عمل بقسم الشرق الأوسط التابع للإدارة العامة للشؤون السياسية

- سكرتير أول بالسفارة الملكية الهولندية ببيروت - لبنان (١٩٨٠ - ١٩٨٣)

- قائم بأعمال السفارة الملكية الهولندية بطرابلس - ليبيا (١٩٨٣ - ١٩٨٥)

- نائب مدير الشؤون الافريقية والشرق الأوسط بوزارة الخارجية الهولندية (١٩٨٥ - ١٩٨٨)

- سفير هولندا فى بغداد - العراق (١٩٨٨ - ١٩٩١)

- سفير هولندا فى القاهرة - مصر (١٩٩١ -)

الجمع التصويرى والتنسيق الداخلى
للكتاب تم بمعرفة المؤلف

رقم الإيداع ١٩٤٩ لسنة ١٩٩٥
I.S.B.N.
977- 208 -141-5



ت : ٩٣٢٧٠٦

الصراع على السلطة فى سوريا

« كتاب ممتـــاز – موسع بشكل كبير ومواكب للأحداث الأخيرة » : باترِيك سيل ، ٣٠ يناير (كانون الثانى) ١٩٩٥ .

« أوسع الكتب انتشاراً » : الشرق الأوسط ، أبريل (نيسان) ١٩٩٥ .

« إن كتاب فان دام قد تقبله أو تختلف معه ، لكن لا غنى عنه لمن يهتم بالشئون العربية المعاصرة » : الأهرام ، ٣ فبراير (شباط) ١٩٩٥ .

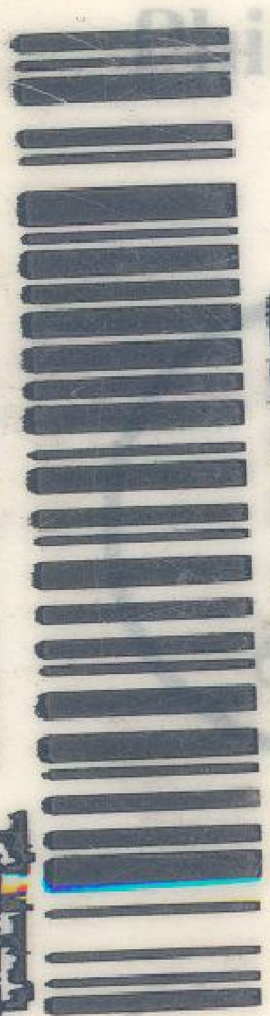
« قراءة الكتاب ضرورة ، ليس فقط للباحثين والمتخصصين ولكن للقارئ ذى الاهتمام السياسى العام أيضاً » : القبس ، ٣٠ يناير (كانون الثانى) ١٩٩٥ .

« كتاب لا بد منه للمهتم بالشأن السياسى السورى ، وبعلاقات سوريا بجوارها ، فضلاً عن تطور الجدل السياسى – المجتمعى القـديم – الحـديث فى داخلها » : الحيـــاة ، ٣٠ أبريل (نيسان) ١٩٩٥ .

« لأول مرة يظهر مؤرخ جرئ يتحدث عن قطر عربى .. يواكب أيامه الحاضرة يوماً بيوم بكل موضوعية ودقة » : الدســـتور ، عمـــان ، ١٤ مارس (آذار) ١٩٩٥ .

« مما لا شك فيه أن كتاب فان دام سوف يصبح مرجعاً قياسياً لتاريخ سوريا السياسى الحديث ، وهو يستحق أن يقرأ من قِبَل كل من هو مهتم بسوريا المعاصرة » :
Alasdair Drysdale, Middle East Studies Association Bulletin

« أكثر التفسيرات تثقيفاً حول آثار الطائفية والإقليمية على السياسات السورية » :
Philip Khoury, MERIP Reports



مكتبة مدبولى
MADBOULI BOOKSHOP
ميدان طلعت حرب ـ القاهرة ـ ت : ٥٧٥٦٤٢١
Talat Harb SQ. Tel. : 5756421
١٥٠٠٠
٨٩٨٧